

النص الكامل  
قصة القديس الأول الوحيدة باللغة العربية

# أغاثا كريستي



## جَرِيْمَة فِي قِطَار الشَّرْق



الأجيال  
للحداثة والنشر  
بدمشق - سورية



# Agatha Christie



## Murder on the Orient Express

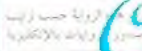
### جريمة في قطار الشرق

تسببت الثلوج المتراكمة في تعطيل القطار  
بمد منتصف الليل بقليل.

لقد كان قطار الشرق السريع مزدحماً  
بالركاب، وهو أمر غريب في هذا الوقت  
من العام. لكن الركاب نقصوا واحداً  
عند الصباح وقد وجد أحدهم مقتولاً في  
مقصورة وفي جسمه اثنا عشرة طعنة،  
وكان باب المقصورة مغلقاً من الداخل!  
التوتر يتزايد والحيرة تملح غابيتها، ولكن  
بوارو يقاوم الجوع، إنه لا يتقدم سداً  
واحداً لهذه الجريمة القوية، بل حلين!



رواية جديدة من روايات الكاتبة العملاقة  
التي تُعتبر أعظم مؤلفة في التاريخ من  
حيث انتشار كتبها وعدد ما بيع منها من  
نسخ، وهي سلا حلال- أشهر من كتب  
لصص الجريمة في القرن العشرين وفي  
سائر الصور. لقد تُرجمت رواياتها إلى  
معظم اللغات الحية، وقارب عدد ما  
طُبِع منها ألفي مليون نسخة!



# Chassey

المعلم وصاحبة الحز الحصري  
بأفضة العربية في جميع أنحاء العالم



ISBN 2 7963 2093 4



US \$ 4.00

[www.lilas.com](http://www.lilas.com)

الجزء الأول

الحقائق

## الفصل الأول

### راكب مهم على قطار طوروس السريع

كانت الساعة الخامسة من صباح يوم من أيام الشتاء في سوريا، وقد وقف على طول الرصيف في حلب ذلك القطار الذي أشارت إليه بتعظيم منشورات سكة الحديد بعد أن أسمته قطار طوروس السريع، وكان يتكون من عربة مطعم ومطبخ وعربة نوم وعربتين أخريين.

وعند الدرجات التي تصعد إلى عربة النوم وقف ملازم فرنسي شاب مثاقق بزيه يتحدث إلى رجل نحيل ضئيل الحجم غارق بالملابس حتى أذنيه بحيث لا يظهر منه سوى أنف احمرت أرنبته وطرفي شاربيه المفتولين إلى الأعلى.

كان الطقس بارداً جداً لدرجة التجمد ولم يكن الملازم دويوسك ليحسد على مهمته هذه في وداع رجل غريب بارز. إلا أنه أدى دوره برجولة، إذ كانت عبارات الإطراء تنبعث من شفثيه بلغة فرنسية مهذبة رغم أنه لم يكن يعلم ما هو الموضوع كله. انتشرت إشاعات بالطبع كما هي العادة في مثل هذه الحالات، وقد بدأ مزاج الجنرال (جنراله هو) يسوء ويسوء، ثم جاء هذا البلجيكي الغريب

قاطعاً الطريق كله من إنكلترا فيما يبدو. ثم حل أسبوع من التوتر الغريب. ثم حدثت بعض الأمور، إذ انتحر ضابط متميز واستقال آخر فانفجرت بعض الوجوه المتوترة وتم تخفيف بعض الإجراءات العسكرية الاحترازية. وفجأة بدا الجنرال (جنرال الملازم دويوسك) أصغر من سنة بعشر سنوات.

كان دويوسك قد سمع بعضاً من الحديث الذي دار بين الجنرال وبين الغريب.

قال الجنرال بشيء من العاطفة وقد ارتجف شارباه الأبيضان وهو يتحدث: لقد أنقذتنا يا عزيزي! لقد أنقذت شرف الجيش الفرنسي وجنبتنا الكثير من سفك الدماء! كيف أستطيع أن أشكرك على قبول طلبي؟ أن تأتي كل هذه المسافة...

أجاب الغريب (واسمه هيركيول بوارو) إجابة مناسبة، وكان من ضمنها عبارة: وكيف لا أتذكر أنك أنقذت حياتي مرة؟

ثم أجابه الجنرال -بدوره- إجابة مناسبة نافياً أي فضل له في تلك الخدمة السابقة. وبعد المزيد من الإشارة إلى فرنسا وبلجيكا والعظمة والشرف ومثل هذه الأمور، تعانق الاثنان بمحبة وانتهت المحادثة.

لم يعلم الملازم دويوسك كنه هذا الأمر ولكن تم توكيله بمهمة وداع السيد بوارو عند قطار طوروس السريع، وقد مضى ينفذ هذه المهمة بكل الحماسة والاندفاع اللذين يناسبان ضابطاً صغيراً ذا مستقبل مبشر بالخير.

قال الملازم دويوسك: اليوم هو الأحد، وغداً مساء سوف تكون في إسطنبول.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يدلي بها بهذه الملاحظة، إذ يبدو أن المحادثات على رصيف المحطة قبل مغادرة القطار تتصف دوماً بتكرار بعض العبارات.

واقفه السيد بوارو: هذا صحيح.

- وأظنك تنوي البقاء هناك لبضعة أيام، أليس كذلك؟

- بلى؛ فلاسطنبول مدينة لم أزرها من قبل، وسوف يكون مؤسفاً لو تجاوزتها هكذا.

ثم حرك أصابعه ملقحاً إلى السرعة وأضاف: لا يوجد ما يدعوني إلى العجلة، سأمكث هناك سائحاً لبضعة أيام.

هبث ريح باردة عبر الرصيف فارتعش الرجلان، واستطاع الملازم دويوسك أن يختلس نظرة نحو ساعته. كانت تشير إلى الخامسة إلا خمس دقائق، ولم يبق سوى خمس دقائق. ولظنه أن الرجل الآخر لاحظ نظره تلك فقد أسرع إلى الكلام مرة أخرى قائلاً وهو ينظر نحو نوافذ عربة النوم فوقهما: يوجد القليل من المسافرين في هذا الوقت من السنة.

واقفه السيد بوارو قائلاً: هذا صحيح.

- فلنأمل ألا تغمركم الثلوج في طوروس.

- وهل يحدث مثل هذا الأمر؟

- نعم؛ لقد حدث هذا من قبل، ولكنه لم يحدث هذا العام بعد.

قال بوارو: "لنأمل ألا يحدث إذن". ثم أضاف: إن تقارير الطقس القادمة من أوروبا سيئة.

- سيئة جداً، مع وجود الكثير من الثلوج في البلدان.

- وفي ألمانيا أيضاً كما سمعت.

قال الملازم دويوسك ذلك بسرعة، وحين بدأ أن الحديث قد يتوقف مرة أخرى أضاف: حسناً، ستكون في القسطنطينية غداً مساءً في الساعة وأربعين دقيقة.

قال بوارو: نعم.

وفوق رأسيهما أزيلت ستارة إحدى مقصورات النوم ونظرت امرأة شابة خارج النافذة.

\* \* \*

لم تكن ماري دينهام قد نامت كثيراً منذ أن غادرت بغداد يوم الخميس الماضي، لا في القطار المنجه إلى كركوك ولا في الاستراحة في الموصل، كما لم تنم بشكل مناسب في القطار ليلة أمس. أما وقد ستمت من الاستلقاء يقظة في مقصورتها شديدة التدفئة فقد قامت ونظرت خارج النافذة.

لا بد وأن هذه هي حلب. لا يوجد كثير مما يُرى طبعاً؛ مجرد رصيف طويل ذي إضاءة خافتة، ومشاحنات كلامية غاضبة بالعربية تجري في مكان ما. كان رجلان يتحدثان أسفل نافذتها بالفرنسية، وكان أحدهما ضابطاً فرنسياً، أما الآخر فكان رجلاً ضئيل الحجم عظيم الشاربين. ابتسمت ابتسامة باهتة؛ فهي لم تر قط أحداً يلبس ملابس ثقيلة بهذا الكم من قبل. لا بد وأن الطقس بارد جداً في الخارج، وهذا هو السبب وراء التدفئة العالية في القطار. حاولت بقوة أن تُنزل النافذة إلا أنها لم تنزح.

تقدم مسؤول تذاكر عربات النوم نحو الرجلين وأخبرهما أن القطار على وشك المغادرة وأن من الأفضل أن يصعد السيد إلى القطار. رفع الرجل الصغير قبعته. يا لرأسه البضاوي! وعلى الرغم من شرودها إلا أنها ابتسمت لمرأى الرجل الضئيل المضحك. إنه من نوع أولئك الرجال الذين لا يؤخّذون مأخذ الجد.

كان الملازم دويوسك يلقي خطبة الوداع. كان قد أعد هذه الخطبة من قبل واحتفظ بها حتى اللحظة الأخيرة، وقد كانت خطبة جميلة ومنمقة. ولكن السيد بوارو ما كان ليُقبل أن يتفوق عليه أحد؛ فرد عليه التحية بأحسن منها.

وأخيراً قال مسؤول التذاكر: تفضل يا سيدي.

وتردد شديد صعد السيد بوارو إلى القطار وصعد المسؤول خلفه، ثم لوح السيد بوارو بيده فأدى الملازم دويوسك التحية له. بعد ذلك، وبهزة عظيمة، تحرك القطار ببطء متقدماً.



تمتم السيد هيركيول بوارو: أخيراً!

\*\*\*

قال مسؤول التذاكر وهو بشير بيده إلى جمال مقصورة نوم بوارو والترتيب الأنيق لأمتعته: تفضل يا سيدي؛ لقد وضعت حقيقتك الصغيرة هنا.

كان لامتداد يده مغزى واضح، فوضع بوارو فيها ورقة نقد مطوية. وعندئذ قال مسؤول التذاكر وقد أصبحت نبرته سريعة عملية: شكراً يا سيدي. تذاكرك معي يا سيدي، وسوف آخذ جواز سفرك أيضاً إذا سمحت. هل أفهم - يا سيدي - أنك سوف تقطع رحلتك في إسطنبول؟

أوماً له بوارو موافقاً وقال: لا يوجد الكثير من المسافرين على ما أظن؟

- هذا صحيح يا سيدي. معنا مسافران آخران فقط وكلاهما إنكليزي؛ عقيد من الهند وفنائة إنكليزية من بغداد. هل يحتاج سيدي إلى شيء؟

طلب السيد زجاجة صغيرة من المياه المعدنية.

إن ركوب القطار في الخامسة صباحاً مسألة فظيعة؛ فقد بقيت لشروق الشمس ساعتان لا غير. تقوقع السيد بوارو للنوم في زاوية وهو يفكر في ليلة نام فيها قليلاً وفي مهمة حساسة قام بها بنجاح، وعندما استيقظ كانت الساعة التاسعة والنصف، فانطلق إلى عربة

المطعم باحثاً عن قهوة ساخنة.

كان هناك شخص آخر فقط في هذه اللحظة، ومن الواضح أنها الشابة الإنكليزية التي أشار إليها مسؤول التذاكر. كانت طويلة نحيلة داكنة البشرة في نحو الثامنة والعشرين من عمرها، وقد ظهر شيء من الكفاءة الباردة في طريقة أكلها فطورها وفي الطريقة التي نادت بها النادل ليحضر لها مزيداً من القهوة، مما يدل على معرفة بالعالم وبالسفر. كانت تلبس ثوباً يصلح للسفر، داكن اللون ذا قماش رقيق يناسب التدفئة البالغة في القطار.

ولما لم يكن للسيد هيركيول بوارو ما يفعله فقد تسلى بدراستها عن كتب دون أن يظهر عليه ذلك، وقد حكم عليها بأنها من النوع القادر على الاعتناء بنفسها بسهولة أينما ذهبت. كانت مثلاً للهدوء والكفاءة والانضباط، وقد أعجبه الانتظام الحاد في ملامحها والشحوب اللطيف لبشرتها، كما أعجبه لمعان شعرها الأسود المتموج وعيناها الرماديتان الباردتان اللتان توحيان بالحياد، ولكنه رأى أن كفاءتها أكثر قليلاً من أن توصف بأنها امرأة مريحة.

في هذه اللحظة دخل شخص آخر إلى عربة المطعم. كان رجلاً طويلاً بين الأربعين والخمسين من عمره ذا جسم نحيل وبشرة بنية، وقد بدأ شعر صدغيه يشيب. قال بوارو في نفسه: هذا هو العقيد القادم من الهند.

انحنى القادم الجديد انحناء بسيطة نحو الفتاة قائلاً: صباح الخير يا آنسة دينهام.

- صباح الخير أيها العقيد أربوثنوت.

سألها العقيد وهو يقف واضعاً يده على الكرسي الذي يقابلها:

هل تمانعين؟

- كلا بالطبع، تفضل.

- حسناً، إن الإفطار - كما تعلمين - ليس من الوجبات التي

يروق للمرء التحدث أثناءها.

- أمل ألا يكون الأمر كذلك، ولكنني لا أعص.

جلس العقيد ونادى بحزم: "يا ولد"، ثم طلب بيضاً وقهوة.

توقفت عيناه للحظة على هيركيول بوارو ثم ابتعد بنظره بعيداً

بلامبالاة، وعرف بوارو (وهو الذي يقرأ العقل الإنكليزي بدقة) أن

العقيد قال في نفسه: "أجنبي لعين، ليس إلّا!"

وكشأن الإنكليز دائماً، لم يتبادل هذان الشخصان الكثير من

الحديث؛ فقط بعض الملاحظات العابرة، وبعد ذلك قامت الفتاة

وعادت إلى مقصورتها.

وفي وقت الغداء اشترك الاثنان في طاولة واحدة من جديد،

ومرة أخرى أيضاً أهما المسافر الثالث تماماً. كان حديثهما أكثر

نشاطاً عما كان عليه وقت الفطور، وقد تحدث العقيد أربوثنوت

عن البنجاب وأحياناً كان يسأل الفتاة عن بغداد، وبدأ واضحاً أنها

كانت تعمل مربية هناك. وأثناء الحديث اكتشفا أن لديهما أصدقاء

مشتركين؛ مما زاد الود بينهما وقلل من الرسمية الصارمة. تحدثا

عن بعض الأشخاص، ثم سألها العقيد عما إذا كانت ستسمر في  
رحلتها إلى لندن أم أنها ستوقف في إسطنبول.

- بل أنا ذاهبة إلى لندن مباشرة.

- أليس هذا مؤسفاً؟

- لقد قمت بهذه السفرة قبل سنتين وقضيت ثلاثة أيام في

إسطنبول حيثئذ.

- آه، فهمت. حسناً، أستطيع أن أقول إنني سعيد جداً لمرورك

مباشرة دون توقف لأنني سأفعل ذلك أيضاً.

اتحتى انحناءة مرتبكة، وتورد خداه وهو يفعل ذلك. وقال

بوارو في نفسه بشيء من السرور: إن عقيدنا سريع التأثر. إن القطار

خطير كخطورة الرحلات البحرية!

قالت الأنسة ديتهام -بلا عواطف- إن ذلك سيكون جيداً،

وكان في طريقة كلامها ما يوحي بالحزم.

لاحظ بوارو أن العقيد رافقها وهي تعود إلى مقصورتها. وفي

وقت لاحق مر القطار بالمناظر الرائعة في جبال طوروس، وقد كان

الاثنان يقفان جنباً إلى جنب في ممر القطار عندما نظرا إلى الأسفل

باتجاه الممر الجبلي المسمى «بوابات سيليسيا»، وفجأة تنهدت الفتاة

بعمق. وقد كان بوارو واقفاً بالقرب منهما فسمعها وهي تتمتم: إنها

رائعة جداً. أتمنى... أتمنى...

- نعم.



- أتمنى لو أستطيع التمتع بها!

لم يجيبها آربوثنوت على الفور، وبدأ الخط المربع لفكه أفسى وأكثر تهماً. ثم قال: أتمنى حقاً لو أنك خارج هذا الأمر كله.

- صه أرجوك، اسكت.

- آه، لا بأس.

ألقي نظرة انزعاج باتجاه بوارو ثم تابع كلامه: ولكن لا تروق لي فكرة كونك مربية، حيث تكونين تحت رحمة الأمهات المتسلطات وأبنائهن المزعجين.

ضحكت وفي صوتها أثر بسيط للاسترخاء وقالت: آه، لا تفكر هكذا؛ فالمربية المضطهدة أسطورة منقرضة، وأنا أؤكد لك أن الآباء والأمهات هم الذين يخافون من المربيات في هذه الأيام.

توقفاً عن الكلام، وربما أحس آربوثنوت بالمخجل بسبب فورة انفعاله.

قال بوارو لنفسه مفكراً: "إنها لكوميديا غريبة هذه التي أشاهدها هنا!" وقد قدر له أن يتذكر لاحقاً فكرته هذه.

\* \* \*

وصلوا قونية تلك الليلة في نحو الحادية عشرة والنصف، وخرج المسافران الإنكليزيان لتمرين أرجلهما بالمسير جيئة وذهاباً على الرصيف المليء بالثلوج. أما السيد بوارو فقد اكتفى بمشاهدة

النشاط المكثف في المحطة من خلال نافذته، ولكن بعد نحو عشر دقائق قرر أن بعض الهواء النقي في الخارج لن يكون سيئاً؛ فاستعد بحرص للخروج فلبس عدة معاطف ولقاعات عنق وانتعل حذاء مطاطياً رقيقاً فوق حذائه ثم انحدر ببطء نحو الرصيف وبدأ يسير على امتداده حتى تعذى قاطرة المحرك.

كانت الأصوات هي التي نهته إلى وجود الشخصين. كانا يقفان في ظل إحدى الحافلات الصغيرة وكان آربوثنوت يتحدث: ماري...

قاطعت الفتاة: ليس الآن، ليس الآن. عندما ينتهي كل شيء، عندما يصبح الأمر خلفنا. عندها...

ويحذر استدار بوارو مبتعداً وهو يتعجب، وقال في نفسه: غريب!

في اليوم التالي تساهل فيما إذا كانا قد تشاجرا؛ إذ قليلاً ما تحدث أحدهما مع الآخر، ورأى أن الفتاة بدت مضطربة، وقد ظهرت حلقات داكنة أسفل عينيها.

وفي نحو الثانية والنصف بعد الظهر توقف القطار وخرجت الرؤوس تطل من النوافذ. كان عدد من الرجال مجتمعين بجانب السكة ينظرون إلى شيء ما أسفل عربة المطعم ويشيرون إليه. وأطل بوارو من النافذة وتحدث إلى مسؤول التذاكر الذي كان يمر أمامه مسرعاً، فأجاب الرجل وعاد بوارو إلى الداخل. وعندما التفت كاد أن يرتطم بماري دينهام التي كانت تقف خلفه مباشرة.

سألت بالفرنسية وهي تلهث قليلاً: ما الأمر؟ لماذا توقفتنا؟

- لا تخافي يا آنسة. لقد شبت النار في شيء أسفل عربة المطعم. لا خطورة في الأمر، فقد تم إخماد النار وهم يصلحون الخراب الآن. لا يوجد خطر أبداً، أؤكد لك ذلك.

صدرت عنها إيماءة سريعة وكأنها تستبعد فكرة الخطر كونها شيئاً غير مهم أبداً، ثم قالت: نعم، نعم، أفهم ذلك. ولكن الوقت!

- الوقت؟

- نعم؛ هذا سوف يؤخرنا.

واقفها بوارو قائلاً: هذا محتمل، نعم.

- ولكنني لا أملك أن أتأخر؛ فمن المقرر أن يصل القطار في السادسة وخمس وخمسين دقيقة، وعليّ أن أقطع البوسفور للمحاق بقطار الشرق السريع في الجانب الآخر في الساعة التاسعة. ولو حدث تأخير لساعة أو ساعتين فسيقتنا القطار.

اعترف قائلاً: نعم، هذا محتمل.

نظر إليها متعجباً. لم تكن يدها التي تمسك بمقبض النافذة ثابتة تماماً، وكانت شفتاها أيضاً ترتعشان. سألتها: أيهمك هذا كثيراً يا آنسة؟

قالت بسرعة: "نعم، نعم، إنه يهمني. يجب... يجب أن ألحق

بذلك القطار". ثم التفتت مبتعدة عنه وسارت عبر الممر لتنضم إلى العقيد أربوثنوت.

ولكن قلقها لم يكن في محله؛ فبعد عشر دقائق بدأ القطار سيره ثانية، ووصل هيدابنتار متأخراً خمس دقائق فقط، إذ استطاع القطار أن يسرع قليلاً ويعوض بعضاً من الوقت الضائع.

كان البوسفور مائجاً ولم يستمتع بوارو بالعبور، وقد انفصل عن رفيقيه المسافرين أثناء وجوده على القارب ولم يرها ثانية.

وعندما وصل إلى جسر غالاتا توجه من فوره إلى فندق توكاتليان.

• • •

- بالتأكيد يا سيدي؛ فلا توجد صعوبة في مثل هذا الوقت من السنة والقطارات تكاد تكون خالية. درجة أولى أم ثانية؟

- أولى.

- إلى أين أنت ذاهب؟

- إلى لندن.

- سأحصل لك على تذكرة إلى لندن وأحجز لك مقصورة نوم في عربة إسطنبول كاليه.

نظر بوارو نحو الساعة مرة أخرى وكانت تشير إلى الثامنة إلا عشر دقائق. ثم سأل: هل لدي وقت للعشاء؟

- بالتأكيد يا سيدي.

مز البلجيكي الضئيل رأسه، ثم ذهب وألقى حجز الغرفة في الفندق وعبر القاعة إلى المطعم. وفيما كان يعطي طلباته إلى النادل استقرت يد على كتفه وقال صوت خلفه: صديقي العزيز، يا لها من سعادة غير متوقعة!

كان المتحدث كهلاً قصيراً بديناً قد قص شعره قصيراً، وكان يتسم بسرور. نهض بوارو بسرعة وقال: سيد بوك!

- سيد بوارو

كان السيد بوك بلجيكياً ومديراً للشركة العالمية لعربات القطارات، وكانت علاقته مع النجم السابق لجهاز الشرطة البلجيكية

## الفصل الثاني

### فندق توكاتليان

في فندق توكاتليان طلب هيركيول بوارو غرفة بحمام، ثم توجه إلى قسم استعلامات الفندق وسأل إن كان له رسائل

كانت في انتظاره ثلاث رسائل وبرقية، وارتفع حاجباه بشيء من الدهشة لرؤية البرقية، فقد كانت غير متوقعة. ثم فتحها بهدونه وتأنقه المعهودين فظهرت الكلمات المضبوعة بوضوح: التطور الذي توقعته في قضية كاسنر ظهر بصورة غير متوقعة. نرجو أن تعود فوراً.

تمتم بوارو بغيظ، ثم نظر نحو الساعة وقال لمسؤول الفندق: إنني مضطر للمضي في السفر الليلة. متى يغادر قطار الشرق السريع؟

- في الساعة التاسعة يا سيدي.

- هل تستطيع أن تحصل لي على مقصورة نوم؟

تعود لعدة سنوات ماضية.

قال السيد بوك: أراك بعيداً عن الوطن يا عزيزي.

قضية بسيطة في سوريا.

- آه. ومتى نعود إلى الوطن؟

- الليلة.

- رائع، وأنا كذلك. أعني أنني سأذهب حتى لوزان حيث لدي بعض الأمور. أنت مسافر على قطار الشرق السريع على ما أظن؟

- نعم. لقد طلبت منهم لتوي أن يحجزوا لي مقصورة نوم. كنت أنوي أن أقضي بضعة أيام هنا ولكنني استلمت برقية تدعوني للعودة إلى إنكلترا بسبب أعمال مهمة.

تهند السيد بوك وقال: آه. أعمال، أعمال! ولكنك... ولكنك في أوج مجدك هذه الأيام يا صديقي العزيز.

- ربما حصلت على بعض النجاح.

حاول بوارو أن يبدو متواضعاً لكنه أخفق في ذلك تماماً. وضحك بوك وقال: ستقابل فيما بعد.

ركز بوارو على مهمة إبعاد شاريه خارج طبق الشربة. وبعدما نفذ هذه المهمة الصعبة نظر حوله فيما كان ينتظر طبقه التالي. لم يكن في المطعم سوى نحو ستة أشخاص، ومن بين هؤلاء الستة اثنان فقط جذبا اهتمام هيركيول بوارو.

جلس هذان الاثنان على طاولة غير بعيدة. كان الأصغر منهما وجلاً حسن المنظر في الثلاثين من عمره ومن الواضح أنه أمريكي، ولكنه لم يكن هو الذي جلب انتباه رجل التحري الضئيل، وإنما رفيقه.

كان رجلاً بين الستين والسبعين من عمره، ومن مسافة قريبة بدا من أهل الإحسان والخير، فقد بدا رأسه الأصلع قليلاً وجهته المحذبة ووجهه المبسم الذي يبدي طغم أسنان صناعية بيضاء، كل هذا بدا وكأنه يتحدث عن شخصية خيرة، وحدهما العيان هما اللتان كذبتا هذا الحدس! كانتا صغيرتين وغائرتين وماكرتين. وليس هذا فحسب، إذ بينما كان الرجل يحدث رفيقه الشاب نظر عبر الغرفة واستقرت عيناه على بوارو للحظة، وفي هذه اللحظة فقط ظهر حقد غريب وتوتر غير طبيعي في نظراته.

ثم نهض قائلاً: ادفع الفاتورة يا هيكور.

كان صوته أجش بعض الشيء، وكانت لذلك الصوت نوعية غريبة ناعمة وخطيرة

عندما انضم بوارو إلى رفيقه في القاعة كان الآخران على وشك مغادرة الفندق وقد أنزلت أمتعهما، وكان الأصغر منهما يشرف على الأمور، ثم فتح الباب الزجاجي وقال: جاهزون الآن يا سيد واتشيت.

دمدم الرجل الكبير موافقاً واندفع خارجاً.

قال بوارو: حسناً، ما رأيك بهذين الاثنين؟

قال السيد بوك: إنهما أميركيان.

- إنهما أميركيان بالتأكيد، ولكنني عيت سؤالك عن شخصيتهما؟

- يبدو أن الشاب لطيف تماماً.

- والآخر؟

- في الحقيقة إنني لا آبه به يا صديقي، فقد ترك لدي انطباعاً كريهاً. وأنت؟

صمت هيركيول بوارو لدقيقة قبل أن يجيبه. وأخيراً قال: عندما مرّ بجاني في المطعم كان لدي شعور غريب وكان حيواناً متوحشاً متوحشاً تماماً قد مرّ بجاني.

- ومع ذلك فقد بدا وكأنه محترم جداً.

- بالضبط! إن الجسد (الفصص...) يبدو محترماً جداً، ولكن من خلال القضبان يُعَلِّ الحيوان المتوحش.

قال السيد بوك: إنك تتوهم يا صديقي العزيز.

- قد يكون الأمر كذلك، ولكنني لا أستطيع أن أبعد عن نفسي الانطباع بأن شراً قد مرّ بالقرب مني.

- ذلك السيد الأميركي المحترم؟

- نعم، ذلك السيد الأميركي المحترم.

قال السيد بوك بسرور: حسناً، قد يكون الأمر كذلك، ففي العالم شر كثير.

في تلك اللحظة فُتح الباب وجاء مسؤول استعلامات الفندق نحوهما بدا قلقاً ومعتذراً وقال لبوارو: إنه شيء عجيب يا سيدي؛ فلا توجد مقصورة نوم واحدة فارغة في الدرجة الأولى في القطار.

صاح السيد بوك: ماذا؟ في مثل هذا الوقت من السنة؟! آه، لا شك في أن مجموعة من الصحفيين، أو السياسيين...

التفت المسؤول نحوه باحترام وقال: لا أعلم يا سيدي، ولكن الأمر كذلك.

التفت السيد بوك نحو بوارو وقال: حسناً، حسناً. لا تخف يا صديقي، ستدبر الأمر؛ إذ توجد دائماً مقصورة تبقى غير مشغولة وهي المقصورة رقم ١٦، وهذا ما يحرص عليه مسؤول التذاكر دائماً.

ابتسم ثم نظر نحو الساعة وقال: هيا، لقد حان وقت الرحيل.

في المحطة استقبل مسؤول التذاكر بزيه البني السيد بوك باحترام بالغ: مساء الخير يا سيدي، مقصورتك هي المقصورة رقم ١.

نادى العمال الذين حملوا الأمتعة على عربات إلى وسط عربة القطار وقد كُتب على صفتاح حديدية وجهة تلت العربة: "إسطنبول-تريسي-كاليه".

- القطار محتلي هذه الليلة كما سمعت؟

- شيء فظيع يا سيدي؛ فالعالم كله اختار السفر هذه الليلة!

- لا بهم، يجب أن تجدوا مكاناً لهذا السيد هنا. إنه صديق لي، ويمكن أن تعطوه المقصورة رقم ١٦.

- لقد أخذت يا سيدي.

- ماذا؟ رقم ١٦؟

نيادلا نظرة تفاهم ثم ابتسم مسؤول التذاكر. كان رجلاً طويلاً وشاحباً في وسط العمر وقال: نعم يا سيدي؛ فالقطار مليء كما أخبرتك... مليء في كل مكان.

سأل السيد بوك غاضباً: "ولكن ما الذي يحدث؟"، ثم أضاف: هل يوجد مؤتمر في مكان ما؟ هل هي مناسبة لمجموعة ما؟

- لا يا سيدي، إنها الصدفة فقط. كل ما في الأمر أن العديد من الناس اختاروا أن يسافروا هذه الليلة.

أصدر السيد بوك صوتاً يعبر عن الانزعاج وقال: في بلغراد ستنضم قاطرة إضافية قادمة من أثينا، بالإضافة إلى قاطرة بوخارست باريس، ولكننا لن نصل بلغراد حتى مساء الغد، فالمشكلة هي في هذه الليلة فقط. ألا توجد مقصورة فارغة في الدرجة الثانية؟

- توجد مقصورة فارغة في الدرجة الثانية.

- حسناً، إذن...

- ولكنها مقصورة سيّدة، وفيها سيّدة ألمانية. إنها خادمة.

قال السيد بوك: هذا صعب.

قال بوارو: لا تزعج نفسك يا صديقي؛ سأسافر في عربة عادية.

- أبداً، أبداً.

التفت ثانية نحو مسؤول التذاكر وقال: هل وصل النجم؟

قال الرجل ببطء وتردد: في الواقع مسافر لم يصل بعد.

- تكلم. ثم؟

- المقصورة رقم ٧ في الدرجة الثانية. لم يصل الرجل بعد والساعة الآن التاسعة إلا أربع دقائق.

- من هو؟

- رجل إنكليزي.

نظر مسؤول التذاكر في قائمته ثم أكمل: السيد هاريس.

قال بوارو: اسم ذو فال حسن. إنني أقرأ روايات ديكنز، والسيد هاريس لن يأتي.

قال السيد بوك: ضع أمتعة السيد في المقصورة رقم ٧، وإذا وصل السيد هاريس هذا فسنقول له إنه قد تأخر وإنه لا يمكن حجز المقصورات إلى هذا الوقت... مستدبر الأمر بطريقة ما. ماذا يهمني من أمر السيد هاريس؟



قال مسؤول التذاكر: كما يحب سيدي.

ثم كلم الحمال الذي كان يحمل أمتعة بوارو وأرشده إلى أين يذهب، وبعد ذلك تنحى عن الدرجات ليدع بوارو يدخل القطار وقال: المقصورة قبل الأخيرة.

مر بوارو عبر الممر ببطء نوعاً ما لأن معظم المسافرين كانوا يفنون خارج مقصوراتهم، وكانت اعتذاراته تصدر بانتظام يشابه انتظام الساعة، وأخيراً وصل إلى المقصورة المنشودة وبدأخلها كان الشاب الأميركي الطويل (الذي رآه في فندق توكاتيان) يمد يده إلى الأعلى نحو حقيبته. وعندما رأى بوارو يدخل قطب حاجبيه وقال: اعتذرنى! أظن أنك ارتكبت خطأ.

ثم قال جاهداً بالفرنسية: أظن أن هذا المكان محجوز.

أجابه بوارو بالإنكليزية: أنت السيد هاريس؟

- لا. اسمي ماكوين. إنني...

وفي هذه اللحظة جاء صوت مسؤول التذاكر من خلف بوارو بنبرة اعتذارية ونفس مقطوع: لا يوجد سرير آخر على القطار يا سيدي، ويجب أن يبقى هذا السيد هنا.

كان يرفع نافذة الممر وهو يتكلم، ثم بدأ يرفع أمتعة بوارو.

ولاحظ بوارو الاعتذار في صوته بشيء من التعجب. لا بد وأنه وُعد بمكافأة سخية لو استطاع أن يُبقى المقصورة لاستعمال المسافرين الآخر فقط، ولكن حتى أكبر المكافآت سخاء تفقد تأثيرها إذا كان

رئيس الشركة على متن القطار يعطي أوامره.

خرج مسؤول التذاكر من المقصورة بعد أن رفع الحقيبة على الرف وقال: حسناً يا سيدي، لقد تم ترتيب كل شيء. سريرك هو العلوي، رقم ٧. سنتطلق بعد دقيقة.

سار مسرعاً عبر الممر، ودخل بوارو إلى المقصورة ثانية وقال بانشرح: ظاهرة نادرة ما رأيتها. ثم أضاف: مسؤول التذاكر يرفع الأمتعة بنفسه؟ لم أسمع بهذا من قبل!

ابتسم رفيق سفره، وقد بدا واضحاً أنه تخطى الانزعاج الذي أصابه. ولعله رأى أن من المستحسن أن ينظر إلى الأمر بصورة فلسفية؟ فقد قال: إن القطار ممتلئ بصورة عجيبة.

صوتت صافرة وصدر عن المحرك صوت كتيب وخرج الرجلان إلى الممر صاح صوت في الخارج: "انطلاق"، فقال ماكوين: لقد تحركنا.

ولكنهم لم يتحركوا حقاً، وصوتت الصافرة مرة أخرى.

قال الشاب فجأة: أقول يا سيدي، إذا كنت تفضل السرير السفلي (للسهولة وما إلى ذلك) فليس لدي مانع.

اعترض بوارو قائلاً: لا، لا. لن أحرمك...

- لا بأس بذلك.

- إنك لطيف جداً.

صدرت اعتراضات مؤدبة من الطرفين، ثم أوضح بوارو: إنها  
لليلة واحدة فقط، ففي بلغراد...

- آه، فهمت. ستغادر القطار في بلغراد.

- ليس تماماً. أترى...؟

وقعت هزة مفاجأة، والتفت الرجلان نحو النافذة ونظرا نحو  
الرصيف الطويل وهو يمر مبتعداً عنهم.

لقد بدأ قطار الشرق السريع رحلته لثلاثة أيام عبر أوروبا.

• • •

ناخر السيد هيركيول بوارو قليلاً في الدخول إلى غرفة المطعم  
لتناول الغداء في اليوم التالي. كان قد صبحاً مبكراً وأفطر وحده تقريباً  
وأمضى صباحه يراجع ملاحظات القضية التي دعته للعودة إلى لندن،  
ولم يَرَ إلا القليل من رفيقه في السفر.

كان السيد بوك جالساً قبله، وأشار بتحية نحوه ودعاه إلى  
كرسي فارغ أمامه. جلس بوارو وأدرك على الفور أنه يجلس في  
مكان متميز حيث كانت الطاولة تُخدم قبل غيرها، وكان الطعام  
جيداً على غير العادة. ولم يخرج السيد بوك عن موضوعات الطعام  
إلا وهما بهمان يتناول طبق من جبن الكريمة. كان قد بلغ في طعامه  
مرحلة يصيح المرء فيها متفلسفاً. تنهد وقال: آه، لو أن لي قلم بلزاك  
لكنت وصفت هذا المنظر.

ثم أشار بيده، فقال بوارو: إنها فكرة جيدة.

- آه، أتوافقني؟ لم يتم أحد يمثل هذا الأمر على ما أظن،

خفيفة ونهضت. وانتفت نظراتها بظفرة بوارو لها فرمقة من أعلى إلى أسفل بطريقة الأرستقراطية غير العابثة.

قال السيد بوك بصوت خافت: تلك هي الأميرة دراغوميروف. إنها روسية، وقد حصل زوجها على كل هذا المال قبل الثورة واستثمره في الخارج. إنها ثرية جداً، وتعرف العالم كله.

أوما بوارو برأسه، فقد سمع عن الأميرة دراغوميروف.

قال السيد بوك: "إنها شخصية متميزة". ثم أضاف: إنها شديدة القبح، ولكن لها حضوراً. ألا توافقني؟

وافق بوارو.

وعلى طاولة أخرى كبيرة جلست ماري دينهام مع امرأتين أخريين. إحداهما كانت طويلة في وسط العمر تلبس قميصاً ذا نسج مربع وتنورة من القماش الإنكليزي الثقيل، وقد صفقت شعرها الأصفر على شكل كعكة على رأسها. كانت تلبس نظارات ولها وجه طويل خانع ودود كوجه المعجزة، وكانت تنصت إلى المرأة الثالثة التي كانت كهلة بدينة ذات وجه لطيف وتحدثت بصوت بطي، وواضح ومتصل بحيث لم تُظهر أية إشارة تدل على التوقف لالتقاط الأنفاس أو للتوقف عن الكلام: ولذلك قالت ابنتي: "لا يمكنك تطبيق الطرق الأميركية في هذا البلد، فمن الطبيعي أن يكون الناس هنا كسالى". وقالت: "لا يوجد عندهم دافع يدعوهم إلى العجلة ولكني لم أهتم بهذا، وسوف تُفاجئين لو تعلمين ما الذي تقوم به كليتنا هناك. إن لدينا هيئة تدريسية جيدة وأظن أنه لا يوجد شيء

كالتيعليم. تقول ابنتي...

مر القطار في نفق فضاء ذلك الصوت الهادي وسط الضجيج

وعلى الطاولة الصغيرة التي تلي تلك جلس العقيد آربوثنوت وحده. كان يحدق إلى مؤخرة رأس ماري دينهام. لم يجلسا معاً رغم أنه كان من السهل ترتيب ذلك. لماذا؟

فكر بوارو أن ماري دينهام ربما تكون قد احتشمت قليلاً؛ فالمرية تتعلم كيف تكون حريصة لأن المظاهر مهمة، وفئة تعمل من أجل العيش عادة ما تكون منحفظة.

انتقلت نظراته إلى الجانب الآخر من العربة. كانت امرأة تلبس السواد تجلس في الطرف البعيد قرب الحائط، وكانت ذات وجه عريض عديم المشاعر. وفكر في أنها قد تكون ألمانية أو إسكندنافية... ربما تكون خادمة ألمانية.

وبعدما كان ثمة زوجان متكئان إلى الأمام يتحدثن ويؤثران بأيديهما. كان الرجل يلبس ملابس فضفاضة مصنوعة من قماش إنكليزي ثقيل ولكنه لم يكن إنكليزياً، وعلى الرغم من أنه كان يجلس وظهره إلى بوارو إلا أن مؤخرة رأسه ووضعية كتفيه أظهرتا جنسيته. كان رجلاً ضخماً ذا بنية متينة، وأدار رأسه فجأة فأبصر بوارو جانب وجهه. كان رجلاً وسيماً جداً في الثلاثينيات من عمره وقد أطلق شاربين أشقرين كبيرين.

أما المرأة المقابلة له فكانت شابة صغيرة السن، وخقن أن عمرها عشرون عاماً. كانت تلبس معطفاً ضففاً أسود وقميصاً من

الساتان الأبيض، وقد وضعت على رأسها قبعة سوداء صغيرة وجميلة تميل بزاوية حادة. كان لها وجه جميل أجنبي المنظر وجلد شديد البياض وعينان بيضاء واسعتان وشعر أسود داكن، وتزيين يدها ياقوتة ضخمة في إطار من البلاتين، وكان في نظرتها وفي صوتها شيء من الدلال.

تمتم بوارو: إنها جميلة وأنيقة! رجل وزوجته، ها؟

أوما السيد بوك موافقاً وقال: من السفارة الهنغارية كما أظن. زوجان جميلان.

كان في العربة مسافران آخران فقط، وهما رفيق بوارو في السفر ماكوين ورئيسه السيد راتشيت. وقد جلس الأخير مقابلاً لبوارو، وللمرة الثانية تمنع بوارو في ذلك الوجه غير الحذاب ملاحظاً عينيه الصغيرتين القاسيتين.

لا شك في أن السيد بوك رأى تغيراً في تعابير وجه صديقه، إذ سأله: أترأك تنظر إلى حيوانك المتوحش؟

أوما بوارو بالإيجاب. وعندما أحضرت قهوته نهض السيد بوك على قدميه، ولأنه بدأ قبل بوارو فقد أنهى وجبته قبل مدة. قال: أنا عائد إلى مقصورتى. تعال عندي عندما تنتهي ودعنا نتحدث.

- بكل سرور.

رشف بوارو قهوته فيما كان النادل يتقل من طاولة إلى أخرى حاملاً صندوق نفوده جامعاً قيم الفوائير المختلفة، وارتفع صوت

المرأة الأميركية حاداً شاكياً: قالت ابتني! ابتاعي دفتر تذاكر الطعام ولن تواجهي أية متاعب. ولن تواجهي متاعب أبداً. ولكن لا يبدو هذا صحيحاً الآن؛ إذ يبدو أنهم يضربون بنسبة عشرة بالمئة إكرامية، بالإضافة إلى زجاجة المياه المعدنية أيضاً، وبها لها من مياه غريبة! فليس لديهم مياه من نوع إيفيان أو فيشي، وهذا يبدو غريباً لي.

قالت السيدة ذات الوجه الخانع كوجه نعمة: إنهم مضطرون لتقديم مياه البلد الذي نكون فيه

- إن الأمر يبدو غريباً بالنسبة لي.

نظرت باشمزاز إلى كومة النقود الصغيرة على الطاولة أمامها، ثم أضافت. وانظروا إلى هذه الأشياء الغريبة التي أعطانيها؛ إنها لا تبدو محترمة مثل نقودنا. لقد قالت ابتني.

دفعت ماري ديينهام كرسيها إلى الخلف وغادرت وهي تنحني الحناء بسيطة نحو المرأتين، ثم قدم العقيد أربوثنوت وتبعها. جمعت السيدة الأميركية نفودها المحترمة وغادرت أيضاً، وتبعها السيدة التي تشبه النعمة. وكان الهنغاريان قد غادرا من قبل فأصبحت عربة المطعم خالية إلا من بوارو وراتشيت وماكوين.

تحدث راتشيت مع رفيقه الذي نهض وغادر العربة، ثم نهض هو الآخر، ولكنه بدل أن يتبع ماكوين جلس بصورة غير متوقعة في المقعد المقابل لبوارو وقال: أسمع لي بثقاب؟

كان صوته ناعماً في أثر يوحى وكأنه يخرج من أنفه. ثم قال: اسمي راتشيت.

انحنى له بوارو قليلاً ووضع يده في جيبه وأخرج علبة نقاب وناولها للرجل الآخر الذي أخذها بدوره ولكنه لم يشعل عوداً منها، بل تابع كلامه قائلاً: أظن أنني أحظى بشرف التحدث إلى السيد هيركيول بوارو، أليس كذلك؟

أحنى بوارو رأسه ثانية وقال: لقد أعطيت معلومات صحيحة يا سيدي.

كان رجل التحري واعياً لتلكما العينين الغريبتين وهما تقيمانه قبل أن يتكلم الرجل مرة أخرى: نحن، في بلدي، ندخل إلى صلب الموضوع مباشرة يا سيد بوارو. أريدك أن تتولى لي مهمة.

ارتفع حاجبا هيركيول بوارو قليلاً وقال: إن زياتني محدودون هذه الأيام يا سيدي، وأنا لا أقبل إلا القليل من القضايا.

رد الرجل: "إنني أنفهم الوضع بطبيعة الحال، ولكن هذا الأمر يتطلب على أموال طائلة يا سيد بوارو. ثم كرر بصوته الناعم والمغري: أموال طائلة!

صمت هيركيول بوارو لدقيقة أو اثنتين ثم قال: ما الذي تريدني أن أفعله لك يا سيد... واتشيت؟

- إنني رجل ثري يا سيد بوارو... ثري جداً. وأي رجل في مثل هذا الموقف يكون لديه أعداء، وأنا لديّ عدو.

- عدو واحد فقط؟

سأل واتشيت بحدة: ما الذي تعنيه بهذا السؤال؟

- تفيد خبرتي، يا سيدي، بأن الرجل إذا كان في موضع يجلب له الأعداء - كما تقول - فعادة ما لا يقتصر الأمر على عدو واحد.

بدأ واتشيت مرتاحاً لجواب بوارو فقال بسرعة: آه، نعم، أفكر لك هذه النقطة، ولكن لا يهم أعدو واحد هو أم أعداء متعددون... المهم هو سلامتي.

- سلامتك؟

- لقد هدد أحدهم حياتي. وأنا رجل أستطيع أن أعني بنفسني جيداً يا سيد بوارو...

أخرج من جيب معطفه مسدساً ثم تابع متجهماً: لا أظنني من نوع الرجال الذين يمكن أن يؤخذوا على حين غرة، ولكنني أود أن أكون متأكداً جداً من سلامتي، وأظن أنك الرجل الذي يستحق مالي يا سيد بوارو... وتذكّر أنها أموال طائلة.

نظر إليه بوارو مفكراً لبعض الوقت بوجه خال تماماً من أي تعبير، وما كان للرجل الآخر أن يتكهن بما يدور في خلده. وبعد بعض الصمت قال: أنا آسف يا سيدي لأنني لا أستطيع أن أقبل الأمر.

نظر إليه الآخر بحدة وقال: حدد المبلغ الذي تريد إذن؟

هز بوارو رأسه ناعياً وقال: أنت لا تفهمني يا سيدي. لقد كنت محظوظاً جداً في مهنتي، وقد حصلت من المال على ما يكفي لإشباع حاجاتي كلها، وأنا لا أقبل من القضايا الآن إلا ما يشير اهتمامي.

قال رانشيت: إن لديك إصراراً كبيراً. هل يغريك مبلغ عشرين ألف دولار؟

لن يعريني.

- إذا كنت ترفض بغية الحصول على المزيد فلنك لن تنال ذلك؛ لأنني أعرف قيمة كل شيء بالنسبة لي وكذلك أنا... يا سيد رانشيت.

- وما هو العيب في عرضي؟

نهض بوارو وقال: اعدوني إذا كنت داتياً في هذا الأمر إسي لا أحب وجهك يا سيد رانشيت! ثم غادر عربة المطعم.

\*\*\*

وصل قطار الشرق السريع إلى بلغراد في التاسعة إلا ربعا من تلك الليلة ولم يكن مقرراً أن يغادر حتى التاسعة والربع، لذلك نزل بوارو إلى الرصيف، ولكنه لم يستمر هناك طويلاً؛ فقد كان البرد قارساً. وعلى الرغم من أن الرصيف نفسه كان محمياً إلا أن الثلج كان ينساقط بشدة خارجه، فرجع بوارو إلى مقصورته.

وهناك قال له مسؤول التذاكر الذي كان يضرب بقدميه على الرصيف ويلوح بيديه طلباً للدفء: لقد تم وضع أمتعتك في المنصورة رقم ١١ مقصورة السيد بوك.

- ولكن أين السيد بوك إذن؟

- لقد انتقل إلى العربة القادمة من أثينا والتي تم وصلها بالقطار لنشوا.

ذهب بوارو باحثاً عن صديقه بوك الذي أبدى رفضه لاعتراضات بوارو قائلاً: أن لم أفعل شيئاً، لم أفعل شيئاً؛ فلو وضع هكذا مريح

## الفصل الرابع صيحة في الليل



أكثر. أنت ستمكث طويلاً الرحلة وصولاً إلى إنكلترا، ولذلك فإن من الأفضل أن تبقى في العربة التي ستمضي إلى كاليه، أما أنا فإني مرتاح هنا، فالمقصورة هادئة جداً وليس فيها إلا أنا وطبيب يوناني. آه، يا صديقي، يا لها من ليلة! يقولون إن الثلوج لم تهطل بهذه الغزارة منذ سنوات. لنأمل ألا تحتجزنا، ودعني أخبرك بأنني غير سعيد بهذا الوضع.

تحرك القطار من المحطة في الساعة التاسعة والربع بالضبط، وبعد ذلك بقليل بهض بوارو وتمنى لصديقه ليلة سعيدة، ثم مشى عبر الممر عائداً إلى عربته التي كانت في المقدمة بعد عربة المطعم.

وفي هذا اليوم (اليوم الثاني من الرحلة) بدأت الحواجز تسقط بين المسافرين؛ فقد وقف المعتيد آربوثنوت أمام مقصورته يتحدث إلى ماركين. وقطع ماركين حديثه عندما رأى بوارو وقد بدت عليه المفاجأة وصاح قائلاً: ماذا؟ اعتقدت أنك غادرتنا. لقد قلت إنك ستغادر القطار في بلغراد.

قال بوارو وهو يشتم: لقد أسأت فهمي. أذكر أن القطار تحرك من إسطنبول في اللحظة التي كنا نتحدث فيها عن الموضوع.

- ولكن حقائبك يا رجل... لقد اختفت.

- لقد نُقِلْتُ إلى مقصورة أخرى، هذا كل ما في الأمر.

- آه، فهمت.

تابع محادثته مع آربوثنوت ومضى بوارو عبر الممر. وقبل

مقصورته ببابين كانت تقف المرأة الأميركية الكهنة، السيدة هوبارد، تتحدث إلى المرأة الشبيهة بالنعجة، والتي كانت سويدية.

كانت السيدة هوبارد تقدم مجلة إلى المرأة الأخرى قائلة: أبدأ! خذها يا عزيزتي، فلدي أشياء أخرى كثيرة للقراءة. يا إلهي! أليس البرد شتاءً مخيفاً؟

ثم أومات برأسها ودياً لبوارو، فيما قالت السيدة السويدية: أنت لطيفة جداً.

- لا عليك. أرجو أن تنامي جيداً وأن يزول صداعك في الصباح.

- إنه البرد فقط. سأصنع لنفسي كوباً من الشاي.

- هل لديك بعض الأسبرين؟ هل أنت متأكدة؟ فلدي الكثير منه. حسناً، طابت ليلتك يا عزيزتي.

التفتت نحو بوارو متحدثة بعد أن غادرت المرأة الأخرى: يا للمسكينة! إنها سويدية، وكما فهمتُ فإنها تعمل معلمة من نوع ما. إنها لطيفة غير أنها لا تتكلم الإنكليزية جيداً، وقد اهتمت كثيراً بما أخبرتها به عن ابنتي.

كان بوارو قد عرف -عندئذ- كل شيء عن ابنة السيدة هوبارد، بل إن كل من يفهم الإنكليزية على متن القطار عرف كل شيء عن ابنتها التي كانت وزوجها من أعضاء الهيئة التدريسية في كلية أميركية كبيرة في صمبرنا.

فُتح الباب الذي يليهم وخرج منه الخادم النحيل الشاحب، ولمح بوارو في داخل المقصورة السيد راتشيت جالساً على السرير، وعندما رأى بوارو تغير وجهه غضباً، ثم أغلق الباب.

تحت السيدة هوبارد بوارو جانباً وقالت: أنا خائفة لدرجة الموت من ذلك الرجل. آه، ليس الخادم، وإنما الآخر، سيده. ياله من سيد! فيه شيء غير طبيعي. بيتي تقول دائماً إن حدسي صادق: "عندما تخشني أمي شيئاً فإن حدسها يكون صحيحاً تماماً"... هذا ما تقوله ابنتي، إن لدي إحساساً إزاء ذلك الرجل. إنه يقيم في المقصورة التي بجانبتي ولا أحب ذلك. لقد وضعتُ حقائبي أمام الباب الذي يفصل مقصورتنا ليلة أمس، وأظنني سمعته يحاول العبث بيد الباب. أنعلم؟ لن أعجب إذا تبين أن ذلك الرجل قاتل، أو أنه واحد ممن نقرأ عنهم من الذين يسطون على المفطرات. قد نظنني غبية ولكن هذا ما أضه إسي خائفة جداً من ذلك الرجل! قالت ابنتي إنني سأقضي رحلة سهلة، ولكنني لست سعيدة بهذه الرحلة. قد يكون هذا غباء ولكنني أشعر أن أي شيء قد يحدث... أي شيء، ولا أستطيع أن أفهم كيف يتحمل ذلك الشاب اللطيف أن يكون سكرتيره.

كان العقيد أربونوت وماكوين يتقدمان باتجاههما في الممر، وماكوين يقول لصاحبه: تعال إلى مقصورتني؛ فلم يتم ترتيبها للنوم بعد. إن ما أود فهمه عن سياستكم في الهند هو...

مرّ الرجلان وابتعدا عنهما عبر الممر نحو مقصورة ماكوين، وتمنت السيدة هوبارد ليلة سعيدة لبوارو قائلة: أظنني سأذهب من فوري إلى السرير وأقرأ. طابت ليلتك.

- طابت ليلتك يا سيدي.

ذهب بوارو إلى مقصورته التي كانت بعد مقصورة راتشيت مباشرة، حيث ذهب إلى سريره وقرأ لمدة نصف ساعة تقريباً وبعدها أطفأ النور.

ولكنه صبحاً جافلاً بعد عدة ساعات وقد أدرك ما الذي أيقظه. كانت آفة عالية... تكاد تكون صبيحة، في مكان ما قريب. وفي نفس اللحظة سمع رنة جرس حادة.

جلس بوارو وأشعل الضوء ولاحظ أن القطار كان واقفاً... ربما في محطة ما، أجفنته تلك الصبيحة، وتذكر أن راتشيت هو الذي يقطن المقصورة التي بجانبه. نهض من السرير وفتح الباب في نفس اللحظة التي أتى بها مسؤول التذاكر مسرعاً عبر الممر وطرق على باب راتشيت. أبقى بوارو بابه مفتوحاً فتحة صغيرة وبدأ يراقب. طرق المسؤول الباب مرة ثانية ثم قرع جرس وظهر ضوء من باب آخر في الممر، فالتفت المسؤول نحو ذلك الضوء.

وفي نفس اللحظة سمع صوت داخل المقصورة التي بجانبه يقول بالفرنسية: لا يوجد شيء، كان ذلك خطأ مني.

قال مسؤول التذاكر: "حسناً يا سيدي". ثم أسرع ليدق على الباب الذي ظهر الضوء فوقه.

عاد بوارو إلى سريره وقد ارتاح ذهنه وأطفأ النور. نظر إلى ساعته وكانت تشير إلى الواحدة إلا ثلاث وعشرين دقيقة.

\*\*\*

قَرع الجرس مرة بعد أخرى. أين هو الرجل؟ لقد فقد صبر أحدهم. إن قارع الجرس، أيّاً كان، قد أبغى إصبعه على الجرس.

فجأة أتى الرجل بسرعة وصوت وقع أقدامه يتردد عبر الممر. طَرَق باباً ليس بعيداً عن مقصورة بوارو، ثم أنت الأصوات: صوت المسؤول وفيه نبرة احترام واعتذار، وصوت امرأة، مُلحّة مهذّرة.

السيدة هوبارد... ابتسم بوارو مع نفسه.

استمر الجدل لبعض الوقت، واستولت السيدة هوبارد على تسعين بالمئة من الحديث بينما اكتفى المسؤول بعشرة بالمئة قضائها وهو يحاول تهدئة الموقف. وأخيراً بدا أن المشكّنة قد حُلّت، فقد سمع بوارو بوضوح: "تصبحين على خير يا سيدتي"، ثم صوت باب يغلق.

ضغط بوارو بإصبعه على الجرس، فوصل المسؤول في الحال وبدأ مقتطاً قلماً.

- زجاجة مياه معدنية من فضلك.

- حسناً يا سيدي.

ولعل الرجل رأى لمعة في عيني بوارو دعتة إلى أن يروح بما في نفسه: المرأة الأميركية...

- نعم؟

مسح جبينه وقال: تخيل الوقت العصيب الذي قضيته معها!

## الفصل الخامس

### الجريمة

وجد بوارو صعوبة في العودة مباشرة إلى النوم، فقد افتقد حركة القطار الرتيبة. ولئن كانت هذه محطة فلا ريب في أنها هادئة بصورة غريبة. وفي المقابل كانت الأصوات داخل القطار عالية على غير العادة. استطاع أن يسمع راتشيت يتحرك في المقصورة التي بجانبه وسمع صوتاً صادراً عن فتح المفصلة وصوت الماء يجري من الصنبور وصوت ارتطام الماء على المفصلة، ثم سُمع صوت آخر دلّ على إغلاق الماء، وصوت أقدام تمر في الممر خارجاً وكانت صوت أقدام شخص يلبس نعالاً خفيفاً.

استلقى بوارو يفتأً يحدق إلى السقف. لماذا كانت المحطة هادئة لهذه الدرجة في الخارج؟ شعر بجفاف في حلقه وقد نسي أن يطلب زجاجته الممهددة من المياه المعدنية. نظر إلى ساعته مرة أخرى وكانت تشير إلى الواحدة والربع. سيقع الحرس ويطلب من المسؤول بعض المياه المعدنية. وتحرك إصبعه نحو الجرس، ولكنه توقف عندما سمع قرع جرس آخر في هدوء الليل، فلا يمكن لذلك الرجل أن يجيب على جميع الأجراس مرة واحدة.

إنها نصرٌ ونصرٌ على أن في مفصورتها رجلاً! تخيل يا سيدي. في مساحة بهذا الحجم؟

حرك ذراعه مشيراً إلى حجم الغرفة ثم أضاف قائلاً: أين يمكن أن يخبئ؟ لقد تجادلت معها وبيئت لها أن ذلك مستحيل، ولكنها نصرٌ على أنها استيقظت وراة رجلاً هناك. فسألتها: وكيف خرج وأقفل الباب من الداخل؟، ولكنها لا تريد سماع صوت العقل. وكأننا بحاجة لمنفصات جديدة. ألا تكفي هذه الثلوج...؟

- الثلوج؟

- نعم يا سيدي، ألم تلاحظ؟ لقد توقف القطار بسبب كثافة الثلوج، ولا يعلم إلا أنه كم سبقي هذا. أذكر مرة أن الثلوج عاقبتنا لمدة سبعة أيام.

- أين نحن؟

- بين فينكوفي وبرود.

قال بوارو بحزن: يا إلهي!

انسحب الرجل ثم عاد بالماء وقال: طابت ليلتك يا سيدي.

شرب بوارو كأساً من الماء، ثم حاول النوم ثانية. وكان في بداية غفوته عندما أيقظه - ثانية - صوت آخر، ولكنه بدا هذه المرة وكأنه صوت شيء ثقيل يرتطم بالباب.

قفز مسرعاً وفتح الباب ونظر خارجه... لا شيء. ولكن عن يمينه وفي نهاية الممر كانت امرأة ملفعة بقميص نوم قرمزي تشبه

مبتعدة عنه. وفي الطرف الآخر جلس المسؤول في كرسيه الصغير يسجل أرقاماً على أوراق كبيرة. وكان كل شيء ساكناً سكون الموت.

قال بوارو: "ربما كانت أعصابي مجتهدة"، ثم ذهب إلى فراشه، وفي هذه المرة نام حتى الصباح.

\* \* \*

عندما استيقظ كان القطار ما يزال واقفاً، فرفع الستارة ونظر خارجاً. كت أكوام من الثلوج تحيط بالقطار. ونظر إلى ساعته فوجد أن الوقت قد تعدى التاسعة.

وفي العاشرة إلا ربعاً اتجه نحو عربة المطعم مرتباً ومثاقماً كعادته فوجدتها تعج بأصوات الساخطين ولئن كانت بعض الحواجر بين الركاب قد بقيت حتى ذلك الحين فإنها قد سقطت كلها؛ إذ وخذ سوء الطالع بين مصائر الناس. وكانت السيدة هوبارد صاحبة الصوت الأعلى في اعتراضاتها؛ قالت ابنتي إنها أسهل وسيلة في العالم للسفر... "ما عليك سوى أن تجلسي في القطار حتى تصلي إلى باريس". أما الآن فقد نجلس هنا لعدة أيام، وسوف يبحر القارب بعد غد، فكيف أستطيع أن أخرج به الآن؟ بل إنني لا أستطيع أن أبرق لإلغاء الحجز. أشعر بالجنون وأنا أتحدث عن ذلك.

وقال الإيطالي إن لديه أعمالاً عاجلة في ميلانو، أما الأميركي الضخم فقد وجه كلامه إلى السيدة مخففاً عنها وقال إنه يأمل في أن يتمكن القطار من تعويض الوقت الذي أضاعوه.

بكت المرأة السويدية وقالت: "إن أختي وأولادها ينتظرونني"، ثم أضافت: لا أستطيع أن أعلمهم عما حدث. بماذا سيفكرون؟ سيقظون أن أمراً سيئاً قد حدث لي.

سألت ماري دينهام بلهجة الأمر: كم من الوقت سيقضي هنا؟ ألا يعلم أحد ذلك؟

بدت نافذة الصبر، ولكن بوارو لاحظ أنها لم يبدُ عليها أثر لذلك القلق الذي أدته عندما كانت في قطار طوروس السريع.

انطلقت السيدة هوبارد ثانية: لا يوجد أي شخص على هذا القطار يعلم شيئاً، ولا أحد يحاول أن يفعل شيئاً مجرد زمرة من الأجانب عديمي الفائدة، فلو حدث هذا الأمر في بلدي لحاول أحد أن يفعل شيئاً على الأقل.

التفت آريوثنوت إلى بوارو وتكلم بالفرنسية بلكنة إنكليزية قنلاً: إنك مدير هذه الخطوط كما أظن يا سيدي، فهل لديك أي رأي...

صحح بوارو بالإنكليزية وهو ينسم: لا، لا... لست أنا. لقد خلطت بيني وبين صديقي السيد بوك.

- آه، أنا آسف.

- لا عليك، إنه أمر طبيعي؛ فانا أمكث الآن في المقصورة التي كان يشغلها.

لم يكن السيد بوك موجوداً في عربة المطعم، ونظر بوارو حوله ليري من غيره كان غائباً.

لم تكن الأميرة دراغوميروف موجودة ولا الزوجان الهنغاريان، وكذلك رانشيت وخادمته والخادمة الألمانية، كنهم كانوا غائبين.

مسحت المرأة السويدية عينها وقالت: أنا غبية. إنني أبكي كالأطفال، لن يحدث إلا ما يريد الله.

إلا أن هذه الروح العملية لم تكن موجودة لدى الجميع، فقد قال ماكوين متزعجاً: قد يكون هذا جيداً، ولكننا قد نُحتَجَزُ هنا لأيام.

سألت السيدة هوبارد باكية: ما اسم هذا البلد على أية حال؟ عندما أخبرت أنها يوغوسلافيا قالت: آه! إنها واحدة من دول البلقان تلك. ماذا تتوقعون منهم؟

قال بوارو للآنسة دينهام: أنت الصبورة الوحيدة هنا يا آنسة. هزت كتفها قليلاً وقالت: وما الذي يستطيع أن يفعله المرء؟ - أنت فيلسوفة يا آنسة.

- هذا يدل على موقف المنسحب المتعزل، وأحسب أن موقفي أقرب للأنانية. لقد تعلمت أن أوفر على نفسي العواطف غير المفيدة.

لم تكن تنظر إليه، وإنما تعدته نظرتها إلى خارج النافذة حيث تراكت كميات كبيرة من الثلوج. وقال بوارو بلطف: إن شخصيتك قوية يا آنسة، وأظن أنها الأقوى من بين شخصياتنا جميعاً.

- آه، لا، بالتأكيد لا، أعرف شخصاً آخر ذا شخصية أقوى

مسي كثير

ومع...

فجأة بدا أنها استعادت التركيز على أفكارها وأدركت أنها تتحدث إلى أجنبي غريب لم تتبادل معه سوى بعض العبارات حتى هذه الصباح. ضحكت ضحكة غريبة ومؤدبة ثم قالت: تلك المرأة المتقدمة في السن مثلاً... ربما لاحظتها، إنها امرأة كبيرة وشديدة الشاع، ولكنها تسحر القلب، ما عليها سوى أن تحرك إصبعها وتطلب شيئاً بصوت مؤدب حتى يراكض جميع من في القطار.

قال بوارو: وكذلك يراكضون لصديقي السيد بوك، ولكن ذلك عائد إلى كونه مدير الخط وليس لأن له شخصية قوية.

ابتسمت ماري ديتنام.

\*\*\*

مضى الصباح وبقي عدد من الناس في عربة المطعم، ومن ضمنهم بوارو. بدا أن اتباع حياة اجتماعية هي الطريقة الأفضل لإضاعة الوقت، وقد سمع المزيد عن السيدة هوبارد، وسمع عن عادات حياة السيد هوبارد المتوفى، منذ أن كان يستيقظ في الصباح ويتناول فطوراً من الحبوب، إلى أن يؤدي إلى فراشه ليلاً بجوارب النوم التي اعتادت السيدة هوبارد أن تغزلها له بنفسها.

ولما كان يستمع إلى هذه التفاصيل جاء أحد مسؤولي

التذاكر ووقف بجانبه قائلاً: أعذرتي يا سيدي.

نعم؟

- السيد بوك يرسل تحياته، وسوف يُسّر لو تلمّقت وذهبت عنده لبضع دقائق.

نهض بوارو واعتذر للسيدة ونبع الرجل خارج عربة المطعم. لم يكن مسؤول التذاكر الذي يعرفه بل كان رجلاً أشقر ضخماً، وتبعه بوارو عبر ممر انعربة التي يمكث بها وممر العربة التالية أيضاً. طرق الرجل الباب وتحنى جانباً ليفتح المجال أمام بوارو للدخول.

لم تكن تلك مقصورة السيد بوك وإنما مقصورة من الدرجة الثانية، وربما تم اختيارها لكونها أكثر قليلاً ولكن على الرغم من ذلك فقد كانت مكتظة. كان السيد بوك يجلس على مقعد صغير في الزاوية المقابلة، وفي الزاوية التي تليها، بجانب النافذة ومقابلها تماماً، جلس رجل ضئيل أسمر البشرة ينظر خارجاً نحو الثلوج. كان مسؤول القطار يقف أمامه مباشرة بزيه الأزرق بحيث كان بوارو عاجزاً عن التقدم، وكان بجانب ذلك الأخير مسؤول التذاكر الذي يعرفه.

هتف السيد بوك: آه، صديقي العزيز! ادخل؛ فنحن بحاجة إليك.

انزاح الرجل الصغير قرب النافذة على مقعده وانحسر بوارو متقدماً بين الرحلين الآخرين وجلس مقابلاً لصديقه. وقد دفعه التعبير على وجه السيد بوك إلى التفكير بعمق، فقد بدا واضحاً أن أمراً غير عادي قد حدث. سأل: ما الأمر؟



- لك الحق في أن تسأل، ففي بادئ الأمر كانت الثلوج وهذا التوقف. والآن...

توقف وخرجت شهقة مخنوقة من مسؤول التذاكر.

- والآن ماذا؟

تحدث السيد بوك بشيء من اليأس الهادئ: والآن يتمدد مسافر ميت في سريره... مطمئناً.

- مسافر؟ أي مسافر؟

- أميركي. رجل يدعى... يدعى...

نظر إلى ملاحظات أمامه ثم قال: راتشيت... أهذا صحيح؟ راتشيت؟

قال مسؤول التذاكر: نعم يا سيدي.

نظر بوارو نحوه، ولما وجده أبيض الوجه بلون الكلس قال: من الأفضل أن تدعوا ذلك الرجل يجلس والآن فإنه سيفيب عن الوعي.

تحرك مسؤول انقطار قنبلاً فجلس الرجل في الزاوية وأخفى وجهه بين يديه.

قال بوارو: ممم... إنه لأمر جاد!

- إنه جاد بالتأكيد. جريمة قتل! وهذه بحد ذاتها مصيبة من الدرجة الأولى، ولكن ليس هذا فحسب، فظروف الجريمة غير

عادية! إذ أننا مجبرون على التوقف هنا، وقد تبقى لساعات وربما لأيام!

قال بوارو: إنه موقف صعب للغاية.

- ولكن الأمر يزداد سوءاً. إن الدكتور كونستانتين... لقد تسببت أن أعرف كلاً منكما بالآخر. الدكتور كونستانتين... السيد بوارو.

اتحنى الرجل الضئيل الأسمر ورد بوارو عليه.

- يرى الدكتور كونستانتين أن الوفاة قد حصلت في نحو الواحدة بعد منتصف الليل.

قال الطبيب: من الصعب أن يكون المرء دقيقاً في مثل هذه الأمور، ولكن أعتقد أنني أستطيع أن أقول بكل تأكيد إن الوفاة وقعت بين منتصف الليل وبين الثانية صباحاً.

سأل بوارو: متى شوهد السيد راتشيت حياً آخر مرة؟

قال السيد بوك: كان على قيد الحياة في نحو الواحدة إلا عشرين دقيقة عندما كلم مسؤول التذاكر.

قال بوارو: هذا صحيح تماماً، فقد سمعت الحديث. هل هذا آخر ما نعلم؟

- نعم.

التفت بوارو نحو الطبيب الذي تابع كلامه: لقد وُجِدَتْ نافذة السيد راتشيت مفتوحة مما يدعو المرء إلى الاعتقاد بأن القاتل قد هرب من هناك، ولكن برأيي أن تلك النافذة المفتوحة كانت

للتصليب؛ فهو خرج شخص من تلك الطريق لكان قد ترك آثاراً واضحة في الثلج، ولم تكن هناك أية آثار

سأل بوارو: متى اكتشفت الجريمة؟

- ميشيل

انصب مسؤول التذاكر في مقعده. كان وجهه ما يزال شاحباً وخائفاً. وأمره السيد بوك قائلاً: أخبر هذا السيد ما الذي حدث بالضبط.

تكلم الرجل بشيء من التلعثم: طرق خادم السيد وانتشيت الباب عدة مرات هذا الصباح، ولكنه لم يسمع جواباً. وقبل نحو نصف ساعة ذهب نادل عربية المطعم وأراد أن يعرف إن كان السيد يريد إقطاراً. كانت الساعة الحادية عشرة، وفنحت له الباب بمفتاحي، ولكن كانت السلسلة الحديدية مقفلة أيضاً. لم يكن هناك جواب وكان كل شيء هادئاً جداً في الداخل، وبارداً... بارداً جداً. كانت الدفعة مفتوحة والثلوج تدخل، وظننت أن الرجل ربما أصيب ببوة فطلبت مسؤول القطار، ثم كسرنا السلسلة ودخلنا. كان... آه، كان ذلك فظيلاً!

أخفى وجهه بين يديه ثانية. وسأل بوارو متأملاً: كان الباب مقفلاً بالسلسلة من الداخل؟ ألم يكن انتحاراً؟

ضحك الطبيب اليوناني ضحكة ساخنة وقال: إذا أراد رجل أن يتحرر فهل يطعن نفسه في عشرة مواضع... أو حتى في اثني عشر موضعاً، أو خمسة عشر؟

فتح بوارو عينه وقال: تلك وحشية عظيمة!

قال مسؤول القطار في أول تعليق له: إنها امرأة. كن واثقاً من أنها امرأة؛ فلا يمكن أن يطعن بهذا الشكل سوى امرأة.

تجههم وجه الطبيب كونستانتين وهو يفكر وقال: لا بد من أنها كانت امرأة قوية جداً لا أود أن أبحث في الأمور الفنية فذلك يزيد الأمور تعقيداً، ولكنني أستطيع أن أؤكد لك أن ضربة أو ضربتين شددتا بقوة كبيرة اجتازتا حواجز قاسية من العضل والعظم.

قال بوارو: من الواضح أنها لم تكن جريمة علمية.

قال الطبيب كونستانتين: إنها أبعد ما تكون عن العلم؛ إذ يبدو أن الضربات قد وُجّهت بشكل عشوائي وغير مرتب، وبعضها ارتد دون أن يسبب أي ضرر. يبدو وكأن أحداً ما أغمض عينيه ثم راح يضرب مرات ومرات بوحشية عمياء.

قال مسؤول القطار ثانية: تلك هي المرأة! إن النساء كذلك، وعندما يغضبن فإنهن يملكن قوة عظيمة. ثم هز رأسه بحكمة حتى ظن الجميع أنه مر بتلك التجربة شخصياً.

قال بوارو: قد يكون عندي شيء أضيفه إلى معلوماتكم. لقد تحدث إلي السيد وانتشيت يوم أمس وأخبرني - كما فهمت منه - أن حياته في خطر.

قال السيد بوك: لقد تم نصريفه! هذا هو التعبير الأميركي، ليس كذلك؟. ثم أضاف: فهي إذن ليست امرأة، بل مجرم عاتٍ، أو قاتل محترف.

بدا مسؤول القطار متألماً لأن نظريته بدت فاشلة.

قال بوارو: إذا كان الأمر كذلك فيبدو لي أن الجريمة قد ارتكبت بأسلوب هواة.

كانت نبرته توحى بالمعارضة التي تنطلق من خبرة وحرفية. وقال السيد بوك متابعاً فكرته: على القطار رجل أميركي ضخيم. شخص عادي المنظر ذو ثياب فطيفة ويمضغ اللبان، وهو أمر لا أظنه متبعاً في الطبقات المحترمة. أتعرف من أعني؟

أوماً مسؤول التذاكر برأسه، إذ كان السؤال موجهاً إليه: نعم يا سيدي، الرجل الذي يشغل المقصورة رقم ١٦. ولكن لا يمكن أن يكون هو لأنه كان بمقدوري أن أراه يدخل المقصورة أو يخرج منها.

- لعلك لم تره، لعلك لم تره. مستحدث في ذلك لاحقاً. السؤال هو: ماذا تفعل الآن؟

ثم نظر نحو بوارو الذي نظر إليه بدوره، فقال السيد بوك: يا صديقي! أنت تعرف ما الذي سأطلبه منك. إنني أعرف قدراتك وأريدك أن تتولى التحقيق! لا، لا. لا ترفض؛ فالأمر - كما ترى - جد ومهم بالنسبة لنا، وأما هنا أتحدث بالثبابة عن شركة الخطوط العالمية. كم سيكون الأمر بسيطاً عندما يصل الشرطة البوغسلافية لو استطعت أن نقدم لهم الحل، وإلا فسوف نواجه تأخيراً وتعقيداً في الأمور ومليون قضية مزعجة، ولكن بدلاً من ذلك تحل أنت الغموض، فنقول: لقد حصلت جريمة قتل وها هو المجرم!

- ولكن افترض أنني لم أحلها؟

قال السيد بوك: آه، يا عزيزي!

ثم أضاف وفي صوته الكثير من الإطراء: إنني أعرف عن سمعتك وأعرف شيئاً عن طرقك، وهذه هي القضية المثلى بالنسبة لك. ألم أسمعك - مرة - نقول إنه إذا أراد الرجل أن يحل قضية ما فما عليه سوى أن يستلقي في مقعده ويفكر؟ افعل ذلك. قم بمقابلة الركاب على القطار وافحص الحثة وافحص الأدلة في أماكنها، فانا متأكد من أن كلامك ذلك لم يكن مجرد عجرفة. استلق وفكر واستخدم - كما سمعتك تقول مراراً - الخلايا الرمادية الصغيرة في دماغك وسوف تعرف الحل!

مال إلى الأمام وهو ينظر إلى صديقه بحماسة، فقال بوارو بشيء من العاطفة: إن إيمانك هذا قد أثر بي يا صديقي. وكما نقول فإن هذه لن تكون قضية صعبة؛ فليلاً أمس كنتُ أنا نفسي... ولكن دعنا لا نتحدث عن ذلك الآن. في الحقيقة إن هذه المشكلة أثارت اهتمامي، إذ كنت أقول قبل أقل من نصف ساعة إن أمامنا عدة ساعات من الملل ونحن عالقون هنا، أما الآن فما هي ذي مشكلة تأتيني جاهزة.

قال السيد بوك بحماسة: أنت تقبل القضية إذن؟

- إنك تضع الأمر بين يدي.

- حسناً، نحن جميعاً في خدمتك.

- في البداية أريد مخططاً لعربة إسطنبول-كاليه مع ذكر الأشخاص الذين يشغلون مقصوراتها، كما أود أن أرى جوارت سفرهم ونداءاتهم

سوف يحصرها لك ميشيل

غادر مسؤول التذاكر المفصورة، فيما سأل بوارو. من هم المسافرون الآخرون على القطار؟

- لا يوجد في هذه العربة سوى الطبيب كونستانتين وأنا، أما في العربة القادمة من بوخارست فلا يوجد سوى رجل متقدم في السن برجل منطوعة، وهو معروف جيداً لمسؤول. وما عدا ذلك فهناك العربات العادية، إلا أنها لا تهتمنا لأنها أقفلت بعد تقديم العشاء ليلة أمس، ولا يوجد أمام عربة إسطنبول-كاليه إلا عربة المطعم

قال بوارو ببطء: إذن يبدو وكأننا يجب أن نبحث عن قنب في عربة إسطنبول-كاليه.

التفت نحو الطبيب وقال: هذا ما كنت ترمي إليه على ما أظن.

أوما اليوناني موافقاً وقال: بعد منتصف الليل بنصف ساعة واحب الشرح، ولا يمكن أن يكون أحد قد غادر القطار منذ ذلك الوقت.

قال السيد بوك: إن القاتل معنا... على القطار الآن!

\* \* \*

## الفصل السادس

### امرأة؟

قال بوارو: أود - أولاً - أن أحدث إلى الشاب مكوين، فقد يكون قادراً على إعطائنا معلومات ثمينة.

قال السيد بوك: "بالتأكيد". ثم التفت إلى مسؤول القطار قائلاً: استدع مكوين

غادر مسؤول القطار المفصورة، وعاد مسؤول التذاكر ومعه عدد من جوازات السفر والتذاكر، فأخذها السيد بوك منه قائلاً: شكراً يا ميشيل. أظن أن من الأفضل أن تعود إلى عملك الآن، وسأخذ إقدنك رسيباً في وقت لاحق.

- حسناً يا سيدي.

غادر ميشيل العربة. وقال بوارو: بعدما نرى الشاب مكوين أرحو أن يأتي السيد الطبيب معي إلى مقصورة الرجل الميت.

بالتأكيد

- وعندما تنتهي من هناك...

في هذه اللحظة عاد مسؤول الفطار ومعه هيكثور ماكوين.

نهض السيد بوك قائلاً بلطف: إن المكان ضيق هنا. اجلس في مقعدي يا سيد ماكوين، وسيجلس السيد بوارو مقابلك... هكذا.

ثم التفت نحو مسؤول الفطار وقال: أخرج الجميع من غرفة المطعم ولتكن فارغة تحت تصرف السيد بوارو، أتحب أن تجري مقابلاتك هناك يا عزيزي؟

وافقه بوارو: نعم؛ سيكون ذلك مريحاً جداً.

وقف ماكوين ينظر من رجل إلى آخر وهو غير قادر تماماً على تتبع دفع الكلمات الفرنسية بينهما، ثم بدأ كلامه بالفرنسية بصعوبة قائلاً: ما الأمر؟ ولماذا...؟

أوما له بوارو بإشارة حازمة أن يجلس في المقعد في الزاوية، فجلس وتمالك نفسه وبدأ يتحدث بلغته هو: ما الذي يجري في القطار؟ هل حدث شيء؟

ثم نظر من رجل إلى آخر، فأوما بوارو برأسه موافقاً وقال: بالضبط، لقد حدث شيء، ويجب أن تكون جاهزاً للصدمة. لقد مات مستخدمك السيد راتشيت!

زَمَ ماكوين شفثيه وأطلق صفره، وفيما عدا لمعان بسيط في عينيه فإنه لم يُظهر أية إشارة تدل على صدمة أو حزن. قال: إذن فقد نالوا منه أخيراً!

- ما الذي تعنيه بالضبط بعبارتك هذه يا سيد ماكوين؟

تردد ماكوين قليلاً، فقال بوارو: أفترض أن السيد راتشيت قد قُتل؟

- ألم يُقتل؟

هذه المرة بدا ماكوين مدهوشاً، ثم قال ببطء: نعم، هذا بالضبط ما ظنته. هل تعني أنه مات أثناء نومه؟ كيف وقد كان الرجل أقوى من...

ثم توقف إذ أعوزه التشبيه، فقال له بوارو: نعم، نعم. كان افتراضك صحيحاً جداً، لقد قُتل السيد راتشيت... طُعن، ولكنني أود أن أعرف لِمَ كنت متأكداً من أنها جريمة قتل بالفعل وليست موتاً عادياً.

تردد ماكوين ثم قال: أود أن تكون الأمور واضحة لي. من أنت بالضبط؟ وما هو مكانك في هذا الأمر؟

قال بوارو: "إنني أمثل شركة الخطوط العالمية". وتوقف قليلاً ثم أضاف: أنا رجل تحرر، واسمي هيركيول بوارو.

ولئن كان قد توقع أثراً لاسمه فإنه لم يحصل عليه، فكل ما قاله ماكوين هو: "آه، حقاً؟"، ثم انتظر أن يتابع بوارو حديثه.

- لعلك تعرف اسمي؟

- إنه يبدو مألوفاً نوعاً ما... إلا أنني كنت أظنه اسم خياط نسائي.

نظر بوارو نحوه باشمزاز وقال: هذا غير معقول!

- ما هو غير المعقول؟

- لا شيء. دعنا ننمر في موضوعنا. أريدك أن تخبرني - يا سيد ماكوين - بكل ما تعرفه عن الرجل الميت. أكنت من أقبائه؟

- لا. أنا سكرتيره... أو بالأحرى كنت كذلك.

- كم مضى عليك في هذا العمل؟

- أكثر من سنة بقليل.

- أرجو أن تعطيني كل ما تستطيعه من معلومات.

- حسناً. قابلت السيد راتشيت قبل أكثر من سنة عندما كنت

في إيران...

قاطعه بوارو: ماذا كنت تفعل هناك؟

- ذهبت إلى هناك من نيويورك للنظر في امتياز نفطي، ولا أظنك تود أن تسمع عن كل تلك القصة، فقد خدعوني وزملائي. وكان السيد راتشيت في نفس الفندق وكان قد تشاجر مع سكرتيره فعرض عليّ العمل معه وقبلت، وقد سرني أن وجدت عملاً جاهزاً براتب جيد.

- وماذا فعلت منذ ذلك الوقت؟

- سافرنا كثيراً؛ فقد أراد السيد راتشيت أن يرى العالم، وكان يعيقه عدم معرفته باللغات الأخرى. لقد عملت معه دليلاً سياحياً أكثر من عملي سكرتيراً، وكانت تلك حياة مارة.

- والآن أخبرني كل ما تستطيعه عن مُستخدِمك.

رفع الشاب كتفيه، وارتسمت على وجهه ملامح الحيرة، ثم قال: هذا ليس سهلاً.

- ما اسمه الكامل؟

- صامويل إدوارد راتشيت.

- أكان مواطناً أميركياً؟

- نعم.

- من أي جزء من أميركا؟

- لا أعلم.

- حسناً، أخبرني بما تعرفه.

- الحقيقة هي أنني لا أعلم شيئاً أبداً يا سيد بوارو! قال السيد راتشيت لم يتحدث عن نفسه أبداً، أو عن حياته في أميركا.

- ولمَ لمَ يفعل ذلك برأيك؟

- لا أعلم. تُخيل إليّ أنه ربما كان خجلاً من بداية حياته، فبعض الناس يشعرون بذلك.

- وهل هذا احتمال معقول برأيك؟

- بصراحة، لا.

- هل له أقارب؟



- لم يذكر أي أقارب له.

بقي بوارو مركزاً على هذه النقطة: لا بد وأن لديك رأياً ما  
ياسيد ماكوين.

- نعم، لدي رأي، فمثلاً لا أحسب أن راتشيت هو اسمه  
الحقيقي، وأظنه ترك أميركا هارباً من شخص ما أو شيء ما، وأظن  
أنه نجح في ذلك... حتى عدة أسابيع ماضية.

- وبعد ذلك؟

- بدأ يستلم رسائل... رسائل تهديد.

- هل رأيته؟

- نعم؛ فمن طبيعة عملي أن أتابع مراسلاته، وقد وصلت أول  
رسالة قبل أسبوعين.

- وهل تم تمزيق هذه الرسائل؟

- لا أظن. أنا ما أزال أحفظ بائتين في سجلاتي، وقد مزق  
راتشيت واحدة في ثورة غضب. أتريدني أن أحضر لك الرسالتين؟

- لو سمحت.

غادر ماكوين المقصورة وعاد بعد عدة دقائق ووضع ورقتين  
متسخين أمام بوارو.

كان نص الرسالة الأولى كالتالي:

اعتدت أنك تستطيع أن تخذعنا وتنجو بعملك،

أليس كذلك؟ لقد خاب ظنك. لقد خرجنا للإيقاع بك  
يا راتشيت، وسوف نوقع بك.

لم يكن هناك أي توقيع، ولم يُبدِ بوارو أي تعليق سوى أنه رفع  
حاجبيه ثم تناول الرسالة الثانية:

سوف نأخذك في نزوة يا راتشيت. في وقت قريب،  
وسوف نصطادك، أنفهم؟

وضع بوارو الرسالة جانباً وقال: إن الأسلوب مكرور، على  
عكس الخط.

حدّق به ماكوين، فقال بوارو بابتهاج: لن تستطيع ملاحظة  
ذلك؛ فهذا الأمر يحتاج إلى عين اعتادت هذه المسائل. إن هذه  
الرسالة لم تُكتب من قِبل شخص واحد يا سيد ماكوين، بل لقد قام  
شخصان أو أكثر بكتابتها بحيث يكتب كل واحد منهم حرفاً واحداً من  
كل كلمة وبالتناوب، وعلاوة على ذلك فإن الحروف مكتوبة بشكل  
منفصل، مما يجعل مهمة التعرف على الخط صعبة للغاية.

توقف قليلاً ثم قال: هل تعلم أن السيد راتشيت لجأ إليّ طلباً  
للمساعدة؟

- إليك أنت؟

تأكد بوارو، من نبرة صوت ماكوين المستغربة، من أنه لم يكن  
يعلم بذلك، ثم أوما برأسه وقال: نعم؛ لقد كان خائفاً. قل لي: ماذا  
كان رد فعله عندما استلم الرسالة الأولى؟

- من الصعب قول ذلك. لقد... لقد تجاهل الأمر ضاحكاً  
بهذونه المعهود. ولكن لأمر ما...

ارتعش قليلاً ثم أضاف: شعرت بأن تحت ذلك الهدوء الكثير  
من الأشياء.

أوما بوارو برأسه ثم سأل سؤالاً غير متوقع: سيد ماكوين، هل  
أخبرتني بكل صراحة ماذا كان شعورك بالضبط تجاه مستخدمك؟  
هل أحبته؟

صمت هيكتور ماكوين لدقيقة أو اثنتين ثم قال أخيراً: لا، لم  
أحبه.

- لماذا؟

- لا أستطيع الجزم بالضبط.

صمت قليلاً ثم قال: سأخبرك الحقيقة يا سيد بوارو. لقد كنتُ  
أكرهه ولا أثق به، وأنا واثق من أنه كان رجلاً قاسياً وخطيراً، ولكن  
عليّ أن أعترف بأنني لا أملك تعليلاً لرأيي هذا.

- شكراً لك يا سيد ماكوين. سؤال آخر: متى رأيت السيد  
رانشيت حياً آخر مرة؟

- ليلة أمس في نحو...

فكر قليلاً ثم قال: أستطيع أن أقول في الساعة العاشرة، حيث  
ذهبت إلى مقصوره لتدوين بعض الملاحظات له.

- عن أي موضوع؟

- عن بعض البلاط والمخاريات الأثرية التي اشتراها من بلاد  
فارس، فالبضاعة التي وصلت لم تكن هي التي اشتراها، وقد جرت  
مراسلات طويلة وساخنة حول الموضوع.

- وهل هذا هو آخر وقت شوهد فيه السيد رانشيت على قيد  
الحياة؟

- نعم، أفترض ذلك.

- هل تعلم متى استلم السيد رانشيت آخر رسالة تهديد؟

- في صباح اليوم الذي غادرنا فيه إسطنبول.

- لدي سؤال آخر أريد طرحه عليك يا سيد ماكوين: هل كنت  
على علاقة جيدة مع مستخدمك؟

فجأة لمعت عينا الشاب وقال: هذا هو السؤال الذي يُفترض أن  
ترتعد له فرانصي ولكن كما تقول الروايات البوليسية الساجحة: ليس  
عندك ما يدعيتي. لقد كنت أنا ورانشيت على علاقة طيبة جداً.

- أرجو - يا سيد ماكوين - أن تكتب اسمك كاملاً وعنوانك  
في أمبركا.

كتب ماكوين اسمه وعنوانه في نيويورك، فانتكأ بوارو إلى  
الخلف وقال: هذا كل ما لدينا الآن يا سيد ماكوين، وأرجو أن  
تحتفظ بخبر موت السيد رانشيت لنفسك في الوقت الحاضر.

- ولكن لا بد من أن يعرف خادمه ماسترمان.

قال بوارو بجفاء: لعله على علم الآن. وإذا كان الأمر كذلك فلا تَدْعُهُ بتكلم.

- لن يكون ذلك صعباً؛ فهو بريطاني ويعرف كيف يمسك لسانه كما يقول. إن احترامه للأميركان قليلاً وليس لديه احترام لأي جنسية أخرى.

- شكراً لك يا سيد ماكوين.

غادر الأميركي المقصورة، وقال السيد بوك: حسناً، ماذا؟ هل تصدق ما يقوله هذا الشاب؟

- يبدو صادقاً وصريحاً؛ إذ لم يتظاهر بأية مودة تجاه مستخدمه كما كان من شأنه أن يفعل لو كان متورطاً في هذا الأمر. ويبدو أن السيد رانشيت لم يخبره فعلاً بأنه حاول أن يوظف خدماتي وفشل في ذلك! ولكن لا أظن أن هذا الأمر يحيطه بالشكوك، وأظن أن السيد رانشيت كان رجلاً يحفظ بأموره الخاصة لنفسه كلما أمكن ذلك.

قال السيد بوك بسرور: إذن فأنت تعلن براءة شخص واحد على الأقل من الجريمة؟

نظر إليه بوارو نظرة تأنيب وقال: "أنا أشك في كل شخص حتى اللحظة الأخيرة". ثم أضاف: ولكني مع ذلك - أعترف بأنني لا أستطيع أن أتخيل ماكوين الواعي والذكي فاقداً عقله بطعن ضحيته اثني عشرة أو أربع عشرة مرة؛ فهذا لا يناسب نفسه أبداً.

قال السيد بوك مفكراً: نعم؛ لقد كان ذلك عملي رجل دفع إلى درجة الجنون نتيجة حقد أعمى، وهذا يعكس مزاجاً أقرب للمزاج اللاتيني، أو أنه يوحي بأن القاتل امرأة، كما يشير صاحبنا مسؤول القطار.

\* \* \*

ذلك، ولكن، إن كان هذا صحيحاً، فقد أخفق القاتل في هدفه هذا بسبب الشروح.

فحص إطار النافذة بحرص ثم أخرج علبة صغيرة من جيبه ونفخ بعض المسحوق عليها ثم قال: لا توجد بصمات أبداً، مما يعني أنها قد مُسحت. وحتى لو وُجدت بصمات فلن نخبرنا إلا بالقليل، فهي إما أن تكون بصمات السيد رانشيت أو خادمه أو مسؤول التذاكر، فالمجرمون لا يرتكبون مثل هذه الأخطاء في أيامنا هذه.

ثم أضاف مسروراً: وبما أن الأمر كذلك فمن الأفضل أن نغلق النافذة. إنه مخزن بارد هنا بالفعل.

ثم قام بإغلاق النافذة فعلاً وحول انتباهه، وللمرة الأولى، نحو الجسد الذي لا يتحرك على السرير.

كان رانشيت ممدداً على ظهره وعلى سترة نومه بقع حمراء، وكانت الأزوار مفككة وقد تكشفت السترة عن صدره.

أوضح له الطبيب قائلاً: كان علي أن أرى طبيعة الجراح كما نعلم.

أوما بوارو برأسه موافقاً ومال فوق الجثة، ثم انتصب واقفاً وهو يعبس قليلاً وقال: ليس بالمنظر الجميل. لا بد وأن أحدهم وقف هنا وطعنه مرة بعد أخرى. كم عدد الجراح بالضبط؟

- اعتبرتها اثني عشر جرحاً، بالإضافة إلى جرح أو اثنين طفيفين لدرجة يمكن معها اعتبارهما خدشين بسيطين. وبالمقابل توجد ثلاثة جراح على الأقل يمكن لأي واحد منها أن يسبب الموت.

## الفصل السابع الجثة

شق بوارو طريقه إلى العربية التالية يتبعه الدكتور كونستانتين، ثم إلى المقصورة التي كان يشغلها الرجل المقتول. وجاء مسؤول التذاكر وفتح لهما الباب بمفتاحه.

دخل الرجلان والتفت بوارو نحو صديقه مستفسراً: هل تم تغيير شيء في هذه المقصورة؟

- لم يلمس شيء، وقد كنت حريصاً على ألا أحرك الجثة أثناء فحصي.

هز بوارو رأسه ونظر حوله. كان أول شيء يُحس به المرء هو البرد القارس، فقد كانت النافذة مفتوحة إلى آخرها والستائر مسحوبة. ارتجف بوارو من البرد، فابتسم الآخر متفهماً وقال: لم أشأ أن أغلقها.

تفحص بوارو النافذة بحرص ثم قال: أنت على حق. لم يغادر أحد العرب من هذا الطريق. ربما أريد من فتح النافذة أن يعتقد المرء

شيء ما في نبرة الطبيب لفت انتباه بوارو فنظر نحوه بحدة.  
كان اليوناني انضبل وافقاً محدقاً إلى الأسفل نحو الجثة وقد بدت  
على وجهه نظرة حيرة، فسأله بوارو برقة: شيء ما يبدو لك غريباً،  
أليس كذلك؟ تكلم يا صديقي، أوجد شيء يحيرك؟

اعترف الآخر قائلاً: أنت على حق.

- ما الأمر؟

أوضح قائلاً وهو يشير بيده: أترى هذين الجرحين، هذا  
وهذا؟ إنهما عميقان، ولا بد من أن كل واحد منهما قد قطع بعض  
الشرايين، ولكن - على الرغم من ذلك - فإنهما غير مفتوحين ولم  
يتزفا كما يتوقع المرء لهما.

- وعلى ماذا يدل هذا؟

- يدل على أن الرجل كان قد مات قبل مدة من توجيه هاتين  
الطعنتين إليه، ولكن هذا يبدو شاذاً جداً.

قال بوارو مفكراً: نعم، يبدو الأمر كذلك. إلا إذا فكر القاتل  
أنه لم ينجز مهمته على الوجه الأكمل فعاد ليتأكد من الأمر. ولكن  
هذا يبدو غير معقول أبداً. هل من شيء آخر؟

- أمر واحد.

- وهو؟

- أترى هذا الجرح هنا أسفل الذراع الأيمن قرب الكتف؟ خذ  
قلمي هذا. هل تستطيع أن توجه مثل هذه الطعنة؟

رفع بوارو يده وقال: لقد فهمت؛ إنها ضربة صعبة جداً باليد  
اليمنى وتكاد تكون مستحيلة، على المرء أن يضرب ويده ملوثة  
للخلف. أما إذا وُجّهت الضربة باليد اليسرى...

- تماماً يا سيد بوارو. من المؤكد تقريباً أن هذه الضربة أنجزت  
باليد اليسرى.

- قاتلنا أعسر إذن؟ إلا أن الأمر أعقد من هذا، أليس  
كذلك؟

- كما قلت يا سيد بوارو: إن بعض الضربات الأخرى كانت  
بمبينة بكل وضوح.

تمتم بوارو: "شخصان؟ لقد عدنا إلى نظرية الشخصين من  
جديد!". ثم سأل فجأة: هل كان النور مُضاء؟

- يصعب الجزم بذلك؛ فمسؤول التذاكر يظنّ الأنوار عادة  
في العاشرة من كل صباح.

قال بوارو: ستخبرنا مقابيح الإضاءة عن ذلك.

فحص مفتاح الضوء العلوي ومفتاح ضوء السرير فكانا مغلقين.  
قال مفكراً: لدينا هنا فرضية القاتل الأول والقاتل الثاني كما كان من  
شأن شكبير العظيم أن يسميها. طعن القاتل الأول ضحيته وأطفأ  
النور وغادر المقصورة، ثم أتى القاتل الثاني في الظلام ولم يعلم  
(أو تعلم...) أن العمل قد أنجز، فطعن على الأقل مرتين في جثة  
ميتة. هل يفسر هذا الأمر؟

قال الطبيب بشيء من الحماسة. عظيم.

لمعت عينا بوارو وقال: أنظن ذلك؟ أنا سعيد بهذا، ولكن يبدو لي أن هذا التحليل هراء.

- وهل يوجد تحليل آخر؟

- هذا ما أسأل عنه نفسي، هل لدينا هنا صدقة أم ماذا؟ وهل سنجد المزيد من المتناقضات التي تشير إلى تورط شخصين في الموضوع؟

أظنتي أستطيع الجواب بالإيجاب؛ فكما قلت لنوي: إن بعض هذه الضربات تشير إلى ضعف... إلى نقص إما في القوة أو في العزيمة، لقد كانت ضربات ضعيفة جداً. أما هذه هنا، وهذه أيضاً، فإِنَّ قوة كبيرة كانت وراءها، إذ أنها اخترقت العضلات.

- إذن هي ضربات رجل براك؟

- بالتأكيد.

- ألا يمكن أن تكون امرأة فعلت ذلك؟

- ربما، إذا كانت شابة رياضية قوية، وخاصة إذا كانت تحت تأثير غيرة عاطفية جامحة. ولكن هذا في رأيي بعيد الاحتمال.

صمت بوارو لفترة، ثم قال الطبيب بقلق: هل تفهم قصدي؟

- تماماً، فالمسألة بدأت بإيضاح نفسها بشكل رائع! كان القتال رجلاً يمتلك قوة كبيرة... وكان ضعيفاً... وكانت امرأة..

وكان شخصاً يستعمل يده اليمنى... وكان شخصاً أعسر...

ثم قال بغضب مفاجئ: والضحية... ماذا يفعل أثناء ذلك؟ هل يصرخ؟ هل يقاوم؟ هل يدافع عن نفسه؟

مدَّ يده أسفل الوسادة وسحب المسدس الذي أراه إياه واثبت في اليوم الماضي، ثم قال: أترى؟ إنه مليء تماماً بالرصاص.

نظرا حولهما. كانت ملابس راثيت النهارية معلقة على الحائط، وعلى غطاء المفصلة (والذي يؤدي دور طاولة صغيرة) كانت عدة أشياء: طقم أسنان في كأس ماء، وكأس أخرى فارغة، وزجاجة مياه معدنية، ومنفضة تدخين تحتوي على عقب سيجار ورماد ورقة محترقة وعودي ثقاب محترقين.

تناول الطبيب الكأس الفارغة وشتمها ثم قال بهدوء: هذا هو التفسير وراء كسل الضحية.

- هل خُدِّر؟

- نعم.

مز بوارو رأسه وتناول عودِي الثقاب وتمعن بهما بدقة، فقال الطبيب بشغف ألدبك دليل إذن؟

قال بوارو: هذان العودان لهما من شكل واحد؛ أحدهما أرق من الآخر. أترى؟

- إنه من النوع الذي يمكن الحصول عليه على القطار، ذو غطاء كرتوني.

بدأ بوارو يفتش جيوب ملابس راتشيت ثم أخرج من إحداها عبئة ثقاب وقارن الاثنين بدقة ثم قال: العود الأغلط استعمله راتشيت. دعنا ننظر إن كان لديه ثقاب من النوعية الرقيقة أيضاً.

إلا أن المزيد من البحث لم يُسفر عن العثور على ذلك النوع.

كانت عينا بوارو تجولان عبر المقصورة، وكانتا لامعيتين وحادتين كعيني طائر، ويشعر المرء أنه لا شيء سيفوت فحوصهما. ثم انحنى وقد صدر عنه صوت ينم عن الدهشة والنقطة شيئاً عن الأرض. كان منديلاً صغيراً مربعاً جميلاً.

قال الطيب: لقد كان صديقنا مسؤول القطار على حق إذن، فامرأة على علاقة بهذا الأمر.

أجابه بوارو: وهي ترك منديلها خلفها بكل هذه البساطة؟ تماماً كما يحدث في الكتب والأفلام! وحتى تجعل الأمور أسهل علينا فإن المنديل مُعلَّم بأول حرف من اسم صاحبه.

قال الطيب: يا لها من ضربة حظ لنا!

- أليس كذلك؟

شيء ما في نبرة بوارو أدهش الطيب، ولكن قبل أن يطلب توضيحاً انحنى بوارو مرة أخرى على الأرض، وفي هذه المرة وقف وهو يحمل في كفه منظف غليون.

سأله الطيب: أيمكن أن يكون هذا للسيد راتشيت؟

- لم يكن في جيوبه أي غليون ولا تبغ ولا محفظة للتبغ.

- أهو دليل إذن؟

- آه، بالتأكيد! ومرة أخرى سقط سهواً لتسهيل الأمر علينا. ولكنه - في هذه المرة - دليل علي رجل كما تلاحظ. وبهذا لا يستطيع المرء أن يشكو من قلة الأدلة في هذه القضية؛ فالدلائل هنا متوفرة بكثرة. بالمناسبة، ماذا فعلت بسلاح الجريمة؟

- لم أجد هنا أي إشارة تدل على السلاح. لا بد وأن القاتل قد أخذه معه.

تساءل بوارو متأملاً: أتعجب لماذا.

مضى الطيب يستكشف جيوب ملابس نوم القاتل بعذر، ثم قال: آه! لم أنتبه إلى هذا حين حللت أزرار السترة وكشفتها عن الصدر.

ومن الجيب العلوي عند الصدر أخرج ساعة ذهبية. كانت محطمة بعنف وعقاربها تشير إلى الواحدة والربع. وصاح كونستانتين بلهفة: أترى؟ إنها تدلنا على وقت حدوث الجريمة، وهو مطابق لحساباتي؛ فقد قلتُ إنها وقعت بين منتصف الليل والثانية صباحاً، وربما نحو الواحدة، إلا أنه من الصعب أن يكون المرء دقيقاً في هذه الأمور. هذا هو الإثبات... الواحدة والربع هي ساعة وقوع الجريمة.

- نعم، هذا محتمل... إنه محتمل بالتأكيد.

نظر إليه الطبيب باستغراب وقال: أرجو أن تعذرني يا سيد بوارو، ولكنتي لا أفهمك تماماً.

- إني لا أفهم نفسي. إني لا أفهم شيئاً أبداً. وكما تلاحظ فإن هذا يقلقني.

تنهد ثم انحنى فوق الطاولة الصغيرة يتفقد أجزاء الورقة المحترقة، ثم تمت لنفسه: ما أريده في هذه اللحظة هو صندوق قبة نسائية من الطراز القديم.

احترار الدكتور كونستانتين كيف يفسر هذه الملاحظة، وعلى أية حال فإن بوارو لم يمهل حتى يسأل أسئلته إذ فتح باب الممر ونادى مسؤول التذاكر.

وصل الرجل راكضاً فسأله بوارو: كم عدد النساء في هذه العربية؟

بدأ المسؤول يعد على أصابعه: واحدة، اثنتان، ثلاث... ست يا سيدي. المرأة الأميركية والسيدة السويدية والشابة الإنكليزية والكوننيسة أندريني والأميرة دراغومبيروف وخادمتها.

فكر بوارو للحظة ثم قال: لديهن جميعاً صناديق قبعات، اليس كذلك؟

- بلى يا سيدي.

- إذن أحضر لي... دعني أفكر... نعم، صندوق السيدة السويدية وصندوق الخادمة. هاتان هما أملنا الوحيد. أخبرهما أن

التعليمات الجمركية تتطلب ذلك، أو أي شيء يخطر ببالك.

- لا بأس يا سيدي؛ فهما ليسنا في مقصورتيهما الآن.

- أسرع إذن.

غادر مسؤول التذاكر، ثم عاد ومعه الصندوقان. فتح بوارو صندوق الخادمة ثم رمه جانباً، ثم فتح صندوق السيدة السويدية ونتم عبارة ندل على الارتياح. أزاح القبعات بحرص وكشف عن هيكل قبة من الشبك المصنوع من الأسلاك.

- آه، هذا ما أريده! كانت صناديق القبعات تُصنع بهذا الشكل قبل خمس عشرة سنة، حيث تُخزّن القبة وتثبت على قبة الأسلاك باستخدام مخزّن القبعات.

وفيما كان يتحدث أزاح -بحرص- قبعتين مشبتين في الصندوق، ثم أعاد ترتيب صندوق القبعات وطلب من مسؤول التذاكر أن يعيد الصندوقين إلى صاحبيتهما.

عندما أغلق الباب التفت نحو رفيقه وقال: انظر إليّ يا عزيزي الطبيب، فإنني لست ممن يعتمدون على إجراءات الخبراء في العادة. إن ما أبحث عنه هو الأمور النفسية، وليس البصمات وما يشبهها من أدلة مادية. أما في هذه القضية فإنني أرحب ببعض المعونة العلمية. إن هذه المقصورة مليئة بالأدلة، ولكن هل أستطيع أن أكون متأكداً من أنها أدلة حقيقية؟

- أنا لا أفهمك تماماً يا سيد بوارو.



- حسناً، سأعطيك مثلاً: لقد عثرنا على منديل نسائي، فهل سقط من امرأة؟ أم أن رجلاً ارتكب الجريمة وقال في نفسه: سأجعل هذه تبدو وكأنها جريمة قامت بها امرأة، سأطعن ضحيتي عدداً غير ضروري من المرات وأجعل بعض الضربات واهنة وغير مؤثرة، وسأسقط هذا المنديل بحيث لا يستطيع أي إنسان إلا أن يراه؟ هذا احتمال، ولكن يوجد احتمال آخر. هل قتلته امرأة وأسقطت عود نظيف الغليون عامدة لتظهر الجريمة على أنها جريمة قام بها رجل؟ أم هل نستطيع أن نفترض - بكل جدية - أن شخصين - رجلاً وامرأة - متورطان في هذا الأمر، كلٌّ على حدة، وأن كل واحد منهما كان قليل الحرص لدرجة أنه أسقط دليلاً يدل على هويته؟ إن هذا أكثر من أن يكون مجرد صدقة!

سأل الطبيب متحيراً: ولكن ما علاقة صناديق القبعات بالأمر؟

- آه، سأصل إلى هذه النقطة. ولكن كما كنت أقول، هذه دلائل: الساعة التي توقفت في الواحدة والربع، والمنديل، ومنظف الغليون... قد تكون جميعاً أدلة حقيقية أو قد تكون مختلفة، ولا أستطيع أن أجزم الآن. إلا أنني أرى دليلاً واحداً أعتقد أنه ليس مختلفاً (ومرة أخرى، قد أكون مخطئاً) وأعني بذلك عود الثقاب المسطح هذا يا سيدي الطبيب. أظن أن هذا الثقاب لم يستعمله السيد راتشيت، بل القاتل هو الذي استعمله لإحراق ورقة قد تُدينه، وربما كانت ملاحظة من نوع ما. فإن كان الأمر كذلك فقد كان في تلك الملاحظة شيء ما... خطأ ما قد يعطي دليلاً ضد القاتل. وسأحاول أن أجده ما هو ذلك الشيء.

خرج من المفصورة ثم عاد بعد عدة دقائق وهو يحمل سَخناً صغيراً يعمل بالكحول وملقطاً معقوفاً. قال متحدثاً عن الملقط: إنني استعمله لشاربي.

راقبه الطبيب باهتمام شديد وهو ييسط قُبْنِي السلك الشبكي. ثم، وبمناية فائقة، وضع قطعة الورقة المحترقة على إحداهما ووضع الأخرى فوقهما وأمسك الاثنتين معاً بالملقط ووضع المجموعة فوق نار السخان.

قال وهو يلتفت إلى صاحبه: إنها عملية بديلة مؤقتة، ولنأمل أنها ستفي بالغرض.

راقب الطبيب سير العملية بانتباه. وقد بدأ المعدن يتوهج، وفجأة رأى حروفاً باهتة ثم بدأت الكلمات تتشكل ببطء... كلمات من نار. كان ذلك جزءاً صغيراً من ورقة محترقة ولم تظهر سوى ثلاث كلمات وجزء من كلمة أخرى: "...تذكر ديزي آرسترونغ الصغيرة".

صاح بولرو بحدة: آه!

سأل الطبيب: هل تخبرك بشيء؟

وضع بولرو الملقط جانباً بحذر وعيناه تلمعان، ثم قال: نعم. إنني أعرف الاسم الحقيقي للرجل الميت، وأعرف لماذا اضطر إلى مفادرة أميركا.

- وماذا كان اسمه؟

كاسيتي.

قطب كونستانتين حاجبيه وقال: كاسيتي؟ إن هذا يذكرني بشيء حدث قبل عدة سنوات. لا أذكر... كانت قضية في أميركا، أليس كذلك؟

- بلى؛ قضية في أميركا

ما عدا ذلك لم يكن بوارو مستعداً للخوض في الكلام. نظر حوله وهو يتابع كلامه: سئدت في ذلك لاحقاً، دعنا نتأكد أولاً من أننا رأينا كل ما يجب علينا أن نراه

فتش جيوب ملابس الرجل الميت مرة أخرى بسرعة ورشاقة ولكنه لم يجد شيئاً ذا أهمية. وحول فتح الباب الذي يصل إلى المقصورة التالية إلا أنه كان مغلقاً من الجهة المقابلة.

قال الدكتور كونستانتين هاشي: لا أهمه إذا لم يهرب القاتل من خلال النافذة، وإذا كان هذا الباب بين المقصورتين مغلقاً من الجهة الأخرى، وإذا كان باب الممر مغلقاً من الداخل (ليس هذا فحسب، بل ومغلقاً بالسلسلة)، فكيف غادر القاتل المقصورة إذن؟

- هذا ما يقوله جمهور المشاهدين عندما توثق يدا ورجلا رجل ويوضع في خزانة... ثم يختفي!

- أنتني...؟

أوضح بوارو قائلاً: أعني أنه إذا أراد لنا القاتل أن نعتقد أنه

قد هرب عن طريق النافذة فمن الطبيعي أن يجعل شكل الخروج من المخرجين الآخرين مستحيلاً إنها خدعة، وعملنا هو أن نعرف كيف قام بهذه الخدعة.

أقفل الباب الذي يصل بين المقصورتين من جهته ثم قال: كيلا نفكر السيدة هوارد الممتازة بالحصول على تفصيلات مباشرة عن الجريمة وتكتب لابتها عنها.

نظر حوله مرة أخرى ثم قال: لا أحسب أن لدينا شيئاً آخر نفعله هنا، دعنا ننضم إلى السيد بوك.

• • •

- هل تذكر أنك قرأت شيئاً عن الطفلة آرمسترونغ؟ هذا هو الرجل الذي قتل الطفلة ديزي آرمسترونغ... إنه كاسيتي.

- أتذكر الآن. لقد صُدم الجميع بالنبا... ولكنني لا أتذكر التفاصيل.

- كان العقيد آرمسترونغ ضابطاً إنكليزياً ويحمل وسام صليب فكتوريا، وكانت أمه أميركية وهي ابنة فان دير هالت، المليونير الشهير في شارع وول ستريت. وقد تزوج ابنة ليندا آردن، وهي أشهر ممثلة تراجيديا أميركية في وقتها، ثم عاشا في أميركا ورزقا ابنة وحيدة أحبها حباً عظيماً، ثم اختطفَت الطفلة عندما كان عمرها ثلاث سنوات وطُلبت فدية كبيرة جداً لقاء إعادتها لن أشغلك بكل التعقيدات التي تبعت ذلك، بل سأذكر لك أنه بعد دفع مبلغ كبير (وهو مئة ألف دولار) اكتُشفت جثة الطفلة المقتولة قبل أسبوعين من ذلك على الأقل. وقد استشاط الجمهور غضباً لذلك، إلا أن الأمور ازدادت سوءاً، فعندما سمعت الأم بالنبا صُدمت ووضعت قبل أوانها طفلاً مبنياً، ثم ماتت هي الأخرى بعد ذلك، فأطلق الزوج المحزون النار على نفسه.

قال السيد بوك: يا لها من مأساة! إنني أتذكر الآن، وقد مات شخص آخر إذا لم تخفي الذاكرة.

- نعم؟ مربية فرنسية أو سويسرية تعسة العظ، إذ كان الشرطه مفتنعين بأنها كانت تعرف شيئاً عن الجريمة، وقد رفضوا تصديق إنكارها الهستيري. وأخيراً، وبينما كانت في حالة يأس، رمت المسكينة بنفسها من النافذة وماتت. ثم ثبت أخيراً أنها كانت بريئة

## الفصل الثامن

### قضية اختطاف آرمسترونغ

وجد السيد بوك بنهي طبقاً من البيض فبادرهما قائلاً: وجدت من الأفضل أن تقدّم الغداء فوراً في عربة المطعم، ثم بخليها بعد ذلك حتى يشنى نلسيد بوارو أن يُجري مقابلاته مع الركاب هناك. وقد أمرت - في الوقت الحاضر - أن يحلوا لنا نحن الثلاثة طعامنا هنا.

قال بوارو: فكرة ممتازة.

لم يكن الاثنان جائعين فانتهت الوجبة بسرعة، ولم يذكر السيد بوك الموضوع الذي يشغل بالهم جميعاً إلا عندما بدروا يحتمسون القهوة، إذ سأل: حسناً، ماذا حصل؟

قال بوارو: لقد اكتشفت هوية الضحية، وأعلم لماذا كان يجب عليه أن يغادر أميركا.

- من هو؟

تماماً من أية علاقة بالجريمة.

قال السيد بوك: لا يُستحسن أن يفكر المرء في تلك القضية.

- بعد نحو ستة شهور ألقي القبض على كاسيني هذا على أنه زعيم العصابة التي اختطفت الطفلة. وكانوا قد استعملوا نفس الأسلوب في جرائم سابقة، حيث يقتلون رهبتهم إذا وجدوا أن الشرطة على وشك اقتفاء أثرهم ويخفون الجثة ويستمرون في المضايقة بأكر قذية ممكنة قبل أن تُكتشف الجريمة. والآن سأوضح لك شيئاً يا صديقي، لقد كان كاسيني هو ذلك المجرم بالفعل، إلا أنه (وبسبب وفرة نقوده التي جمعها وبسبب تحكّمه الخفي في بعض ذوي السلطة) فقد أطلق سراحه استناداً إلى خطأ فني ما. ومع ذلك، كان من شأن الجمهور أن يشنقه لولا أنه كان من الذكاء بحيث اختفى عن الأنظار لخطه أصبح واضحاً لي الآن ما الذي حدث لقد غير اسمه وغادر أميركا، ومنذ ذلك الوقت صار رجلاً متربصاً يتنقل في الخارج ويعيش على ما سبق له جمعه.

قال السيد بوك بنبرة تمنلى اشمزازاً صادقاً: آه، ياله من وحش! لا أستطيع التأسف لموته... أبداً

- أتفرح ممل.

- ومع ذلك، لم يكن من الضروري أن يُقتل على متن قطار الشرق السريع، إذ توجد أماكن أخرى!

ابتسم بوارو قليلاً وقد أدرك أن السيد بوك منحيز في هذه القضية وقال: إن السؤال الذي يجب علينا أن نطرحه على أنفسنا هو:

هل هذه الجريمة هي من فعل عصابة أخرى معادية خدعها كاسيني في الماضي، أم أنها انتقام شخصي؟

ثم شرح لصديقه اكتشافه للكلمات القليلة على قطعة الورق المحترقة وقال: إن كنت مُحققاً في افتراضاتي، فإن القاتل هو الذي أحرق تلك الورقة. لماذا؟ لأن بها ذكر كلمة أرمسترونغ، وهي دليل على هذه الجريمة الغامضة

- أما يزال في عائلة أرمسترونغ من هو على قيد الحياة؟

- للأسف، لا أعرف ذلك، ولكن أظنني أذكر أنني قرأت مرة عن أخت صغرى للسيدة أرمسترونغ.

استمر بوارو يشرح له استنتاجاته المشتركة مع الطبيب كونستانتين، وقد سُر السيد بوك لذكر الساعة المحطمة وقال: يبدو إن هذا يعطينا وقت حدوث الجريمة بالضبط.

قال بوارو: نعم؟ إن هذا مريح للغاية.

كان في نبرته شيء جعل الآخرين ينظرون إليه بفضول. وسأله السيد بوك: ألم تقل إنك سمعت بنفسك راتشيت يتحدث إلى مسؤول التذاكر في الواحدة إلا عشرين دقيقة؟

فَصَّ عليهما بوارو ما حدث وقتها، فقال السيد بوك: إذن فهذا يثبت على الأقل أن كاسيني (أو راتشيت كما سأستمر في تسميته) قد كان حياً بالتأكيد في الواحدة إلا عشرين دقيقة.

- وحتى أكون دقيقاً: في الواحدة إلا ثلاث وعشرين دقيقة.

- فإذا ما استعملنا الصيغة الرسمية إذن لقلنا إن السيد راتشيت كان حياً في الثانية عشرة وسبع وثلاثين دقيقة. لدينا حقيقة واحدة على الأقل.

ثم يُجب بوارو بل جلس ينظر أمامه مفكراً. ثم طُرق الباب ودخل مسؤول المطعم قائلاً: عربة المطعم فارغة الآن يا سيدي.

قال السيد بوك وهو ينهض. سنذهب إلى هناك.

سأل كونستانتين: أيمكن أن أرافقكما؟

- بالتأكيد أيها الطيب العزيز، إلا إذا كان لدى السيد بوارو أي اعتراض.

قال بوارو: أبداً، أبداً.

ثم غادروا المقصورة بعد تبادل عبارات السلوك المهذب في مسألة أسبقية الخروج منها.

• • •

الجزء الثاني

الدليل

## الفصل الأول

### إفادة مسؤول التذاكر

كان كل شيء جاهزاً في غرفة المطعم

جلس بوارو والسيد بوك على جانب واحد من إحدى  
الطاولات وحلّس الطبيب على طاولة أخرى عبر الممر، وكان  
مخطط لغرفة إسطنبول كاليه على الطاولة أمام بوارو وقد كتبت عليه  
أسماء المسافرين بالحبر الأحمر، وكانت حوازيات السفر والتذاكر  
موصوعة في حاسب وعلى الجانب الآخر ورق للكتابة وقلم وحرر  
وأفلام وصاح.

قال بوارو: ممتاز! نستطيع أن نفتتح محكمة تحقيقاً دون أي  
تأخير أظن أن علينا أولاً أن نأخذ شهادة مسؤول التذاكر، ولعلك  
نعرف شيئاً عن الرجل، فما هي شخصيته؟ وهل هو من النوع الذي  
تثق بكلامه؟

أجاب بوك: أستطيع أن أقول: "نعم" بكل تأكيد إن بيير ميشيل  
موظف لدى الشركة منذ خمس عشرة سنة، وهو فرنسي يعيش قرب

كاليه وهو صادق ومُحتزم جداً، على الرغم من أنه ليس مشهوراً  
بذكائه.

مز بوارو رأسه مستوعباً وقال: جيد، هل يمكن أن أراه.

كان بيير ميشيل قد استعاد بعضاً من رباطة جأشه إلا أنه كان  
ما يزال متوتراً قال بقلق وعيناه تنتقلان بين بوارو والسيد بوك: أتمنى  
ألا يعتقد سيدي أن أي تقصير قد وقع مني... إن ما حصل أمر فظيع  
بالفعل.

هذا بوارو من روع الرجل ثم بدأ أسئلته. في البداية سأله عن  
اسمه وعنوانه والمدة التي أمضاها في الخدمة والمدة التي أمضاها منذ  
بدأ عمله على هذا الخط بالذات. كان يعرف هذه المعلومات مسبقاً  
إلا أن الأسئلة الروتينية ساعدت على تهدئة الرجل، وبعد ذلك تابع  
بوارو حديثه قائلاً: والآن دعنا نبحث أحداث الليلة الماضية. متى  
ذهب السيد واتشيت إلى فراشه؟

- بعد العشاء مباشرة يا سيدي، قبل أن تغادر بلغراد. وقد فعل  
كما فعل في الليلة قبل الماضية حيث طلب إلي أن أعّد سريريه بينما  
كان يتناول عشاءه، وقد فعلت ذلك.

- هل دخل أحد إلى مفصّورته بعد ذلك؟

- خادمه يا سيدي، وسكرتيره الشاب الأمريكي.

- هل من أحد غيرهما؟

- لا يا سيدي، ليس على حد علمي.

- جيد، وهل هذا آخر ما رأيته وسمعت منه؟

- لا يا سيدي. لعلك نسيت أنه قرع جرسه في نحو الواحدة  
إلا عشرين دقيقة، بعد أن توقفنا بقليل.

- وماذا حدث بالضببط؟

- طرقتُ الباب، إلا أنه نادى من الداخل قائلاً إنه قد أخطأ  
في قرع الجرس.

- هل تحدث بالإنكليزية أم بالفرنسية؟

- بل بالفرنسية.

- ماذا كانت كلماته بالضبط؟

- قال بالفرنسية: "لا يوجد شيء؟ كان ذلك خطأ مني".

قال بوارو: صحيح تماماً؟ هذا ما سمعته أنا. ثم ذهب بعد  
ذلك؟

- نعم يا سيدي.

- هل عدت إلى مقعدك؟

- لا يا سيدي، بل ذهبت لأرّده على جرس آخر كان قد قرع  
لتوه.

- والآن يا ميشيل، أود أن أسألك سؤالاً مهماً: أين كنت في  
الواحدة والرّبع؟

- أنا يا سيدي؟ كنت في مقعدي الصغير في نهاية الممر.

آنت منكد؟

نعم، أو نني على الأقل..

- نعم؟

- ذهبت إلى العربية التالية، عربية أثينا، لأنكلم مع زميلي هناك  
نحدثنا عن التسوح، وكان ذلك بعد الساعة الواحدة بقيل، لا أستطيع  
أن أحدد بالضبط.

- متى عدت؟

- قرع جرس في عربي يا سيدي، وأذكر أنني أخبرتك. كانت  
السيدة الأميركية، وقد قرعت الجرس عدة مرات.

قال بوارو: أذكر هذا. وبعد ذلك؟

- بعد ذلك يا سيدي؟ أجبت على جرمك وأحضرت لك  
بعض المياه المعدنية، ثم بعد نحو نصف ساعة أعددت سرير إحدى  
المقصورات؛ مقصورة انشاب الأميركي، سكرتير السيد راتشيت.

- هل كان السيد ماكوين وحده في مقصورته عندما ذهبت  
لإعداد سريريه؟

- كان معه العقيد الإنكليزي من المقصورة ١٥، وكان  
يتحدثان.

- ماذا فعل العقيد عندما ترك السيد ماكوين؟

- عاد إلى مقصورته.

إلى عربية المطعم



إدولر ماسترمان  
أنطونيوس فوسكاريليني

هكتور ماكوين

هيداعارد شمت

غريتا أولسون  
ماري ديسهام

هيريكيول بوارو

صامويل راتشيت

كارولين هوبارد

الكوتيسة أندرينه

الكونت أندرينه

الأميرة دراغوميروف

العقيد أريوتوت

سايروس هاردمان

منفذ مسؤول التذاكر

إلى عربية الناويز



- رقم ١٥. إنها قريبة جداً من مقعدك، أليس كذلك؟

- بلى يا سيدي؛ إنها المقصورة الثانية من ذلك الطرف من  
الممر

- هل كان سريريه معداً؟

- نعم يا سيدي؛ كنت قد أعددت له وهو يتناول عشاءه.

- متى حدث كل ذلك؟

- لا أستطيع أن أخبرك بالضبط يا سيدي، ولكن ليس بعد  
الثانية بكل تأكيد.

- وبعد ذلك؟

- بعد ذلك يا سيدي جلست في مقعدي حتى الصباح.

- هل ذهبت إلى عربة أثينا مرة أخرى؟

- لا يا سيدي.

- ربما غفوت؟

- لا أظن ذلك يا سيدي؛ فكون القطار واقفاً منعتني من الإغفاء  
كما يحصل معي عادة.

- هل رأيت أيّاً من الركاب يتحرك عبر الممر؟

- فكر الرجل قليلاً ثم قال: أظن أن إحدى السيدات قد ذهبت  
إلى الحمام في الجانب الأبعد من الممر.

- أي سيدة؟

- لا أعلم يا سيدي. كانت في نهاية الممر وكان ظهرها لي،  
وكانت تلبس عباءة قرمزية وعليها رسوم التتير.

- أوما بوارو برأسه وقال: وبعد ذلك؟

- لم يحدث شيء حتى الصباح يا سيدي.

- أأنت متأكد؟

- آه، عفواً يا سيدي. فتحت أنت باب مقصورتك ونظرت  
خارجاً لبضع ثوان.

- قال بوارو: جيد يا صديقي. كنت أتساءل إن كنت متذكر ذلك.  
بالمناسبة، لقد استيقظت على صوت وكان شيئاً ثقيلاً وقع على باب  
غرفتي. هل لديك أي فكرة ماذا يمكن أن يكون السبب؟

- حذق الرجل إليه وقال: لم يكن شيء من ذلك يا سيدي،  
لا شيء. أنا متأكد من ذلك.

- قال بوارو متفلسفاً: إذن أظنتي قد توهمت.

- قال السيد بوك: إلّا إذا كان ما سمعته آتياً من المقصورة التي  
بجانبك.

- لم يُعر بوارو أي اهتمام لهذا الاقتراح، ولعله لم يرغب في فعل  
ذلك بحضور مسؤول التذاكر. قال: دعنا نتحول إلى نقطة أخرى.  
لنفترض أن قاتلاً صعد على القطار ليلة أمس، فهل من المؤكد أنه  
لم يكن قادراً على أن يغادر بعد ارتكابه الجريمة؟

- هز بير ميشيل رأسه مؤكداً، فسأله بوارو مرة أخرى: ألا يمكن

أن يكون مختبئاً في مكان ما في القطار؟

قال السيد بولك: لقد فُتِش القطار جيداً، فاستبعد هذه الفكرة يا صديقي.

قال ميشيل: وبالإضافة إلى ذلك، لا يمكن لأحد أن يصل إلى عربة النوم دون أن يراه.

- متى توقف آخر مرة؟

- في فينكوفشي.

- متى كان ذلك؟

كان بحب أن نعادها في الحادية عشرة وثمان وحسين دقيقة، لكننا تأخرنا عشرين دقيقة بسبب الطقس.

- ألا يمكن لأحد أن يأتي من عربات القطار العادية إلى عربة النوم؟

- لا يمكن هذا يا سيدي؛ فبعد تقديم العشاء يُقفل الباب بين العربات العادية وعربة النوم.

- هل نزلت أنت من القطار في فينكوفشي؟

- نعم؛ نزلت على الرصيف كعادة ووقفت قرب المدرجات لمؤدية إلى العربة، وفعل مسؤولو التذاكر لأحرون الشيء ذاته.

ومدا عن الباب الأمامي؛ الباب القريب من عربة المطعم.

- يكون مقفلاً من الداخل دائماً.

- إنه ليس مقفلاً الآن.

بدأت المتعجبة على الرجل، ثم نفرد وجهه وقال: لا بد من أن أحد الركاب فتحه للنظر إلى الثلوج.

قال بوارو: ربما؛ ثم نقر بأصبعه على الطاولة مفكراً لدقيقة أو اثنتين، فقال للرجل خائفاً: أأمل ألا يلومني سيدي؟

ابتسم له بوارو بنظف وقال: إنني أمتحت الفرصة يا صديقي. أه! سأسألك عن نقطة أخرى قبل أن أنساها، لقد قلت إن جرساً آخر قد قرع وأنت تطرق باب السيد رانشيت، وفي الواقع أنا سمعت الجرس بنفسه، جرس من كان ذلك؟

لقد كان جرس الأميرة دراغوميروف، وقد طلعت مني أن أنادي خادمتها.

- وفعلت ذلك؟

- نعم يا سيدي.

تمعن بوارو في المخطط الذي أمامه مفكراً، ثم رذ رأسه إلى الخلف قائلاً: هذا كل ما لدي في الوقت الحاضر.

- شكراً لك يا سيدي.

نهض الرجل ونظر نحو السيد بولك الذي قال بنظف: لا تزعج نفسك؛ إنني لا أرى شي تفصيل منك.

غادر بيير ميشيل العربة مسروراً.

\*\*\*

- ألم تعرف هذا يا سيد ماكوين؟

قال الأميركي الشاب بتأكيد واضح: أبداً يا سيدي، ولو كنت أعلم ذلك لكنت قطعت يدي اليمنى قبل أن أكتب له حرفاً!

- إن شعورك قوي تجاه هذا الأمر يا سيد ماكوين.

- لدي سبب لأن أكون كذلك؛ فقد كان والدي هو المدعي العام الذي تولى تلك القضية يا سيد بوارو، وقد رأيت السيدة أرمسترونغ غير مرة، وقد كانت امرأة جميلة ولطيفة وذات قلب مُحطَّم.

نجهم وجهه ثم أضاف: إن كان أي رجل يستحق ما حصل له فإن راتشيت أو كاسيتي هو ذلك الرجل. إنني سعيد لنهايته؛ فمثل ذلك الرجل لم يكن أهلاً لأن يعيش!

- تكاد تشعر وكأنك كنت مستعداً للقيام بذلك العمل بنفسك، أليس كذلك؟

- بلى، إنني...

توقف وقد تورد خدها بشيء من الشعور بالذنب؛ ثم قال: يبدو وكأنني أضع نفسي في موضع الاتهام.

- كان من شأني أن أمبل للشك بك أكثر - يا سيد ماكوين - لو أنك أبديت حزناً مبالغاً به تجاه وفاة مستخدمك.

قال ماكوين منجهماً: لا أحسبني أفدر على ذلك، ولا حتى

## الفصل الثاني

### إفادة السكرتير

غرق بوارو في أفكاره لدقيقة أو اثنتين، وأخيراً قال: أظن أن من الأفضل أن نتكلم مرة أخرى مع السيد ماكوين على ضوء ما نعرفه الآن.

ظهر الأميركي في الحال وقال: حسناً، كيف تسير الأمور؟

- لا بأس، فقد علمت بعد معادتنا الأولى شيئاً... هوية السيد راتشيت.

مال هيكثور ماكوين إلى الأمام باهتمام وقال: نعم؟

- كما توقعت فإن اسم راتشيت مستعار. إن راتشيت هو كاسيتي، الرجل الذي قام بعمليات الاختطاف المشهورة، ومن ضمنها قضية اختطاف الطفلة ديزي أرمسترونغ.

بدا على وجه ماكوين تعبير اندهاش شديد، ثم تلوّن وجهه وعلّق قائلاً: المقرف التيس!

لأنفذ نفسي من الكرسي الكهربائي. ثم أضاف: إن لم يكن ذلك  
فضولاً شديداً مني، كيف اكتشفت ذلك؟ أعني هوية كاسيتي؟

- بواسطة جزء من رسالة وجدتها في مقصورته.

- ولكن... أ ألم يكن ذلك إهمالاً من المعجوز؟

قال بوارو: هذا يعتمد على وجهة النظر.

بدا هذا الجواب محيراً للشاب فحدق إلى بوارو محاولاً أن  
يفهم ما قاله. قال بوارو: إن مهمتي هي أن أتأكد من تحركات كل  
شخص على القطار، ولا داعي لأن يشعر أحد بأنه مستهدف، أتفهم  
ذلك؟ إنه أمر روتيني فقط.

- بالتأكيد. قم أنت بعملك ودعني أظهر براعتي إن استطعت.

قال بوارو مبتسماً: لا داعي لأن أسألك عن رقم مقصورتك؛  
فقد شاركتك فيها لليلة. إنها المقصورة الثانية، ذات السريرين ٦ و٧.  
هل أصبحت لك وحدك بعد مغادرتي؟

- هذا صحيح.

- والآن يا سيد ماكوين، أريد أن تصف لي تحركاتك ليلة أمس  
منذ غادرت عربة المطعم.

- هذا سهل. عدت إلى مقصورتي حيث قرأت لبعض الوقت،  
ثم خرجت إلى رصيف المحطة في بغيراد، لأنني وجدت أن الجو  
برد جداً، عدت إلى القطار تحدثت لبعض الوقت مع شابة إنكليزية  
تشغل المقصورة التي بجاني، ثم تحدثت مع ذلك الإنكليزي،

العقيد آريوثنوت. في الواقع أظن أنك مررت بنا ونحن نتحدث، ثم  
ذهبت إلى السيد راتشيت - كما أخبرتك - وأخذت بعض الملاحظات  
لرسائل يريد مني كتابتها، وبعد ذلك تمنيت له ليلة سعيدة ثم تركته.  
وكان العقيد آريوثنوت ما يزال واقفاً في الممر حيث كانت مقصورته  
تُعَدُّ للنوم، فاقترحت عليه أن يأتي إلى مقصورتي، ثم بدأ حديثنا  
فناقشنا السياسة العالمية وحكومة الهند ووضعنا المالي وأزمة  
بورصة وول ستريت. إنني لا أنجذب إلى البريطانيين في العادة؛  
فهم متعجرفون، إلا أنني أحببت هذا البريطاني.

- هل تعرف متى خرج من عندك؟

- خرج متأخراً جداً. أظن الساعة كانت تقترب من الثانية.

- هل لاحظتما أن القطار قد توقف؟

- نعم. وتعجبنا للحظة، فنظرنا خارجاً ورأينا الثلوج تنجم  
بكثافة، ولكننا لم نظن أن في الأمر خطورة.

- ماذا حدث عندما ودعك العقيد آريوثنوت أخيراً؟

- ذهب إلى مقصورته وناديت المسؤول ليعيد سريري.

- وأين كنت بينما كان يفعل ذلك؟

- كنت أقف في الممر خارج الباب أدخن لقافة من التبغ.

- وبعد ذلك؟

- بعد ذلك ذهبت إلى فراشي ونمت حتى الصباح.

- هل غادرت القطار قط في المساء؟

- فكرت أنا والعقيد آريوثوت في أن نخرج في... ما اسم ذلك المكان؟ آه، فينكوفشي... لتمرير أرجلنا بعض الوقت، إلا أن الجو كان بارداً جداً لوجود عاصفة ثلجية، وسرعان ما عدنا إلى الداخل.

- من أي باب غادرتما القطار؟

- من الباب الأقرب لمقصورتنا.

- الباب الذي يلي عربة المطعم؟

- نعم.

- هل تذكر فيما إذا كان مقفلاً؟

فكر ماكوين قليلاً، ثم قال: نعم، أذكر أنه كان مقفلاً. على الأقل كان مزلاج من نوع ما مثبتاً على المقبض. هل هذا ما تعنيه؟

- نعم. وعندما عدتما إلى القطار هل أعدتما إغلاق

المزلاج؟

- لا، لا أظنني فعلت ذلك. لقد دخلت آخراً ولا أذكر أنني

أغلقت.

أضاف فجأة: أهذه نقطة مهمة؟

- ربما. حسناً، سأفترض أن باب مقصورتك المفضي إلى الممر

كان مفتوحاً وأنما جالسان تحدثان في الداخل، أليس كذلك؟

أوما هيكتور ماكوين برأسه بالإيجاب، فقال بوارو: أريد منك أن تخبرني إن استطعت. إن كان أي شخص قد عبر الممر بعد أن غادر القطار فينكوفشي إلى أن افترقتما في الليل.

قطب ماكوين حاجبيه معكراً ثم قال: أظن أن مسؤول التذاكر مرّ مرة واحدة قادماً من اتجاه عربة المطعم، ومرّت امرأة متجهة نحو عربة المطعم.

- أي امرأة؟

- لا أستطيع الجزم بذلك؛ فلم لاحظها حقاً. كنت أناقش نقطة معينة مع آريوثوت وأذكر أنني لاحظت شيئاً من الحرير القرمزي يمر أمام الباب، إلا أنني لم أنظر فعلاً. كذلك لم يكن باستطاعتي أن أرى وجه تلك المرأة على أية حال؛ فمقصورتني - كما تعرف - تواجه نهاية العربة قرب عربة المطعم، لهذا إذا مرّت امرأة عبر الممر في ذلك الاتجاه فسيكون ظهرها باتجاهي حالما تمر أمام الباب.

أوما بوارو برأسه موافقاً ثم قال: ربما كانت ذاهبة إلى الحمام؟

- أظن ذلك.

- هل رأيتهما تعود؟

- أما وقد ذكرت ذلك الآن فإنني لم ألاحظهما تعود، ولكن لا بد من أنها قد عادت.

- سؤال آخر. هل تدخن الغليون يا سيد ماكوين؟

- لا يا سيدي، لا أدخنه.

صمت بوارو للحظة، ثم قال: أظن أن هذا كل ما أحججه منك في الوقت الحاضر، وأود الآن أن أرى خادم السيد راتشيت بالمناسبة، هل تسافران دانساً في الدرجة الثانية؟

- هو يسافر فيها، إلا أنني أسافر عادة في الدرجة الأولى، وإذا كان ذلك ممكناً فإنتي أحجز المقصورة التي بجانب السيد راتشيت، ثم يصع معضه حقدته عندي بحيث يستطيع أن يصل إليها أو إلي بسهولة كما أريد ذلك. إلا أن كل مقصورات الدرجة الأولى كانت محجوزة هذه المرة، ما عدا المقصورة التي أخذها هو.

- فهمت. شكراً لك يا سيد ماكورين

\*\*\*

## الفصل الثالث

### إفادة الخادم

بعد الرجل الأميركي دخل الرجل الإنكليزي الباهت ذو الوجه الذي يخلو من المشاعر، والذي رآه بوارو في اليوم السابق، وقف متصباً بشدة فأشار له بوارو بأن يجلس.

- أنت خادم السيد راتشيت فيما أظن؟

- نعم يا سيدي.

- ما اسمك؟

- إدوارد هنري ماسترمان.

- كم عمرك؟

- تسعة وثلاثون عاماً.

- هل سمعت بأن سيدك قد قُتل؟

- نعم يا سيدي. إنه أمر يدعو إلى الصدمة.

- هلاً أخبريني الآن لو سمحت: متى رأيت السيد رانشيت

آخر مرة؟

فكر الخادم ثم قال: لا بد من أن ذلك كان في نحو الساعة  
التاسعة ليلة أمس يا سيدي، أو بعد ذلك بقليل.

أخبرني ما الذي حدث بالضبط؟

- ذهبت إلى السيد رانشيت كالعادة يا سيدي، وثبتت  
احتياجاته.

- ماذا كانت وظيفتك بالضبط؟

أن أطوي ملابس أو أعلقها يا سيدي، وأن أضع طقم أسنانه  
في الماء وأؤكد من أن لديه كل ما يحتاجه أثناء الليل

أكان مزاجه وسلوكه كشأنه دائماً؟

فكر الخادم للحظة ثم قال: أظن أنه كان مُستاء يا سيدي.

- كيف كان مستاء؟

- بسبب رسالة كان يقرؤها. وسألني فيما إذا كنت أنا الذي  
وضعتها في مقصورته، فأخبرته - بالطبع - أنني لم أفعل شيئاً كهذا،  
إلا أنه سبني ورأى عيوباً في كل ما أفعله.

- أكان ذلك غير طبيعي؟

- لا يا سيدي؛ فهو يفقد صوابه بسهولة وكما قلت، فإن الأمر  
يعتمد على الشيء الذي يسهو به.

- هل كان سيدك يتناول المنومات؟

مال الطبيب كونستانتين إلى الأمام قليلاً، فيما أجاب الخادم:  
كان يتناولها دائماً عندما يسافر بالقطار يا سيدي، وكان يقول إنه  
لا يستطيع النوم من غيرها.

هل تعلم ما هو نوع المنوم الذي اعتاد أن يتناوله؟

- لا أستطيع الجزم بذلك يا سيدي؛ فلم يكن على الزجاجة  
اسم، بل كان مكتوباً عليها فقط «المنوم الذي يجب أن يؤخذ وقت  
النوم».

- هل تناوله ليلة أمس؟

نعم يا سيدي؛ فقد أعددت له في كأس ووضعت على الطاولة  
ليكون جاهزاً له.

- هل رأيته يتناوله فعلاً؟

- لا يا سيدي.

- ماذا حدث بعد ذلك؟

- سألته إن كان بحاجة إلى أي شيء آخر، وسألته متى يود  
أن أوقفه في الصباح، فقال إنه لا يريد أن يزعجه أحد حتى يفرغ  
هو الجرس.

- أكان ذلك عادياً منه؟

- عادياً جداً يا سيدي؟ فقد اعتاد أن يفرج الجرس للمسؤول  
ثم يرسله إليّ عندما يكون جاهزاً للنهوض

- أكان من عادته أن يستيقظ مبكراً أم متأخراً؟

- ذلك يعتمد على مزاجه يا سيدي. كان يستيقظ أحياناً للفطور  
وأحياناً أخرى لا يستيقظ حتى بحين وقت الغداء.

- إذن فانت لم تقلق عندما مضى الصباح ولم يرسل إليك  
شيئاً؟

- نعم يا سيدي.

- أكنت تعلم أن لسيدك أعداء؟

- نعم يا سيدي

نكلم نرجل بلا أي عاطفة، فمضى سوازو بنسؤال: كتب  
عرفت؟

- سمعته يتحدث مرة عن بعض الرسائل مع السيد ماكوين  
يا سيدي.

- هل كانت لديك أي عواطف تجاه مُستخدميك  
يا ماسرمن؟

صار واحد نرجل أقل تعبيراً عن أية أحاسيس حتى مما كان  
يبدو صلاباً. ثم قال: لا أكاد أستطيع قول ذلك يا سيدي، إلا أنه  
كان رتب عمل محب

ونكبت له نحوه؟

- فلنقل إنني لا أهتم كثيراً بالأمير كيس يا سيدي.

- هل سبق لك أن زرت أميركا؟

- لا يا سيدي.

- أتذكر أنك قرأت في الصحف عن قضية اختطاف  
أرمسترونغ؟

تلون وجه الرجل بعض الشيء وقال: نعم، بالتأكيد يا سيدي.  
كانت طفلة صغيرة، أليس كذلك؟ كان أمراً يثير الصدمة.

- هل تعلم أن مستخدميك، السيد واتشيت، كان هو العقل  
المدير في تلك القضية؟

- لا يا سيدي.

ولأول مرة ظهر في نبذة الخادم نوع من الدفء والشعور  
المؤكدتين، ثم قال: لا أكاد أصدق ذلك يا سيدي.

- ولكنها الحقيقة. والآن دعنا ننقل إلى تحركاتك أنت ليلة  
أمس، إيد مسألة روتينية فقط ماذا فعلت بعد أن تركت سيدك؟

- أخبرت السيد ماكوين أن سيدي يريد ثم ذهبت إلى  
مقصورتني وقرأت لبعض الوقت.

- ومقصورتك هي الرقم...؟

- آخر مقصورة في الدرجة الثانية يا سيدي، بجوار عربة

المطعم



كان بولرو ينظر إلى المخطوط أمامه: آه، وما هو رقم سريرك؟

- الأسفل يا سيدي.

- إنه رقم ٤ إذن؟

- نعم يا سيدي.

هل معك أحد في المقصورة؟

- نعم يا سيدي، رجل إيطالي ضخيم.

- هل يتكلم الإنكليزية؟

- إنه يتكلم إنكليزية ما يا سيدي.

كان في تبرته شيء من الازدراء، ثم أضاف: لقد زار أميركا...

شيكاغو... كما فهمت.

- هل تحدثتما كثيراً؟

- لا يا سيدي؛ فأنا أفضل أن أقرأ.

ابنسم بولرو إذ كان يوسعه تخيل المتظر: الرجل الإيطالي

الضخم المهدار، وعجرفة من يرى نفسه خادماً الأسياد.

سأل بولرو: وهل لي أن أسأل ماذا تقرأ؟

- في الوقت الحاضر أقرأ رواية «أسير الحب» للسيدة أرابيلا

رينشاردسون.

- أهي رواية جيدة؟

- أراها ممتعة للغاية يا سيدي.

- حسناً. دعنا نكمل، عدت إلى مقصورك وقرأت. حتى متى

بقيت تقرأ؟

- في نحو العاشرة والنصف أراد ذلك الإيطالي أن ينام، فجاء

المسؤول وأعد السريرين.

- وبعدها أويت إلى فراشك ونمت؟

- أويت إلى فراشي - يا سيدي - ولكنني لم أنم.

- لِمَ لم تنم؟

- بسبب وجع الأسنان يا سيدي.

- آه! إنه مؤلم.

- مؤلم جداً يا سيدي.

- هل فعلت شيئاً حيال ذلك؟

- وضعت شيئاً من زيت القرنفل مما خفف الألم بعض الشيء.

ولكنني لم أستطع النوم رغم ذلك، فأضأت النور فوق رأسي وتابعت

القراءة كي أشغل نفسي عن الألم.

- ألم تنم أبداً؟

- بلى يا سيدي؛ لقد غفوت في نحو الرابعة صباحاً.

- ورفيقك؟

- الرجل الإيطالي؟ آه، لقد كان يشخر.

- ألم يغادر المحصورة أبداً أثناء الليل؟

- لم يحصل يا سيدي

- وهل غادرتها أنت؟

- لا يا سيدي.

- هل سمعت شيئاً أثناء الليل؟

- لا أظن ذلك يا سيدي. أعني أنني لم أسمع شيئاً غير طبيعي،  
فكون القطار واقعاً جعل المكان هادئاً جداً.

صمت بوارو لدقيقة أو اثنتين، ثم قال: حسناً، لم يبقَ لدي أي  
سؤال. ألا تستطيع أن تلقي أي ضوء على الحاساة؟

- لا أظن ذلك، أنا آسف يا سيدي.

- هل رفعت بين سيدك وبين السيد مكوين أي مشكلات أو  
سوء تفاهم عنى حد علمك؟

- لا يا سيدي، فالسيد مكوين رجل لطيف جداً.

- مع من كنت تخدم قبل أن تأتي إلى السيد واتشيت؟

- مع السير هنري توملينسون يا سيدي، في غروزفينر

سكوير.

وتماد تركه.

- بسبب سفره إلى شرق أفريقيا حيث لم يعد بحاجة إلى  
خدماتي، ولكنني متأكد من أنه سيزكيني يا سيدي؛ فقد أمضيت  
معه عدة سنوات.

- وكم بقيت مع السيد واتشيت؟

- ما يزيد قليلاً على تسعة أشهر يا سيدي.

- شكراً لك يا ماسترمان. بالمناسبة هل تدخن الغليون؟

- لا يا سيدي؛ أدخن لفائف التبغ فقط.

- شكراً لك؛ هذا كل ما في الأمر.

تردد الخادم بعض الشيء ثم قال: اعذروني يا سيدي، ولكن  
المرأة الأميركية في حانة هستيرية، وهي تقول إنها تعرف كل شيء  
عن القاتل. إنها متفعله جداً يا سيدي.

قال بوارو مبتسماً: في هذه الحالة من الأفضل أن نراها الآن.

- هل أخبرها يا سيدي؟ إنها تطلب أن ترى أحد المسؤولين  
منذ وقت طويل ويحاول مسؤول التذاكر أن يهذي من روعها.

قال بوارو: أرسلها إلينا يا صديقي، سوف نستمع إلى قصتها  
الآن.

\* \* \*

## الفصل الرابع إفادة السيدة الأمريكية

وصلت السيدة هويارد إلى عربة المطعم بنفس مقطوع لدرجة أنه كان من الصعب أن تلفظ كلماتها بوضوح. أريد أن أعرف شيئاً واحداً فقط: من هو المسؤول هنا؟ لدي معلومات مهمة جداً... مهمة جداً بالفعل، وأود أن أدلي بها لأحد المسؤولين بالسرعة الممكنة لو أنكم يا سادة...

ترددت نظراتها بين الرجال الثلاثة، فمال بوارو إلى الأمام وقال: أخبريني أنا يا سيدتي، ولكن أرجوك اجلسي أولاً.

ارتمت السيدة هويارد بقوة على الكرسي الذي يقابله وقالت: ما يجب عليّ أن أخبرك به هو ما يلي: لقد وقعت جريمة قتل على القطار ليلة أمس، وقد كان القاتل في مقصورتي!

صمتت لتأخذ كلماتها طابعاً درامياً، فسألها بوارو: هل أنت متأكدة من هذا يا سيدتي؟

- طبعاً متأكدة. إنني أعلم عن أي شيء أتحدث، وسوف

أخبرك بكل ما أستطيع أن أخبرك به. كنت قد أويت إلى سريري ونمت، ثم صحوت فجأة، وكان كل شيء مظلماً وعلمت أن في مقصورتي رجلاً. كنت خائفة جداً لدرجة أنني لم أتمكن من الصراخ (إن كنت تعرف ما أعنيه). فقط بقيت مستلقية وفكرت: "رحمك يا رب! سوف أقتل". لا أستطيع أن أصف لك شعوري. فكرت في هذه القطارات وكل الأشياء الفظيعة التي سمعتها عنها، وفكرت فائتة لنفسي: "حسناً، على أنه لن يحصل على جواهرتي على أية حال". ذلك أنني وصعتها في جوب وخبأتها أسفل وسادتي، وهذا شيء غير مريح أبداً بالمناسبة بسبب التواء الذي تسببه الصرة. ولكن هذا لا يعنيني الآن. أين كنت؟

- أدركت أن في مقصورتك رجلاً يا سيدتي.

- نعم. وقد بقيت مستلقية هناك وقد أغمضت عيني وفكرت فيما يمكن أن أفعله، ثم قلت في نفسي: "حسناً، أنا شاكرة لأن ابنتي لا تعلم بالورطة التي أنا فيها". ثم عادت إليّ رباطة جأشي بطريقة ما وتحسست الجرس وقرعته، وظللت أقرع وأقرع ولكن شيئاً لم يحدث. وتأكدت من أنني ظننت أن قلبي سيتوقف عن الخفقان وقلت في نفسي: "رحمك يا رب، ربما قتلوا كل من في القطار". لقد كان القطار واقفاً وكان إحساس كئيب بالهدوء يسود المكان، إلا أنني ظننت أقرع الجرس، ثم تنفست الصعداء عندما سمعت وقع أقدام تركض في الممر وصوت طرّق على الباب، فصحت: "ادخل"، وفي نفس الوقت أشعلت الضوء، ولكن هل تصدق بأن أحداً لم يكن في المكان؟

ماذا حدث لسيده هوبارد قصة تصاعد الأحداث. وليس  
بحذارها المخيف!

- ماذا حدث بعد ذلك يا سيدتي؟

أحيرت الرجل بما حدث ولكن لم يكد أنه يصدقني، وبدلاً  
أنه يفكر بأنني اخترعت كل ذلك. فطلبت منه أن ينظر أسفل المقعد.  
ولكنه قال إن المكان لا يسمح لرجل بأن يحشر نفسه هناك. من  
لوصح أن الرجل كان قد ذهب، ولكنني متأكدة من أن رجلاً كان  
في المقصورة، وقد جئنت من الطريقة التي كان يحاول بها المسؤول  
أن يهدئ من روعي! أنا لست ممن يتخيلون الأشياء يا سيد... لا أصل  
أنني أعرف اسمك؟

- بواو يا سيدتي وهذا هو السيد بوك مدير الشركة، وانظري  
كوستاني.

سكنت لسيده هوبارد أن معبدة بذكرك

وجهت كلامها إلى الرجال الثلاثة بشروده، ثم انطلقت مرة  
أخرى في سردها؛ والآن لن أذعي بأنني كنت ذكية كما ينبغي،  
فقد ظننت أنه الرجل الذي كان يشغل المقصورة التي بجانبني...  
المسكين الذي قُتل؛ فطلبت من المسؤول أن ينظر إلى الباب الذي  
يصل بين المقصورتين لوجده غير مقفل، فطلبت منه أن يفتله في  
الحال، وبعد أن خرج نهضت ووضعت حقيبة ملاهي خلف الباب  
حي أكون مطمئة.

- في أي وقت حدث ذلك يا سيده هوبارد؟

- لا أستطيع أن أحرك. إذ أنني لم أنظر إلى الساعة لأنني  
كنت متضايقاً جداً.

وما هي نظريتك؟

- إنها واضحة جداً. كان ذلك الرجل هو القاتل. من غيره؟

ونظي أن عد إلى المقصورة التالية؟

وكيف أعرف أن ذهب؟ كنت أغمض عيني بشدة

لا بد وأنه قد تسلل عبر الباب إلى الممر

تهددت السيدة هوبارد بقوة رحمتك يا رب كنت خائفة! لو  
أن ابنتي عرفت

- ألا تظنين - يا سيدتي - أن ما سمعته هو صوت الرجل في  
المقصورة التي بجانبك يتحرك في مقصورته؟

لا أظن ذلك يا سيد... ما هو اسمك؟ بواو لقد كان الرجل  
في مقصورتي ولدي الدليل على ذلك.

رفعت حقيبة يد كبيرة على الطاولة بانتصار وبدأت تنبش  
في محتوياتها. أخرجت منديلين كبيرين نظيفين ونظارات وزجاجة  
أسبرين وبعض حلوى النعنع ومجموعة من المفاتيح ومقصاً ودفتر  
شيكات وصورة طفل شديد الشبابة وبعض الرسائل وخمسة سبحات  
من الخرز الشرقي وشيء معذب صغيراً كان عبارة عن زور

أترى هذا البر؟ به ليس لي ولا لأي من ملاسي. لقد وجدته  
عندما نهضت صباح اليوم

وفيما كانت تضعه على الطاولة مال السيد بوك إلى الأمام وعَنق قائلاً: ولكن هذا زر البدلة الرسمية لموظفي المطار.

التقت نحو السيدة بلطف قائلاً: ربما كان هذا الزر قد وقع عن زي المسؤول يا سيدتي، إنما عندما فتش مقصورتك أو عندما أعدت سريرك ليلة أمس.

- لا أعرف ماذا دهكم جميعاً أيها الناس! يبدو أنكم لا تعملون شيئاً سوى الاعتراض والآن أصغوا إلي: كنت أقرأ مجلة لينة أمس قبل أن أنام، ثم قبل أن أطفى النور وصعدت تلك المجلة على حقيبة كانت موضوعة على الأرض قرب النافذة. أتفهمون ذلك؟ أكدوا لها أنهم يفهمون.

- حسناً إذن، وقد بحث المسؤول أسفل الكرسي وهو يقف قرب الباب ثم دخل وأقبل الباب اندي يصل بين مقصورتني وتلك التي بجاني، ولكنه لم يقترب أبداً من النافذة، وفي هذا الصباح كان ذلك الزر على المجلة. والآن أود أن أعرف: ماذا تسمون ذلك؟ قال بوارو: هذا ما أسميه دليلاً يا سيدتي.

يبدو أن هذا الجواب قد أَرْضَى السيدة، إذ قالت: بطير صوابي عندما لا يصدقني أحد.

قال بوارو مهدئاً: لقد قدمت لنا دليلاً مثيراً ومهماً. والآن، هل أستطيع أن أسالك بضعة أسئلة؟

- بكل سرور.

- بما أنك كنت خائفة من هذا الرجل، رانشيت، فكيف حصل أنك لم تقفلي الباب بين مقصورتيكما؟

أجابت السيدة بوارو فوراً: لقد فعلت.

- آه، لقد فعلت؟

- حسناً، في الواقع سألت تلك السيدة السويدية (ويا لها من امرأة لطيفة!) عما إذا كان الباب مقفلاً، فقالت إنه كذلك.

- وكيف لم تتأكدي من ذلك بنفسك؟

- لأنني كنت في السرير وكان كيس أدوات الحمام معلقاً على مقبض الباب.

- متى كان الوقت عندما طلبت منها ذلك؟

- دعني أفكر... لا بد وأن ذلك كان في نحو العاشرة والنصف أو الحادية عشرة إلّا ربما؛ إذ جاءتني لتسأل إن كان عندي بعض الأسبرين، فأخبرتها أين تجده وأخرجته من حقيبة صغرى.

- وكنت أنت في السرير؟

- نعم.

ضحكت فجأة وقالت: يا للمسكية! لقد وقعت في حرج بالغ؛ إذ كانت قد فتحت باب المقصورة التي بجاني خطأ.

- باب مقصورة السيد راتشيت؟

- نعم، فأنت تعرف كم هو صعب عندما تأتي عبر القطار وتكون جميع الأبواب مغلقة. فتحت باب مقصورته خطأ، وكانت منصبة جداً لذلك. بد يبدو أنه ضحك، ويخيل إلي أنه ربما تقوه بعدة غير نظيفة يا للمسكينة! كانت مرتبكة جداً وقالت: آه! لقد أخطأت. وأحسنة من حظي

صحت الدكتور كوستننن صححة مكمونة وممنه السيدة هوبارد فوراً بنظرة جمدة، ثم قالت: ليس مناسباً الضحك من مثل هذه الأمور.

اعتذر الطبيب بسرعة، وسأل بوارو: هل سمعت أية حيلة من مقصورة السيد راتشيت بعد ذلك؟

- حسناً، ليس تماماً.

- ماذا تعنين بهذا يا سيدتي؟

- حسناً...

صمتت قليلاً. ثم قالت: لقد كان يشخر.

- آه، كان يشخر... حقاً؟

- كثيراً، ولم أتمكن من النوم بسبب ذلك في الليلة السابقة

- هل سمعته يشخر بعد أن روعك وجود رجل في مقصورته؟

- ولكن كيف لي أن أسمع يا سيد بوارو؟ لقد كان ميتاً.

قالت: آه، نعم حقاً!

لكنه بدا متحيراً، ثم سألها: هل تذكرين قضية اختطاف أرمسترونغ يا سيدة هوبارد؟

- نعم، أذكر ذلك. ولكن كيف هرب ذلك الوغد ونجا! أود لو أنني أضاع يدي عليه.

- هو لم يهرب، إنه ميت... لقد مات ليلة أمس.

- هل تعني...؟

كادت السيدة هوبارد أن تنهض من كرسيها انفعالاً.

- نعم، أعني ذلك. كان راتشيت هو ذلك الرجل.

- حسناً، حسناً. يجب أن أكتب لابتني وأخبرها بذلك. ألم أخبرك ليلة أمس أن لذلك الرجل وجهاً شريراً؟ لقد كنت مُحِقَّة. إن ابنتي تقول دائماً: عندما تحدث أمي بشيء فبوسعك أن تراه من على صحته

- هل كنتِ على معرفة بأي من عائلة أرمسترونغ يا سيدة هوبارد؟

- لا؛ فقد كانت لهم دائرتهم الاجتماعية الخاصة الضيقة. ولكنني سمعت دوماً أن السيدة أرمسترونغ كانت حميلة ولطيفة وأن زوجها كان يهيم حباً بها.

- حسناً يا سيده هوبارد، لقد ساعدتنا... ساعدتنا كثيراً حقاً.  
هلا أعطيتني اسمك كاملاً؟

- بالتأكيد؛ كارولين مارتا هوبارد.

- هلا كتبت عنوانك هنا؟

فعلت السيدة هوبارد ذلك دون أن تتوقف عن الكلام:  
لا أستطيع أن أصدق ذلك... كاسيتي على هذا القطار! لقد كان  
لديّ حدس بخصوص ذلك الرجل، أليس كذلك يا سيد بوارو؟

- بلى، بالفعل يا سيدتي. بالمناسبة، هل لديك قميص نوم  
قرمزي؟

- يا إلهي، ياله من سؤال غريب! ولكن لا؛ لدي قميصان  
للنوم أحدهما وردي والآخر قدمته لي ابنتي هدية، وهو صناعة  
محلية من الحرير البنفسجي. ولكن ما الذي يدفعك إلى أن تسأل  
عن قمصان نومي؟

- لقد دخلت امرأة ترتدي قميص نوم قرمزيًا إما إلى مقصورتك  
أو إلى مقصورة السيد رانشيت ليلة أمس، فكما قلت قبل قليل من  
الصعب تمييز المقصورات عندما تكون الأبواب مغلقة.

- لم تدخل غرفتي أنا أي امرأة ترتدي قميص نوم قرمزيًا.

- إذن لا بد من أنها دخلت مقصورة السيد رانشيت؟

زمت السيدة هوبارد شفتيها وقالت بشجهم: إن ذلك  
لا يدهشني.

مال بوارو إلى الأمام وقال: إذن فقد سمعت صوت امرأة في  
المقصورة التي بجانبك؟

- لا أدري كيف عرفت ذلك يا سيد بوارو، إنني لا... ولكن،  
حسناً، في الواقع لقد سمعت.

- ولكن عندما سألت لتوي إن كنت قد سمعت شيئاً في  
المقصورة التي بجانبك قلت إنك لم تسمعي سوى شخير السيد  
رانشيت.

- كان ذلك صحيحاً؛ فقد شخر لبعض الوقت. أما بالنسبة  
للأمر الآخر...

توزد وجه السيدة هوبارد، ثم تابعت: ليس لطيفاً أن يتحدث  
المرء عن أمور كهذه.

- كم كان الوقت عندما سمعت صوت المرأة؟

- لا أستطيع أن أخبرك. صحت لدقيقة فقط وسمعت صوت  
امرأة تتحدث، وكان واضحاً من أين يأتي الصوت، ففكرت في  
نفسي: "أنا لا أستغرب؛ فهو من هذا النوع من الرجال"، ثم عدت  
إلى النوم ثانية. وما كنت لأذكر شيئاً مثل هذا أمام ثلاثة رجال غرباء  
لولا أنك سحبت مني الكلام سحاً.

- هل وقع هذا قبل أن تخافي من وجود الرجل في مقصورتك  
أم بعد ذلك؟

- ولكن هذا مثل سؤالك قبل قليل! ما كان ليستقبل امرأة

تحدث معه إذا كان ميتاً، أليس كذلك؟

- عفواً! لا بد وأنك تظنني غيباً يا سيدتي

- أظن أن الأمور تختلط أحياناً حتى عليك أنت. ما زلت لا أكاد أصدق أنه ذلك المتوحش كاسيتي. ماذا ستقول ابنتي...

استطاع بوارو -ببراعة- أن يساعد السيدة في إعادة محتويات حقيبتها ثم رافقها إلى الباب، وفي آخر لحظة قال لها: لقد أسقطت مسدسك يا سيدتي.

نظرت السيدة هوبارد إلى المنديل الذي كان يمسك به وقالت: إنه ليس لي يا سيد بوارو، إن منديلي معي

- عفواً، ظننته منديلك بسبب حرف الهاء المطرزة عليه.

- هذا عجيب حقاً، ولكنه ليس لي، إن منديلي تحمل العلامة ك.م.هـ. وهي من النوع المعتقول وليس من القماش الباريسي الشمين ما فائدة منديل كهذا لأنف المرأة؟

لم يبدُ أن لدى أي من الرجال الثلاثة جواباً لهذا السؤال، فغادرت السيدة هوبارد بانتصار

\* \* \*

## الفصل السادس

### إفادة السيدة السويدية

كان السيد بوك يفحص الزر الذي تركته السيدة هوبارد خلفها، ثم قال: لا أفهم معنى وجود هذا الزر، أيعني هذا أن بير ميشيل متورط بطريقة ما؟

صمت قليلاً، ولما لم يجبه بوارو على سؤاله قال: ماذا تقول يا صديقي؟

رد بوارو مفكراً: إن لهذا الزر احتمالات عديدة، ولكن دعنا نقابل السيدة السويدية قبل أن تناقش الإفادات التي سمعناها.

فتش في كومة جوازات السفر أمامه ثم قال: آه، ها هو. غريتا أولسون، العمر تسعة وأربعون عاماً

أعطى السيد بوك تعليماته لنادل المطعم، وفي الحال جاءت السيدة ذات كعكة الشعر الرمادية المصفرة والوجه الطويل الهادئ المخانع كوجه نعجة، ونظرت من خلال نظاراتها إلى بوارو وقد بدت هادئة جداً



سألها بوارو في البداية الأسئلة التي كان يعرف إجاباتها:  
اسمها، وعمرها، وعنوانها، ثم سألها عن مهنتها. فأخبرته أنها كانت  
تعمل في مدرسة قرب إسطنبول وأنها كانت ممرضة مؤهلة.

- تعلمين بالطبع ما الذي حدث ليلة أمس يا آنسة؟

- بالطبع إنه أمر فظيع، وقد أخبرتني المرأة الأميركية أن القاتل  
كان في مقصورتها.

- سمعت أنك أحر من رأى الرجل الميت على قيد الحياة؟

- لا أعلم قد يكون الأمر كذلك، فقد فتحت باب مقصورته  
خطأً وأحسست بالخجل البالغ من ذلك لقد ارتكبت خطأً محرراً.

- هل رأيته فعلاً؟

- نعم. وكان يقرأ كتاباً، فاعتذرت بسرعة وانسحبت.

- هل قال لك شيئاً؟

تورد خذا السيدة الفاضلة قليلاً وقالت: ضحك وقال عدة  
كلمات، ولكنني لم أسمعها تماماً.

سأل بوارو مبتعداً عن الموضوع بلباقة. وماذا فعلت بعد ذلك  
يا آنسة؟

ذهبت إلى السيدة الأميركية، السيدة هوبارد، وطلبت منها  
بعض الأسبرين، فأعطتني.

- هل سألتك إن كان الباب الذي يفصل مقصورتها عن مقصورة  
السيد رانشيت معلقاً؟

- نعم.

- وهل كان مقللاً؟

- نعم.

- وبعد ذلك؟

- بعد ذلك عدت إلى مقصورتي وأخذت بعض الأسبرين  
واستلقيت.

منى حدث كل ذلك؟

عندما ذهبت إلى السرير كانت الساعة الحادية عشرة إلا  
خمس دقائق لأنني أنظر - عادة - إلى ساعتني قبل النوم.

- هل غفوت بسرعة؟

- ليس بسرعة، فعلى الرغم من أن ألم رأسي تحسن إلا أنني  
بقيت مستيقظة لبعض الوقت.

- هل وقف الفطار قبل أن تنامي؟

- لا أظن ذلك. أظن أننا وقفنا في محطة ما في اللحظة التي  
بدأت أعنو فيها.

- لا بد وأنها كنت فيكوفشي. والآن، مقصورتك هي هذه؟

وأشار بيده إلى مخطط العربة فقالت: نعم؛ هذه هي

- هل تشغلين السرير العلوي أم السفلي؟

- السوبر نسطلي رقم ١

- ولديت رفته؟

نعم، شاة بكبيره نظيفة جداً وودودة جداً، وهي ناسفر من بغداد.

- هل غادرت وفيثتك المتصورة بعد أن غادر القطار فيكوفشي؟

- لا، أنا متأكدة من أنها لم تفعل.

- لماذا أنت متأكدة طالما كنت نائمة.

- إن يومي خفيف جداً، وأصحو لأي صوت. وأنا متأكدة لو أنها نزلت من السوبر العلوي لكنت صحو.

- هل غادرت أنت المتصورة؟

- لم أغادرها حتى هذا الصباح.

- هل لديك قميص نوم قرمزي من الحريري يا أنسة؟

- لا، الحقيقة أن لدي قميص نوم مريحاً مصنوعاً من القماش إنها عباءة بنفسجية كذلك التي تباع في الشرق.

مر بورو رأسه، لم سأل بصوت وودود: لم نساغرين في هذه لوجنة؟ هل أنت في إحارة؟

نعم، أنا دهنه نبي بسدي في إحارة، ونكسي سأذهب أولاً إلى بورو وأمصبي أسبوعاً عند أختي.

- هلا تنظمت وكنت اسم أخت وعنوانها؟

بكل سرور

أخذت منه القلم والورقة وكتبت الاسم والعنوان كما طلب منها

- هل ذهبت إلى أمريكا قط يا أنسة؟

- لا، كدت أذهب إلى هناك مرة مع امرأة معوقة، ولكن ألبست الرحلة في التحظات الأخيرة. وقد أجزتني ذلك، فلأمبركيون جيدون في الدفع وعمليون جداً.

- هل تذكرين أنك سمعت عن قضية اختطاف طفلة اسمها أرمسترونغ؟

- لا، وماذا كانت تلك القضية؟

شرح لها بوارو القضية فسخطت غريتا أولسون وارتعدت كعكة شعرها من فرط تأثرها وقالت: ما أعجب أن يكون في هذا العالم رجال شريرون كهذا! يا للام المسكينة! إن قلبي يتألم لها

غادرت السويدية الودودة وقد احمر وجهها اللطيف وامتلأت عينها بالدموع.

وكان بوارو يكتب شيئاً بسرعة على ورقة، فسأله السيد بوك: ما الذي تكتبه يا صديقي؟

- يا عزيزي، إنها عادتني أن أكون منظماً ومرتباً، وأنا أكتب هنا قائمة بالأحداث مرتبة ترتيباً زمنياً

أنهى كتابته وتمرر الورقة للسيد بوك الذي قرأ فيها:

٩,١٥ غادر القطار بلفراد.

نحو ٩,٤٠ الخادم ترك راتشيت وبعجابه المنوم.

نحو العاشرة ماكورين يغادر راتشيت.

نحو ١٠,٤٠ غريتا أولسون ترى راتشيت (وهي آخر مرة يرى فيها على قيد الحياة).

ملاحظة: كان مستبقظاً بقرأ كتاباً).

١٢,١٠ القطار يغادر فينكوفشي (متأخراً).

١٢,٣٠ القطار يواجه عواصف ثلجية.

١٢,٣٧ قرع جرس راتشيت وأجاباه المسؤول، فرد راتشيت: "لا يوجد شيء، كان ذلك خطأ مني".

١,١٧ تعتقد السيدة هوبارد أن في مقصورتها رجلاً وتقرع الجرس لاستدعاء المسؤول.

هز السيد بوك رأسه برضا وقال: هذا واضح جداً.

- ألا شيء هنا يبدو لك غريباً؟

- بل كل شيء يبدو واضحاً. من الواضح أن الجريمة وقعت في الساعة الواحدة والربع؛ إذ أن الساعة المعطمة تدلنا على ذلك، وهذا مطابق لقصة السيدة هوبارد. بالنسبة لي سأحاول أن أخمن هوية القاتل، وأنا أقول - يا صديقي - إنه الإيطالي الضخم؛ فهو قادم من أميركا (ومن شيكاغو بالتحديد، وتذكر أن سلاح الإيطالي هو السكين) وهو لم يظن مرة واحدة بل عدة طعنات.

- هذا صحيح.

- ما من شك في أن هذا هو حل المشكلة الغامضة، ولا أشك في أنه والسيد راتشيت كانا يعملان في الاختطاف معاً. إن كاسيتي اسم إيطالي، وبطريقة ما قام راتشيت بخداعه فنتحه الإيطالي وأرسل إليه في البداية رسائل تهديد، وأخيراً نأر لنفسه بطريقة وحشية. هذا ما حدث بمتتهى البساطة.

هز بوارو رأسه مشككاً وتمتم قائلاً: أخشى أن الأمر ليس بهذه البساطة.

قال السيد بوك وقد افتن بنظريته أكثر فأكثر: أما أنا فإنني مقتنع بأن هذه هي الحقيقة.

- وماذا عن الخادم المصاب بوجع الأسنان الذي أقسم أن الإيطالي لم يغادر المقصورة؟

- هنا تقع الصعوبة.

لمعت عينا بوارو وقال: نعم، إن هذا مثير للغيظ؛ فمن سوء حظ نظرتك وحسن حظ الرجل الإيطالي أن يعاني خادم السيد راتشيت ألماً في أسنانه.

قال السيد بوك مؤكداً بشدة: سيتم تفسير ذلك.

هز بوارو رأسه ثانية، وتمتم مرة أخرى: كلا... ليس الأمر بهذه السهولة!

• • •

- ولكن لم يكن هناك أحد يا سيدي. لابد من أن السيدة تخيلت ذلك.

- إنها لم تتخيله يا ميشيل. لقد مرّ قاتل السيد واتّشبت من هناك وأسقط هذا الزر.

ما أن وعى بيير ميشيل كلمات السيد بوك حتى اتّابته حالة من الهيجان العصبي الشديد وصاح قائلاً هذا ليس صحيحاً يا سيدي ليس صحيحاً! إنكم تتهمونني بالحرime أن؟ إنني برى... إنني برى تماماً. ولماذا أريد أن أقتل رجلاً لم أراه أبداً من قبل؟

- أين كنت عندما قرعت السيدة هوبارد الجرس؟

- أخبرتك يا سيدي؛ كنت في العربة التالية أنحدث مع زميلي

- سوف نرسل في ضلّيه.

- افعل ذلك... أرجوك يا سيدي افعل ذلك.

استدعي مسؤول العربة التالية وأكد فوراً مقالة بيير ميشيل، وأضاف أن مسؤول عربة بوحرست كان عنده أيضاً حيث كان الثلاثة يناقشون الوضع الذي يحده عن النلوح وقد تحدثوا نحو عشر دقائق حتى ظن ميشيل أنه سميع جرساً، ولما فتح الباب الذي يصل بين العريتين سمعوه جميعاً بوضوح. كان جرس يقرع باستمرار فركض ميشيل مسرعاً ليحب عليه.

صاح ميشيل بلهفة: أترى يا سيدي؟ أنا لست مذنباً.

## الفصل السادس إفادة الأميرة الروسية

قال بوارو: لنسمع ماذا يقول بيير ميشيل عن الزر.

استدعي مسؤول أنداكرشيه وحين جاء نظر إليه مستفسراً، فتصحح السيد بوك وقال: ميشيل، هذا زر من سترتك وقد عُثر عليه في مقصورة السيدة الأمريكية، ماذا تقول في ذلك؟

تحركت يد المسؤول آلياً نحو سترته وقال: أنا لم أفقد أي زر يا سيدي، لعل في الأمر خطأ ما

- هذا غريب جداً.

- لا أستطيع تفسير هذا الأمر يا سيدي.

بدا الرجل مدهوشاً ولكن لم يبد عليه أنه مذنب أو مرتكب.

قال السيد بوك: وفقاً للظروف التي عُثر بها عليه يبدو من المؤكد أن هذا الزر أسقطه الرجل الذي كان في مقصورة السيدة هوبارد عندما قرعت الحرس.

- وكيف تفسر هذا الزر من الزبي الرسمي لمسترة الشركة؟

- لا أستطيع تفسيره يا سيدي. إن الأمر غامض بالنسبة لي  
فجميع أزراري سليمة.

أعلن المسؤولان الآخران أنهما لم يفقدا أزراراً، وأن أياً منهما  
لم يدخل مقصورة السيدة هوبارد في أي وقت.

قال السيد بوك: اهدأ يا ميشيل، وعُدْ بذكرتك إلى اللحظة  
التي ركضت فيها لثرة على جرس السيدة هوبارد. هل قابلت أحداً  
في الممر؟

- لا يا سيدي.

- هل رأيت أحداً يمشي مينعداً عنك في الاتجاه المعاكس؟

- مرة أخرى: لا يا سيدي.

قال السيد بوك: غريب.

قال بوارو: ليس غريباً أبداً؛ فالقضية قضية وقت. لقد أفاقت  
السيدة هوبارد لتجد أن في مقصورتها شخصاً. بقيت مشلولة الإرادة  
لدقيقة أو اثنين وقد أغلقت عينيها، وربما تسلل الرجل إلى الممر  
في تلك اللحظة، ثم بدأت تفرع الجرس، إلا أن المسؤول لم يأت  
في الحال لأنه لم يسمع الجرس سوى في المرة الثالثة أو الرابعة  
إنني أقول إن ما يكفي من الوقت قد توفر...

- وقت لماذا؟ لماذا يا عزيزي؟ تذكر أن القطار كان محاطاً  
بغطاء سميك من الثلوج.

قال بوارو يبطء: يوجد طريقان مفتوحان للقاتل الغامض.  
يستطيع أن يتراجع إلى أي من الحمامين أو أن يختفي في إحدى  
المقصورات.

- ولكنها كانت جميعاً مشغولة.

- نعم.

- أتعني أنه تراجع إلى مقصورته هو؟

هز بوارو رأسه موافقاً، فيما تتمم السيد بوك: هذا تفسير  
مناسب... نعم، مناسب. فخلال غياب مسؤول التذاكر في تلك  
الدقائق العشر يأتي القاتل من مقصورته ويدخل إلى مقصورة رانسييت  
فيقتله ثم يفل الباب ويغلقه بالمزلاج من الداخل ويخرج من خلال  
مقصورة السيدة هوبارد ويعود بأمان إلى مقصورته قبل وصول  
مسؤول التذاكر.

تتمم بوارو: إن الأمر ليس بهذه البساطة يا صديقي، كما  
يستطيع أن يخبرك بذلك صديقنا الطبيب.

أشار السيد بوك إلى أن باستطاعة المسؤولين الثلاثة أن يغادروا.  
وقال بوارو: ما زال لدينا ثمانية ركاب لنراهم، خمسة من الدرجة  
الأولى: الأميرة دراغوميروف والكونت والكونتيسة أندرينه والعقيد  
أربوثنوت والسيد هاردمان، وثلاثة ركاب من الدرجة الثانية: الأنسة  
ديينهام وأنطونيو فوسكارينلي وخادمة السيدات الأنسة شميدت.

- من الذي سترأ أولاً، الرجل الإيطالي؟

أراك لن تترك الإيطالي لحاته! لا، سيبدأ من أعلى الشجرة.  
قد تخلصت الأميرة وتوفرت لنا بضع دقائق من وقتها، انقل لها هذا  
رسالة يا مشل

قال المسؤول الذي كان بهم سفيرة العربة نعم يا سيدي  
رده السيد بولك أحمرها يا مشل يستطيع أن يذهب إلى مقصورتها  
إذا لم تكن تريد أن نعب نفسها ونأتي إلى هنا

ولكن الأميرة دراغومبروف رفضت هذا العرض وظهرت في  
عربة لمطمع وحسب مقابل بوارو... وحبيب الصغير الذي يشبه  
وجه السحالي أكثر اصفراراً مما بدأ بالأسود. وكانت شحنة حديد.  
ولكنها (مثل السحالي أيضاً...) كانت تمسك عيس كنهها حوهر...  
سوداوين أمرتين، تنفان عن طاقة كامنة وذكا. وقد يمكن الإحساس  
بهما فوراً.

كان صوتها عميقاً ومميزاً وبه شيء من البهجة، وقد قامعت  
السيد بولك الذي كان يعتذر بعبارات منمقة: لا داعي للاعتذار يا سادة  
أفهم أن حريمة قتل قد وقعت ومن الطبيعي أن تغالبوا جميع الركاب.  
وسوف أكون مسرورة بتقديم ما أستطيعه من مساعدة.

قال بوارو: أنت لطيفة جداً يا سيدي

- أبدأ: إنه واجب. ماذا تريد أن تعرف؟

- اسمك الكامل وعنوانك يا سيدي، ربما تفضلين أن تكتبي  
ذلك بنفسك؟

عرض عليها بوارو ورقة وقلماً ولكن الأميرة أبعدتهما جانباً  
وقالت: تستطيع أن تكتب ذلك بنفسك، إنه ليس صعباً: اسمي تنال  
دراغومبروف، وعنواني ١٧ شارع كليبر، باريس

سفيرة أنت من القسطنطينية إلى بلدك يا سيدي؟

- نعم. وقد كنت أقيم في السفارة المساوية ومعني خادمتي  
هلاً تعضت وذكركت لي ببيجار كيف كانت تحركتت لبنة  
أمس بعد العشاء؟

- بكل سرور خللت من المسؤول أن يعد سريري بينما كنت  
في عربة المظلم، ثم مضيت إلى فراشي بعد العشاء مباشرة فترأت  
حتى الساعة الحادية عشرة، وعدم أطفأت المور لم أتمكن من النوم  
بسبب بعض آلام الروماتيزم التي أعاني منها، وفي نحو الواحدة إلا  
ربحاً فرغت الجرس لخادمتي فدلكتني ثم قرأت لي بصوت مرمع  
حتى شعرت بالنعاس. لا أستطيع أن أقول متى تركتني بالضبط، ربما  
بعد ذلك بنصف ساعة أو أكثر.

- أكان القطار قد توقف حينها؟

- كان قد توقف.

هل سمعت أي شيء، أي شيء عبر عادي خلال هذا  
الوقت يا سيدي؟

لم أسمع شيئاً عبر عادي

- ما اسم خادمتك؟

- هيلدا غارد شميدت.

- هل تعمل لديك منذ مدة طويلة؟

- خمس عشرة سنة.

- هل تعتبرينها أهلاً للثقة؟

- تماماً، وأهلها كانوا في عزبة زوجي المتوفي، في ألمانيا.

- أظنك ذهبت إلى أميركا يا سيدتي؟

أدى التغيير المفاجئ في الموضوع إلى أن ترفع السيدة المسنة حاجبها قبل أن تقول: عدة مرات.

- هل عرفت هناك عائلة باسم آرمسترونغ... عائلة حدثت لها مأساة؟

قالت العجوز بشيء من العاطفة في صوتها: إنك تتحدث عن أصدقاء لي يا سيد.

- إذن تعرفين العقيد آرمسترونغ جيداً؟

- عرفته قليلاً، ولكنني عرفت أكثر زوجته سونيا آرمسترونغ؛ فقد كنت على علاقة صداقة مع أمها الممثلة ليندا آردن. لقد كانت ليندا آردن عبقرية فذة وواحدة من أعظم ممثلات التراجيديات في العالم، ولم يكن أحد يقترب من عظمة أدائها. ولم أكن معجبة بفنها فحسب، ولكنني كنت صديقة شخصية لها.

- أهي ميتة؟

- لا، لا، إنها على قيد الحياة، ولكنها تعيش في عزلة تامة. إن صحتها بالغة الرقة ويجب أن تستلقي معظم الوقت.

- أظن أن هناك ابنة أخرى؟

- نعم، أصغر بكثير من السيدة آرمسترونغ.

- هل هي على قيد الحياة؟

- بالتأكيد.

- أين هي؟

ومقته العجوز بنظرة حادة وقالت: يجب أن أسألك عن السبب وراء هذه الأسئلة وعن علاقتها بالقضية الحالية... بجريمة القتل على هذا القطار؟

- انقضبتان مرتبطتان كالتالي يا سيدتي: إن الرجل الذي قُتل مسؤول عن اختطاف وقتل طفلة السيدة آرمسترونغ.

تقطب حاجباها المستقيمان واستندت في جلستها وقالت: برأيي - إذن - أن هذه الجريمة حدث بشئ كل الإعجاب! واعدوني لوجهة نظري المتحيزة قليلاً.

- هذا طبيعي جداً يا سيدتي. ولنعد الآن إلى السؤال الذي لم نجيب عنه: أين هي الابنة الصغرى ليندا آردن، أي شقيقة السيدة آرمسترونغ؟

- صدقاً لا أستطيع أن أخبرك يا سيد؛ فقد فقدت الاتصال مع الجيل الصغير. ولكن أظن أنها تزوجت قبل بضع سنوات رجلاً

إنكليزياً وذهبت إلى إنكثراء، ولا أستطيع أن أتذكر الاسم في هذه  
لحظة

توقفت للحظة، ثم قالت: هل من أسئلة أخرى أيها السادة؟  
- شيء واحد يا سيدتي، وهو سؤال شخصي: ما هو لون  
قميص نومك؟

رفعت حاجبيها قليلاً وقالت: أظن أن وراء هذا السؤال سبباً.  
إن قميص نومي من الساتان الأزرق.

- لا يوجد شيء آخر يا سيدتي. إنني شاكر لك جداً لإجابتك  
عن أسئلتني.

أشارت إشارة خفيفة بيدها المليئة بالخواتم، وفيما كانت  
تنهض وينهض معها الآخرون قالت: اعدوني يا سيدي، ولكن هل  
أستطيع أن أسأل عن اسمك؟ فوجهك مألوف نوعاً ما

- اسمي هو هيركيول بوارو يا سيدتي، وأنا في خدمتك.

بقيت صامتة لحظة ثم قالت: هيركيول بوارو... نعم، أتذكر  
الآن. إن هذا نَقْدَر.

مشت مبعدة وهي متنصبة وحركاتها مشدودة بعض الشيء،  
فقال السيد بولك: هذه سيادة عظيمة. ما رأيك بها يا صديقي؟

وتكهن هيركيول بوارو اكتفى بأن هز رأسه وقال: أسمع ماذا  
كانت تعني بقولها إنه قدر؟

• • •

## الفصل السابع

### إفادة الكونت والكونتيسة أندرينيه

استدعي -بعد ذلك- الكونت والكونتيسة أندرينيه، إلا أن  
الكونت دخل عربة المطعم وحده.

ما من شك في أنه كان رجلاً وسيماً عندما يُرى وجهاً لوجه.  
كان طوله لا يقل عن ستة وثمانين سنتراً وذا كتفين عريضين وورك  
نحيل، وقد لبس ملابس خيطة بعناية من الصوف الإنكليزي.  
وكان من السهل أن يخطئ المرء ويحسبه إنكليزياً لولا طول شاربيه  
وانسياب خط وجتيه.

قال: حسناً أيها السادة، بماذا أستطيع مساعدتكم؟

قال بوارو: إنك تفهم -يا سيدي- أنه على ضوء ما حدث فإنني  
مضطر لتوجيه بعض الأسئلة لجميع الركاب.

قال الكونت يسر: تماماً، تماماً، إنني أفهم وضعكم تماماً،  
إلا أنني أخشى أنني وزوجتي لا نستطيع أن نفعل شيئاً لمساعدتكم،  
فقد كنا نائمين ولم نسمع شيئاً أبداً.



- هل تعرف هوية الرجل الميت يا سيدي؟

- لقد فهمت أنه الأميركي الضخم ذو الوجه الكريه... كان يجلس على تلك الطاولة أثناء الوجبات.

أوما برأسه نحو الطاولة التي كان يجلس عليها رانشيت وماكوبس فقال بوارو: نعم، نعم يا سيدي؛ أنت مصيب تماماً. ولكنني عانيت: هل تعرف اسمه؟

- لا.

بدا الكونت محتاراً من أسئلة بوارو، ثم قال: إذا أردت أن نعرف اسمه فمن المؤكد أنه في جواز سفره.

قال بوارو: الاسم الذي في جواز سفره هو رانشيت، ولكن هذا ليس اسمه الحقيقي. إنه كاسيتي الذي كان مسؤولاً عن قضية اختطاف مشهورة أغضبت أميركا.

راقب الكونت بعناية وهو يتحدث إلا أنه بدا غير متأثر لهذه المصنوعات. كل ما فعله هو أن فتح عينيه قليلاً ثم قال: آه! لا بد وأن ذلك يُضفي بعض الضوء على القضية. إن أميركا بلد غريب جداً.

- هل ذهبت إلى أميركا يا سيدي الكونت؟

- مكثت في واشنطن لسنة.

- هل تعرّفت على عائلة باسم آرمسترونغ؟

- آرمسترونغ... آرمسترونغ... من الصعب أن أتذكر، فالمرء يقابل الكثير من الناس.

ابسم ورفع كفيه حيرة ثم قال: ولكن لنعد إلى موضوع الساعة أبها السادة. ماذا أستطيع أن أعمل لمساعدتكم؟

- متى ذهبت إلى النوم يا سيدي الكونت؟

استرق هيركيول بوارو نظرة إلى مخططة. كان الكونت والكونتيسة يشغلان المقصورتين المتجاورتين ١٢ و ١٣.

- طلبنا إعداد إحدى المقصورتين بينما كنا في عربة المطعم، وعندما عدنا جلسنا في الأخرى لبعض الوقت...

- في أية واحدة؟

- رقم ١٣. لعبنا الورق، وفي نحو الحادية عشرة أوت زوجتي إلى فراشها، فقام المسؤول بإعداد مقصورتني وذهبت أنا الآخر إلى السرير ونمت بعمق حتى الصباح.

- هل لاحظت توقف القطار؟

- لم ألحظ ذلك حتى هذا الصباح.

- وزوجتك؟

- تأخذ زوجتي المنوم دائماً عندما تسافر بالقطار، وقد تناولت جرعتها المعتادة أمس من منوم تريونال.

صمت للحظة ثم قال: أنا آسف لأنني لم أساعدكم بأية طريقة.

مزر له بوارو ورقة وقلماً: شكراً يا سيدي الكونت. هلاً كتبت  
لي اسمك وعنوانك. إنه أمر روتيني.

كتب الكونت ببطء وعناية، ثم قال بسرور: جيد أنني أكتب  
ذلك بنفسه؛ فتهجئة اسم عزيتي في بلدي صعب بعض الشيء  
بالنسبة لأولئك الذين لا يعرفون اللغة.

أعاد الورقة والقلم إلى بوارو ونهض قائلاً: لا داعي أبداً لأن  
تأتي زوجتي إلى هنا، فهي لا تستطيع أن تزيد على ما قلته لكم.

لمعت عينا بوارو قليلاً وقال: بلا شك، بلا شك. ولكن على  
الرغم من ذلك فزيتي أود أن أتحدث قليلاً إلى السيدة الكونتيسة.

- أؤكد لك أن هذا غير ضروري أبداً

بدت في صوته نبرة المسؤول الأمر، فنظر بوارو إليه وهو يرف  
برمليه بنهف وقال: سيكون ذلك مجرد إجراء شكلي. أنت تفهم أن  
ذلك ضروري لتقرير.

- كما تحب.

أذعن الكونت متبرماً، وانحنى انحناءة أجنبية قصيرة ثم غادر  
عربة المطعم.

مد بوارو يده إلى أحد جوازات السفر، كان يحتوي على اسم  
الكونت وألقابه، ثم المعلومات الأخرى: تصحبه زوجته. اسمها  
الأول إيلينا، واسمها قبل الزواج: غولدنبرغ، العمر عشرون عاماً  
وكانت هناك بقعة من الدهن يبدو أن موظفاً مهملاً قد أسقطها في  
وقت ما

قال السيد بوك: جواز سفر ديبلوماسي! يجب أن نكون  
حريصين على ألا نسيء إليهما يا صديقي. لا يمكن أن نكون لهؤلاء  
الناس علاقة بالجريمة.

- اهدأ يا صديقي العزيز. سأكون لبقاً جداً، إنه مجرد إجراء  
شكلي.

انخفض صوته حينما دخلت الكونتيسة أندريه عربة المطعم.  
بدت خائفة وفاتنة جداً وهي تسأل: أتودون أن تروني أيها السادة؟

قال بوارو: إنه مجرد إجراء شكلي يا سيدتي الكونتيسة.

نهض وانحنى لها مشيراً إلى المقعد الذي يقابله، ثم أضاف:  
أود فقط أن أسألك إن كنت قد رأيت أو سمعت شيئاً ليلة أمس مما  
قد يلقي بعض الضوء على الأمر.

- لا شيء أبداً يا سيد؛ لقد كنت نائمة.

- أتم تسمي - مثلاً - ضجة في المقصورة التي بجانبك؟  
فالسيدة الأميركية التي تشغلها أصيبت بحالة عصبية وقرعت الجرس  
للمسؤول.

- لم أسمع شيئاً يا سيد؛ فقد تناولت عشاءاً منوماً.

- آه! فهمت. حسناً، لا حاجة لأن أؤخرك هنا أكثر من  
ذلك.

وفيما كانت تنفث بسرعة قال: دقيقة واحدة فقط. هذه

المعلومات هنا اسمت قل الرواح وعمرك وما إلى ذلك... هل هي صحيحة؟

صحيحة تماماً يا سيد

- ربما تودين - إذن - أن توقعي هنا على صحة المعلومات.

وقعت بسرعة ويخط مانل مهيب: «إلينا أندريه».

- هل رافقت زوجك إلى أميركا يا سيدتي؟

ابتسمت وتورد خذاها قليلاً وهي تقول لا يا سيد؟ فلم تكن متزوجين حينئذ. لقد مضى على رواجنا ستة فقط.

- آه، نعم شكراً يا سيدتي بالمناسبة، هل يدخن زوجك؟

حدقت إليه وهي تقف استعداداً للمغادرة وقالت نعم.

- الغليون؟

- لا؛ بل لغائف الشيخ.

آه، شكراً لك.

ترشت وهي تراقبه بفضول، ثم سأله: لم سألتني ذلك؟

لوح بوارو بيده قائلاً إن المحققين يسألون كل أنواع الأسئلة يا سيدتي. هلا أخبرتي - مثلاً - ما هو لون قميص نومك؟

حدقت إليه ثم ضحكت قائلة: إنه بلون الذرة. أهذا مهم

حقاً؟

- مهم جداً يا سيدتي.

سألت بفضول: هل أنت محقق فعلاً، إذن؟

- في خدمتك يا سيدتي.

- لم اظن أنه يوجد محققون على القطار خلال عبورنا في يوغسلافيا.

أنا لست محققاً يوغسلافياً يا سيدتي. إني محقق دولي.

أنت تنتمي إلى عصابة الأمم؟

قال بوارو بصورة درامية: إني أنتمي إلى العالم يا سيدتي، ولكنني أعمل غالباً في لندن. هل تحدثين الإنكليزية؟

سألها ذلك السؤال بالإنكليزية (وقد كانت محادثتهما - حتى ذلك الحين - بالفرنسية) فقالت: نعم، قليلاً.

كانت لكتتها محببة، وأحسنى بوارو مرة أخرى قائلاً: لن نؤخرك أكثر من ذلك يا سيدتي. أترين؟ لم يكن الأمر بتلك الفطاعة.

ابتسمت وأحنت رأسها ثم غادرت.

قال السيد بورك مُفدراً: يا لها من امرأة جميلة. ثم تنهد وقال: حسناً، ولكن ذلك لم يجعلنا نتقدم كثيراً.

قال بوارو: نعم؛ شخصان لم يريا شيئاً ولم يسمعا شيئاً.

- هلاً رأينا الرجل الإيطالي الآن؟

ثم يجبه بوارو للتحفظات، حيث كان يتفحص بقعة دهن على  
حوار مشر دسوماسي شعري

\*\*\*

## الفصل الثامن

### إفادة العقيد أربوثنوت

تنبه بوارو من تأملاته ببعض الجفلة، ولمعت عيناه قليلاً عندما  
قابلته عيني السيد بولك المتهافتين وقال: أه يا صديقي القديم والعزير!  
لقد أصبحت ممن يتملقون المنزل الاجتماعية، إذ أشعر أن علينا أن  
نولي اهتماماً لدرجة الأولى قبل الدرجة الثانية. سنقبل الآن العقيد  
الوصيم أربوثنوت.

لما وجد بوارو أن فرنسية العقيد محدودة للغاية أجرى المقابلة  
باللغة الإنكليزية.

ثم التأكد من اسم أربوثنوت وعمره وعنوانه وحياته العسكرية،  
ثم تابع بوارو: أنت ذاهب إلى الوطن من الهند فيما يسمى بالإجازة...  
ما ندعوه نحن الإذن؟

ثم يعبا العقيد أربوثنوت بما تطلقه زمرة من الأجانب من  
الأسماء على أي شيء. ونحسب «إيجاز بريطاني تقنيدي». نعم.

ونكسث لم نصادف على متن سفينة نقل «المرشد والعسكريين»

- نعم

- لم تفعل؟

- اخترت السفر بطريق البر لأسباب خاصة بي.

بدت طريقته في الكلام وكأنه يقول في نفسه: وهذه صفقة لك أيتها المنطفل الوقح.

- هل قدمت من الهند مباشرة؟

أجاب العقيد بجفاء: توقفت ليلة واحدة لأرى «أور» مدينة الكلدانيين، وثلاثة أيام في بغداد عند المندوب السامي الذي اتفق أنه كان صديقاً قديماً لي.

- توقفت ثلاثة أيام في بغداد، وقد فهمت أن الشابة الإنكليزية الأنسة دينهام قدِمَتْ أيضاً من بغداد. هل قابلتها هناك؟

- لا، لم أقابلها. كانت أول مرة أقابل بها الأنسة دينهام عندما ركبنا معاً عربة القطار من كركوك إلى نصيبين.

مال بوارو إلى الأمام، وبدأ أجنبياً أكثر مما يتطلب الأمر وهو يقول: إني سوف أتوسل إليك يا سيدي، فأنت والأنسة دينهام الإنكليزيان الوحيدان على القطار، ومن الضروري أن أعرف رأي كل منكما بالآخر.

قال العقيد أربوثنوت ببرود: هذا غير طبيعي أبداً.

- ليس كذلك، فالغالب أن امرأة هي التي ارتكبت هذه

الجريمة؛ إذ طعن الرجل ما لا يقل عن اثنتي عشرة مرة، حتى إن مسؤول القطار قال من قوره: «إنها امرأة!». فما هو أول ما ينبغي لي القيام به إذن؟ يجب علي أن أقوم بتقصُّ سريع لكل النساء المسافرات في عربة إسطنبول-كاليه، ولكن من الصعب أن يحكم المرء على النساء الإنكليزيات، فهن شديدات التحفظ لذلك فإني أتوسل إليك -يا سيدي- خدمةً للعدالة: أي نوع من النساء هي الأنسة دينهام؟ وماذا تعرف عنها؟

قال العقيد بشيء من الحرارة: إن الأنسة دينهام سيده محترمة.

قال بوارو وقد أظهر كامل امتثانه: آه، إذن أنت لا تعتقد أنها يمكن أن تكون معنية بهذه الجريمة؟

قال أربوثنوت: هذه الفكرة سخيفة، فالرجل كان غريباً تماماً عنها وهي لم تره من قبل قط.

- هل أخبرتك بهذا؟

- نعم، كما أنها علّقت قوراً على مظهره الكريه. لو أن امرأة هي المتورطة بهذا الأمر (كما يبدو أنك تظن... بلا أي دليل برأيي، ولكنها افتراضات فقط) فإني أؤكد لك أن الأنسة دينهام لا يمكن أن تكون متورطة.

قال بوارو مبتسماً: إنك متحمس قليلاً لهذا الأمر.

رققه العقيد أربوثنوت بنظرة باردة وقال: لا أعرف ماذا نعني؟

بدا أن هذه النظرة قد أخرجت بوارو فأنسقط نظره وبدأ يمشي بالأوراق أمامه، ثم قال: كل هذا لا يعنيني... فلنكن عمليين ونعُدْ إني الحقائق. لدينا من الأسباب ما يجعلنا نعتقد أن هذه الجريمة وقعت في الواحدة والرابع من ليلة أمس، وكجزء من الروتين الضروري يجب علينا أن نسأل كل واحد على القطار ماذا كان يفعل في ذلك الوقت.

- نعماً. حسب ما أذكر فقد كنت في الواحدة والرابع أتحدث مع الشاب الأميركي، سكرتير الرجل الميت.

- هل كنت في مقصورته، أم كان هو في مقصورتك؟

- بل كنت أنا في مقصورته.

- أهو الشاب الذي يدعى ماكوين؟

- نعم.

- أكان صديقاً لك أم كانت مجرد معرفة عابرة؟

- لم أراه قبل هذه الرحلة، وقد بدأنا حديثاً عابراً أمس ثم تنامي اهتمامنا. ليس من عادتي أن أحب الأميركيين وليست لي أية حجة به.

ابتسم بوارو وهو يتذكر انتقاد ماكوين للبريطانيين.

- ... ولكنني أعجبت بهذا الشاب. لقد كانت لديه بعض الأفكار الخرقاء عن الوضع في الهند (وهذا أسوأ ما في الأميركيين؟

فهم مثاليون ذوو عواطف ساذجة)، ولكنه كان مهتماً بما أقوله، فلدني خبرة ثلاثين عاماً في تلك البلاد. وقد كنت مهتماً بما يقوله عن الوضع المالي في أميركا، ثم بدأ يتحدث عن السياسة العالمية عموماً. وقد ذهبت عندما نظرتُ إلى ساعتِي ووجدتها تشير إلى الثانية إلا رباعاً.

- أهذا هو الوقت الذي توقفت فيه محادثكما؟

- نعم.

- ماذا فعلت بعد ذلك؟

- مشيت إلى مقصورتي ودخلت.

- هل كان سريرك مُعداً.

- نعم.

- إنها المقصورة رقم... دعني أنظر... ١٥، المقصورة قبل الأخيرة من جهة عربة المطعم؟

- نعم.

- أين كان مسؤول التذاكر عندما ذهبتُ إلى مقصورتك؟

- كان يجلس خلف طاولة صغيرة في نهاية العربة. والحقيقة أن ماكوين ناداه في نفس الوقت الذي كنت أدخل فيه إلى مقصورتي.

- لماذا ناداه؟

- لِيَعِدَّ له سريره على ما أظن، فهو لم يكن معداً بعد.

- والآن أريدك أن تفكر بكل تركيز أيها العقيد أربوثنوت. أثناء حديثك مع ماكوين، هل مر أحد عبر الممر خارج المقصورة؟

- مر كثير من الناس كما أظن، فلم أعر الأمر انتباهاً.

- آه، ولكنني أقصد أثناء الساعة والنصف الأخيرة من الحديث، لقد خرجتما في فينكوفشي، أليس كذلك؟

- بلى، ولكن لدقيقة فقط، حيث كانت هناك عاصفة ثلجية وكان البرد قارساً مما جعل المرء يتوق للعودة إلى الجو العنق. ويرأى أن تدقنة هذه القطارات إلى هذا الحد أمر مُحْزٍ!

تنهد السيد بوك وقال: يصعب إرضاء الجميع، فالإنكليز يفتحون كل شيء، ثم يأتي الآخرون ويفلقون كل شيء. الأمر صعب للغاية!

لم يُعِزه كل من بوارو والعقيد أربوثنوت انتباهاً، وقال بوارو مشحماً: حسناً يا سيدي، عُدْ بذاكرتك إلى الورا. كان الطقس بارداً جداً في الخارج معدتما إلى القطار ثم جلست ثانية ودخنت لفافة تبغ أو ربما الغليون...؟

صمت لجزء من الثانية، ثم قال: أنا أدخن الغليون، وماكوين يدخن التبغ.

- بدأ القطار سيره ثانية، فدخنت الغليون ثم ناقشنا الوضع في أوروبا وفي العالم، والوقت متأخر الآن وقد أوى معظم الناس

إلى أسرّتهم. فهل مر أحد من أمام الباب... تذكر؟

فطلب أربوثنوت جيبه في محاولة للتذكر ثم قال: يصعب عليّ الجزم، فلم أكن متنبهاً لهذا الأمر.

- ولكنك تمتلك قدرة الجدي على ملاحظة التفاصيل. إنكم تتبهون دون أن تتبهوا لذلك إذا صح التعبير.

فكر العقيد ثانية ولكنه هز رأسه نافياً وقال: لا أستطيع القول، فلا أذكر أن أحداً مر سوى مسؤول التذاكر. انتظر لحظة... كانت هناك امرأة أيضاً على ما أظن.

- هل رأيته؟ أكانت شابة أم متقدمة في السن؟

- لم أرها، إذ لم أكن أنظر في ذلك الاتجاه، بل سمعتُ حفيفاً فقط وشممتُ رائحة.

- رائحة؟ أكانت رائحة طيبة؟

- كانت فاكهية، إن كنت تعرف ما أعنيه. من النوع الذي نستطيع أن نشمه عن بعد منه متر.

ولكن الكولونيل استدرك بسرعة: ولكن دعني أذكرك بأن ذلك ربما كان في وقت مبكر من المساء. فكما قلت قل قليل، لقد كان أحد الأمور التي تلاحظها دون أن تعتمد ذلك. في وقت ما من ذلك المساء قلت في نفسي: عطر نسائي. إن إحداً من قد وضعت الكثير منه. ولكن لا أستطيع أن أحدد متى كان ذلك. ولكن نعم، لا بد وأن ذلك حدث بعد فينكوفشي.

- لماذا؟

- لأنني أتذكر أنني شممت الرائحة عندما كنت أتحدث عن  
الفتش لتدريج لحظة متعين الخسبة، فقد جعلتني فكرة السيد أفكر  
في سيد روسب وأنعم أنا له نتحدث في موضوع روسيا بالأحرى  
بهية محدثنا

- لا نستطيع أن نحدد الوقت أكثر من ذلك؟

- لا، لا نستطيع، ولكن لا بد من أن ننت حدث عموماً في  
نصف الساعة الأخيرة.

- كان ذلك بعد أن توقف القطار؟

- يوماً الآخر برأسه موافقاً وقال نعم، كذا أكون متأكداً من  
ذلك.

- حسناً، فلتطرق إلى موضوع آخر. هل ذهبت يوماً إلى أميري  
أبها العقيد أربونوت؟

- أبداً، ولا أريد أن أذهب.

- هل عرفت يوماً ضابطاً باسم أرمسترونغ؟

- أرمسترونغ... أرمسترونغ؟ عرفت اثنين أو ثلاثة، تومي  
أرمسترونغ من الكتبية الستين، أتعنيه؟ وسيلي أرمسترونغ الذي  
قبل في معركة سوم.

- أعني العقيد أرمسترونغ الذي تزوج أميريكية والذي احتُظمت  
ابنته الوحيدة وقتلت.

- آه، نعم. أذكر أنني قرأت عن ذلك... كانت قضية فظيعة.

- لا أظن أنني التقيت بالرجل، إلا أنني أعرف عنه بانطع. أما تومي  
أرمسترونغ فقد كان رجلاً لطيفاً، أحبه الجميع وكانت له خدمة مميزة  
ونال وسام صليب فيكتوريا

- إن الرجل الذي قُتل ليلة أمس كان مسؤولاً عن مقتل طفلة  
العقيد أرمسترونغ.

- تحبهم وحبهم أربونوت وقال: إذن فقد استحق التحزير ما ناله  
برأيي، إلا أنني كنت أفضل أن أراه يُشنق أو يضعق بالكروسي  
الكهربائي حسب الأصول هناك.

- إذن فأنت تفضل القاتون والنظام - يا عقيد أربونوت - على  
الثأر الشخصي؟

- فالعقيد: لا يمكننا الدخول في منازعات دموية فيقطع بعض  
بعضاً على أسلوب الكورسيكيين أو المافيا. لك أن ترى ما تشاء،  
ولكن المحاكمة بواسطة هيئة محلفين تبقى نظاماً صالحاً.

- نظروا ونحوه مفكراً لبرهة ثم قال: نعم، أنا متأكد من أن  
هذه هي وجهة نظرك. حسناً يا عقيد أربونوت، لا أظن أن عندي  
المزيد من الأسئلة إلا يوجد أمر تذكره ليلة أمس ورأيت فيه ما يشير  
الشكوك، أو ترى فيه الآن ما يشير الشكوك وأنت تستعيده؟

- فكر أربونوت لبرهة ثم قال: لا، أبداً، لا، ثم توقف  
متردداً.



- نعم؟ أكمل، أرجوك.

قال آربوثوت ببطة: إنه غير مهم حقاً، ولكنك قلت: أي شيء؟

- نعم، نعم، تابع كلامك.

- إنه لا شيء... نقطة بسيطة، ولكن عندما عدت إلى مقصوري لاحظت أن باب المقصورة التي تلي مقصوري (المقصورة الأخيرة) كما نعلم...

- نعم، رقم ١٦.

- لم يكن بابها مغلقاً تماماً، وكان الرجل الذي بداخلها يُطل إلى الخارج بصورة مكررة، ثم أغلق الباب بسرعة. أعلم - بالتفصيل - أنه لا ضير في ذلك، إلا أنني رأيتُ غريباً بعض الشيء. أعني أن من الطبيعي جداً أن تفتح باب مقصورتك وتطل برأسك إذا أردت أن ترى شيئاً ما، إلا أن الطريقة الماكرة التي فعل بها ذلك هي التي لفتت انتباهي.

قال بوارو بشيء من الشك: نعم.

قال آربوثوت معتذراً: أخبرتك أنه لم يكن أمراً مهماً، ولكنك تفهم الوضع الساعات الأولى من الصباح... وكل شيء هادئ جداً بدا في الأمر شيء من الشر... مثل القصص البوليسية. ولكنه غير مهم في الواقع.

ثم نهض قائلاً: حسناً، إذا لم تبق حاجة لي...

- شكراً أيها العقيد آربوثوت، لا يوجد شيء آخر.

تردد الجندي للحظة وقد تبخر ما انتابه بدايةً من كره طبيعي لمسألة استجوابه من قبل مجموعة من الأجانب، وقال بشيء من الحرج بالنسبة للأنسة دينهام، يمكنك أن تعتمد علي في أنها امرأة جيدة.

وحين انتصرف بعيداً شرد بوارو بذهنه قليلاً وهو ينقر لحناً على الطاولة ثم نظر إلى الأعلى وقال: إن العقيد آربوثوت بدخن الغليون، وقد عثرتُ على منظف غليون في مقصورة السيد راتشيت الذي كان بدخن السيفار فقط.

- هل تظن...؟

- إنه الرجل الوحيد الذي اعترف بأنه بدخن الغليون وقد عُرف عن العقيد أرمسترونغ وربما كان يعرفه شخصياً لكنه لم يعترف بهذا.

- إذن فأنت ترى أن من الممكن...

هز بوارو رأسه تافهاً بعنف وقال: ولكن هذه هي المشكلة، إنه مستحيل... مستحيل أن يعتمد إنكليزي مستقيم لا يخلو من بلاهة إلى طعن عدوه اثنتي عشرة مرة يسكين! ألا تشعر بمدى استحالة هذا التصرف يا صديقي؟

قال السيد بوك: هذا هو الجانب السيكولوجي.

- يجب على المرء أن يحترم الجانب السيكولوجي. إن هذه

الجريمة تحمل توقعاً، ولكنه بالتأكيد ليس توقع العقيد آرمونوت.  
ولأن إني متدلس ثانية

في هذه المرة لم يذكر السيد بوك الرجل الإيطالي، ولكنه  
فكر فيه.

\*\*\*

## الفصل التاسع

### إفادة السيد هاردمان

كان آخر مسافر من الدرجة الأولى تتم مقابلته هو السيد  
هاردمان، وهو الأميركي الضخم المحب للظهور، الذي شارك  
الرجل الإيطالي والخادم على طاولة الطعام.

كان يلبس بدلة ذات نقش مربع وألوان صاروخة بعض الشيء  
وقميصاً وردياً ودبوساً لامعاً يمسك بربطة عنقه، وكان وجهه ضخماً  
ممتلئاً ذا ملامح خشنة وسمته يوحى بطبيعة مريحة.

قال: صباح الخير أيها السادة، بماذا أستطيع أن أفيدكم؟

- هل سمعت بجريمة القتل هذه يا سيد... هاردمان؟

بالتأكيد.

- إننا نقابل جميع الركاب على القطار من باب الضرورة.

- لا بأس بذلك بالنسبة إليّ، وأظن أن هذه هي الطريقة  
الوحيدة لتنظيم بهذا العمل.

نظر بوارو إلى جواز السفر الموضوع أمامه وقال: أنت سايروس هاردمان، مواطن أمريكي، وعمرك ٤١ عاماً، وأنت مندوب مبيعات متنقل لشرائط الآلات الطابعة؟

- نعم؛ هذا أنا.

- وهل أنت مسافر من إسطنبول إلى باريس؟

- هذا صحيح.

- والسبب؟

- عمل.

- هل تسافر دوماً بالدرجة الأولى يا سيد هاردمان؟

- نعم؛ فالشركة تدفع لي مصاريف السفر.

- والآن يا سيد هاردمان، نأتي إلى أحداث الليلة الماضية

أوما الأمريكي برأسه موافقاً، فسأله بوارو: ماذا تستطيع أن تخبرنا عن الموضوع؟

- لا شيء أبداً.

- آه، يا للأسف! ربما تستطيع - يا سيد هاردمان - أن تخبرنا ماذا فعلت بالضبط ليلة أمس بعد العشاء؟

لأول مرة لم يبذ الأمريكي جاهزاً بإجابته، وأخيراً قال: اعذروني أيها السادة، ولكن من أنتم بالضبط؟ أعلموني بذلك.

- هذا هو السيد بوك مدير شركة الخطوط العالمية، وهذا السيد هو الطبيب الذي فحص الجنة.

- وأنت؟

- أنا هيركيول بوارو، وقد طلبت مني الشركة أن أحقق في الأمر.

قال السيد هاردمان: "لقد سمعت عنك". وفكر لدقيقة أو اثنتين ثم قال: من الأفضل أن أنضي بما ندي

قال بوارو: إنه لمن الحصافة بالتأكد أن تخبرنا بكل ما نعرف.

- لقد كنت محققاً تماماً لو أنني أعرف شيئاً بالفعل، ولكني لا أعرف. لا أعرف شيئاً كما قلت، ولكن كان من المفروض أن أعرف، وهذا ما يؤلمني... كان يجب أن أعرف.

- أرجو تفسير ذلك يا سيد هاردمان.

تنهد السيد هاردمان ثم مَدَّ يده إلى جيبه، وفي نفس الوقت بدا أن شخصيته كلها قد تغيرت وأصبح رجلاً حقيقياً أكثر منه ممثلاً، وتغيرت قليلاً نبرة صوته التي كانت تصدر من الأنف. قال: جواز السفر ذلك زائف بعض الشيء، وهذه هي شخصيتي الحقيقية.

تمعن بوارو بالبطاقة التي ناوله إليها، ونظر السيد بوك من فوق كتفه فقرا: "السيد سايروس ب. هاردمان، وكالة مكبل للتحريات، نيويورك".

عرف بوارو اسم الوكالة، فقد كانت واحدة من أكثر وكالات  
التحريات الخاصة شهرة واحتراما في نيويورك. قال: حسناً يا سيد  
هاردمان، فلنسمع منك معنى هذا.

- بالتأكيد، فقد حصلت الأمور كالتالي: أتيت إلى أوروبا  
أتبع أثر مجرمين اثنين، وليس لذلك أية علاقة بهذه القضية.  
وانتهت المضادة في إسطنبول وأرقت إلى الرئيس فأعطني تعليماته  
بالرجوع، وكنت سأذهب في طريق عودتي إلى نيويورك لولا أنني  
استلمت هذه.

دفع برسالة عبر المائدة، وكانت مكتوبة على الورق الرسمي  
لنقدق توكاتلبان، وقد جاء فيها:

سيدي العزيز،

لقد تم إعلامي بأنك أحد موظفي وكالة مكثيل  
للتحريات، أرجو أن تأتي إلى الجناح الذي أقيم فيه،  
في الساعة الرابعة من هذا المساء

س. راتشيت

قال بوارو: حسناً، ويعد؟

- ذهبت إلى السيد راتشيت في الوقت المذكور فأعلمني  
بالوضع، حيث أطلعني على رسائلي وصلته.

- أكان خائفاً؟

- تظاهر بأنه غير خائف، إلا أنه كان خائفاً فعلاً. وقد قدم

لي عرضاً بأن أسافر معه على نفس القطار حتى باريس وأناكد ألا  
يصل إليه أحد. حسناً أيها السادة، لقد سافرت معه ولكن - رغم  
ذلك - وصل أحدهم إليه. واتني متألم لذلك حقاً، إذ لا يبدو هذا  
جيداً في حقي.

- هل أرشدك إلى ما يجب عليك أن تقوم به؟

- بالتأكيد؛ لقد كانت لديه خطة معينة، وكان من رأيه أن  
أشغل المقصورة التي بجانب مقصورته، إلا أن ذلك لم يتحقق،  
والمكان الوحيد الذي استطعت الحصول عليه هو المقصورة رقم  
١٦ ولكن بصعوبة بالغة، وأظن أن مسؤول التذاكر يحب أن يتركها  
للتطوارئ. ولكن هذا لا يعنيننا... عندما نظرت إلى الوضع بأكمله  
وجدت أن موقع "المقصورة رقم ١٦" استراتيجي جداً؛ فلم يكن أمام  
عربة إسطنبول سوى عربة المطعم، وكان باب العربة الأمامي الذي  
يؤدي إلى الرصيف يُغلق أثناء الليل، فالمكان الوحيد - إذن - الذي  
يمكن أن يدخل منه المجرم هو إما عن طريق باب العربة الخلفي أو  
من العربات الخلفية للقطار. وفي أي من هاتين الحالتين لا بد من  
أن يمر أمام مقصورتي.

- لا أظنك كنت تعلم شيئاً عن هوية القاتل المحتمل؟

- أعرف كيف يبدو، فقد وصفه لي السيد راتشيت.

- ماذا؟

مال ثلاثتهم إلى الأمام يشغف، ومضى هاردمان في حديثه:  
رجل صغير أسمر ذو صوت نسائي. هذا ما قاله لي العجوز، وقال

لي أيضاً إنه لا يظن بأن شيئاً سيحدث في الليلة الأولى ولكن على  
الأغلب في الثانية أو في الثالثة.

قال السيد بوك: لقد كان يعرف شيئاً.

قال بوارو مفكراً. كان يعرف أكثر مما قاله لسكربتيره بالتأكيد.  
هل أخبرك شيئاً عن عدوه هذا؟ هل قال لماذا كانت حياته مهددة  
مثلاً؟

لا كان متكتناً نوعاً ما حول هذا الجزء، وكل ما قاله هو أن  
الرجل يسمى لفته وهو مصمم على ذلك.

قال بوارو مفكراً: رجل صغير أسمر ذو صوت نسائي!

ثم صوب نظرة حادة نحو هاردمان وقال: لقد كنت تعرف  
بالطبع من هو حقاً؟

- من؟

- رانشيت. لقد عرفته أليس كذلك؟

- لا أفهمك.

- لقد كان رانشيت هو كاسيتي؛ القاتل في قضية أرمسترونغ.

أطلق السيد هاردمان صَفرة طويلة وقال: هذه حقاً مفاجأة  
كبيرة! لا، لم أعرفه؛ فقد كنت بعيداً في الغرب عندما حدثت تلك  
القضية. أظني رأيت صوراً له في الصحف ولكنني لا أستطيع أن  
أعرف حتى أمي عندما يتولى مصور الصحف تصويرها. لا أشك أن

بعض الناس كانوا يترصدون بكاسيتي.

هل تعرف أحداً على صلة بقضية أرمسترونغ ممن تنطبق عليه  
تلك الأوصاف: صغير أسمر ذو صوت نسائي؟

فكر هاردمان لدقيقة أو اثنتين ثم قال: يصعب الجزم بذلك،  
فجميع من لهم علاقة بتلك القضية تقريباً قد ماتوا

- كانت هناك الفتاة التي ألفت بنفسها من النافذة، أتذكر  
ذلك؟

- بالتأكيد، وهذه نقطة جيدة. لقد كانت أجنبية، وربما كان لها  
أقارب إيطاليون. ولكن يجب أن تذكر أن كاسيتي كان متورطاً بقضايا  
أخرى غير قضية أرمسترونغ، فقد استمر كاسيتي في الاختطاف  
لبعض الوقت ولا تستطيع أن تركز على هذه القضية فقط.

- نعم، ولكن لدينا ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن هذه الجريمة  
مرتبطة بقضية أرمسترونغ.

صوب السيد هاردمان نظرة مستفسرة نحوه، إلا أن بوارو لم  
ينصح عن كلامه. فهز الأميركي رأسه وقال ببطء: لا أستطيع أن أتذكر  
أي شخص تنطبق عليه هذه الأوصاف في قضية أرمسترونغ، ولكنني  
لم أكن معنياً بتلك القضية ولا أعرف الكثير عنها على أية حال.

- حسناً يا سيد هاردمان، أكمل سردك.

- لا يوجد الكثير لأقوله، فقد كنت أنام في النهار وأظل  
مستيقظاً في الليل لأراقب. ولم يحدث شيء خلال الليلة الأولى

ولا في ثبلة الماضية على حد علمي. فقد تركت باب مقصوري  
مفتوحاً قليلاً وبقيت أراقب. إلا أن أحداً غريباً لم يمر

- هل أنت متأكد من ذلك يا سيد هاردمان؟

- أنا متأكد تماماً؛ فلم يصعد أحد إلى القطار من الخارج.  
وله يأت أحد من العربات الأخرى إلى تلك العربة. وإني أستطيع  
أن أقسم على ذلك.

- هل كنت تستطيع رؤية مسؤول التذاكر من موقعك؟

- بالتأكيد؛ فهو يجلس على ذلك الكرسي الصغير على مستوى  
باب مقصوري.

- هل غادر ذلك الكرسي أبداً بعدما توقف القطار في  
فينكوفني؟

- أكانت تلك المحطة الأخيرة؟ نعم، لقد رذ على جرسين بعد  
أن توقف القطار تماماً، ثم بعد ذلك مرّ أمامي إلى العربة الخلفية،  
وبقي هناك نحو ربع ساعة، ثم بدأ حرس يفرغ بحون معاد يركض  
وقد وقف في الممر لأرى ما الأمر، إذ توترت أعصابي بعض  
شيء، وله تكن سوى تلك المرأة الأميركية التي أحدثت صحنه  
كبرى لسبب ما مما جمعي أصححت ثم ذهب إلى مقصورة أخرى  
وعاد وأخذ زجاجة من المياه المعدنية لشخص ما، وبعد ذلك جلس  
في كرسيه إلى أن ذهب إلى الطرف الآخر من العربة ليعدّ سرير  
شخص ما، ولا أضنه تحرك من مكانه بعد ذلك حتى الخامسة من  
هذا الصباح.

- هل رأيته يغفو قط؟

- هذا ما لا أستطيع الجزم به. ربما فعل.

هرز بوارو رأسه، وبحركة آلية رتب الأوراق أمامه على الطاولة،  
ثم حمل البطاقة الرسمية مرة أخرى وقال: هلاً تلطفت ووضعت  
توقيعك على هذه.

استجاب هاردمان لطلبه، فسأله: هل يوجد أحد يستطيع أن  
يؤكد ما قلته عن هويتك يا سيد هاردمان؟

- على هذا القطار؟ لا أظن. إلا إذا كان الشاب ماكوبين، فأنا  
أعرفه جيداً حيث رأيته في مكتب أبيه في نيويورك، ولكن هذا لا يعني  
أنه يستطيع التعرف إلي من بين حشد من موظفي الوكالة. لا يا سيد  
بوارو، يجب أن تنتظر حتى تخفّ الثلوج وتبرق إلى نيويورك. ولكن  
لا عليك، قلم أخلق لك قصة. مع السلامة إذن يا سادة، وقد سررت  
بلفانث يا سيد بوارو.

سأله بوارو وهو يغادر: هل تدخن الغليون؟

- لست من مستخدميها.

تبادل الرجلان الثلاثة النظرات، ثم سأل الدكتور كونستانتين:  
أنظنه صادقاً؟

- نعم، نعم. أعرف هذا النوع من الرجال، وبالإضافة إلى ذلك  
فهذه قصة يسهل فحصها

قال السيد بوك: لقد أعطانا دليلاً مشيراً جداً.

- نعم حقاً.

قال السيد بوك متأملاً: رجل صغير أسمر ذو صوت نسائي.

قال بوارو: إنه وصف لا يتطابق على أحد في هذا القطار.

\* \* \*

## الفصل العاشر

### إفادة الإيطالي

قال بوارو وعيناه تلمعان: والآن سوف نسمع قلب السيد بوك ونرى الرجل الإيطالي.

دخل أنطونيو فوسكاريللي حربة المطعم بخطوة سريعة كخطوة القط كان وجهه مشرقاً ومثالاً للموجه الإيطالي وأسمر من أثر الشمس، وكان يتكلم الفرنسية بطلاقة ولكن بلكة بسيطة جداً.

- هل اسمك هو أنطونيو فوسكاريللي؟

- نعم يا سيدي.

- أرى أنك متجنس بالجنسية الأميركية؟

ابتسم وقال: نعم؛ فهذا أفضل لأعمالي.

- أنت وكيل لسيارات فورد؟

- نعم، فالأمر كما ترى...

مع ذلك شرح ميلز، وفي نهايته عرف الرجل الثلاثة كـ  
شيء عن أعمال فوسكاريللي وطريقه ورحلاته ودخله وروايه في  
الولايات المتحدة وفي الدول الأوروبية، ولم يغيب عنهم من تلك  
المعلومات إلا ما لا يؤت له، لم يكن من ذلك النوع من الرجال الذين  
تضطر لسحب المعلومات منهم، فقد كانت تندفع منه اندفاعاً.

أشرف وجهه الطفولي الطيب بالرضا عندما توقف أخيراً كتعبير  
بلاغي أخير، ومسح جبينه بمنديل قاتلاً: لذلك فإني أقوم بصفقات  
كبرى كما ترون، وأنا متابع لآخر المستجدات وأفهم فنون البيع!

- إذن فقد بقيت في الولايات المتحدة خلال السنوات العشر  
الماضية، بما في ذلك رحلات خارجها؟

- نعم يا سيدي. آه! ما زلت أذكر اليوم الأول الذي ركب فيه  
السفينة إلى أميركا. كانت بعيدة جداً، وأمي وأختي الصغيرة..

أوقف بوارو طوفان الذكريات هذا قاتلاً: هل صدف أن التقيت  
نفسك في تلك الولايات المتحدة؟

- أبداً، إلا أنني أعرف من أي نوع هو. آه، نعم! إنه يبدو  
محترماً جداً ويلبس ملابس جيدة جداً، ولكنه فاسد من الداخل  
وأستطيع أن أقول - من خبرتي - إنه محتال كبير، وهذا هو رأي  
الخاص

قال بوارو: إن رأيك صحيح تماماً؛ فرائشت كان كاسيني  
لمحضر

- بماذا أخبرتك؟ لقد تعلمت أن أكون حاذقاً في قراءة  
الوجوه، وهذا ضروري. في أميركا فقط يعلمون الناس كيف يبيعون  
بالطريقة الصحيحة.

- هل تذكر قضية أرمسترونغ؟

- لا أذكر تماماً. أتعي اسم أرمسترونغ؟ أظنها كانت طفلة  
صغيرة، اليس كذلك؟

- بلى، وكانت مأساة كبيرة

يبدو أن الإيطالي هو أول شخص يعترض على هذا الرأي،  
فقد قال متفلسفاً: آه، تحدث مثل هذه الأمور في حضارة عظيمة  
كأميركا...

قاضيه بوارو قاتلاً: هل صدف أن التقيت قط بأحد أفراد عائلة  
أرمسترونغ؟

- لا، لا أظن ذلك. ولكن يصعب عليّ الجزم. سأعطيك بعض  
الأرقام: في العام الماضي وحده بعث...

- سيدي، أرجوك أن تلتزم بموضوع السؤال.

رفع الإيطالي يديه بإشارة اعتذار وقال: ألف معذرة

- أخبرني، إذا سمحت: كيف كانت تحركاتك بعد العشاء  
ليلة أمس

- بكل سرور. مكثت على العشاء أطول فترة ممكنة، فهذا



أدعى إلى المتعة. وتحدثت إلى الرجل الأميركي الذي كان يجلس إلى طاولتي (الذي يبيع شرائط آلات الطباعة)، ثم عدت إلى مقصوري ووجدتها فارغة، حيث كان الرجل النعس الذي بشاركتني فيها عند سيده ينقذ له طلباته. وأخيراً عاد بوجه جامد كالعادة، ولم يتحدث كثيراً؛ فكل ما يقوله هو "نعم" و"لا". إنهم عرق غريب، هؤلاء الإنكليز... ليس فيهم ذلك التعاطف. وقد جلس مشدوداً في الركن يقرأ كتاباً، ثم أتى مسؤول التذاكر فأعدّ سريرتنا.

نتم بوارو: رقمي ٤ و ٥.

- بالضبط، في المقصورة الأخيرة، وسريري هو العلوي سهم. صعدت هناك فدخلت وقرأت، وكان الإنكليزي الصغير يعاني من ألم في أسنانه على ما أظن فأخرج زجاجة صغيرة تحتوي على مادة ذات رائحة نفاذة، ثم استلقى في سريره وبدأ يتأوه. أما أنا فقد نمت، وكلما صحوت كنت أسمعته يتأوه.

- هل غادر المقصورة أثناء الليل؟

- لا أظن ذلك، ولو فعل لكنني سمعته، كما أن الضوء الذي يدخل المقصورة من الممر عندما يفتح الباب يوقضي ألياً؛ إذ يضيء الممر أنه وصل إلى نقطة جمارك الحدود.

- هل تكلم قط عن سيده؟ هل أبدى أية عداوة تجاهه؟

- أخبرتك أنه لم يتكلم كثيراً ولم يكن عاطفياً. كان كالسمكة؛ بلا عواطف.

- قلت إنك تدخن... ماذا؟ الغليون؟

- بل لغائف التبغ فقط.

عرض عليه بوارو واحدة فقبلها، وسأله السيد بوك: هل ذهبت إلى شيكاغو قط؟

- نعم، ولكن المدن التي أعرفها أكثر هي نيويورك وواشنطن وديترويت. هل ذهبت أنت إلى أميركا؟ لا؟ يجب أن تذهب. إنها...

دفع بوارو بورقة أمامه وقال: هلاً وقعت هذه وكتبت عنوانك عليها إذا سمحت؟

كتب الإيطالي بكل أريحية، ثم نهض وهو يتسم ابتسامته الأسرة كمهدداً دوماً وقال: أهذا كل ما لديكم؟ طاب يومكم أيها السادة، وأتمنى لو نستطيع أن نخرج من هذه الشلوح، فلدي موعد في ميلانو...

هز رأسه بأسى ثم قال: "سوف أخسر الصفقة"، ثم غادر العربية.

نظر بوارو نحو صديقه، فقال بوك: لقد أمضى فترة طويلة في أميركا، وهو إيطالي، والإيطاليون يستخدمون السكاكين، وهم كثيرون الكذب! إنني لا أحب الإيطاليين.

قال بوارو مبتسماً: حسناً. قد تكون على حق، ولكنني أود أن أوضح لك - يا صديقي - بأنه لا يوجد دليل أبداً ضد الرجل.

١٨٠ - وماذا عن الأمور السيكولوجية؟ ألا يظعن الإيطاليون؟

قال بوارو: بالتأكيد، وخصوصاً في حماة مشاجرة ساحنة ولكن هذه - هذه حريمة من نوع مختلف، ولدي فكرة صغيرة بـ صديقي بأنه قد تم التخطيط لهذه الحريمة وارتكابها بعدية فأنه إنها حريمة تتم عن بعد في النظر وتركيز في التخطيط، إنها ليست حريمة لائبة تتم في فورة عصب، بل حريمة تُظهر آثاراً لعنقيل بارد مضور وواضع الحيلة، وأظنه عقلاً أكنوسكوبياً

ثم تناول آخر جوازين وقال: دعوا الآن نقابل الأنسة ماري دينهام.

\*\*\*

## الفصل الحادي عشر إفادة الأنسة دينهام

عندما دخلت ماري دينهام عربة المطعم تأكد بوارو من رأيه السابق فيها. كانت متأنقة جداً بملابسها، إذ كانت تنسج بادئة سوداء وقميصاً فرنسيّاً رمادي اللون. وكانت نموجات شعرها الأسود مرتبة هادئة، كما كان سنوكها هادئاً مستقراً كشعرها.

جلست مقابل بوارو والسيد بوك ونظرت نحوهما مستفسرة، فبدأ بوارو قائلاً: اسمك ماري هيرميون دينهام، وعمرك ستة وعشرون عاماً؟

- نعم.

وأنت إنكليزية؟

- نعم.

- هل أنضمت يا أنسة. وكنت عنوانك على هذه الورقة؟

استحدثت لخطبه، وكنت كاتبها واضحة ومقروءة.

- والآن يا آنستي، ماذا لديك لتخبرتنا به عن ليلة أمس؟

- أخشى من أنه لا يوجد لدي ما أقوله؛ فقد أوبت إلى سريري ونمت.

- هل حزنت كثيراً لأن جريمة قد ارتكبت على هذا القطار يا آنسة؟

من الواضح أن السؤال لم يكن متوقفاً؛ فقد اتسعت عيناها الرماديتان قليلاً وقالت: أنا لا أفهمك تماماً.

- لقد طرحْتُ سؤالاً بسيطاً جداً يا آنسة، وسوف أعيدُه: هل حزنت كثيراً لأن جريمة قتل قد ارتكبت على هذا القطار؟

- لم أفكر بالأمر من هذه الزاوية حقاً، لا، لا يمكنني القول إنني حزنت أبداً.

- هل الجرائم أمر طبيعي في حياتك اليومية؟

قالت ماري دينهام بهدوء: من الطبيعي أن يحدث هذا أمر كريمة.

- أنت أنكولوسكونية صرفة يا آنسة؛ لا مكان لديك للمعاطف.

ابتسمت قليلاً وقالت: أخشى أنني لست مضطرة للصراخ لأثبت عقلانيتي؛ فالناس يموتون يومياً.

- نعم يموتون، ولكن جرائم القتل أكثر ندرة بعض الشيء.

- آه، بالتأكيد.

- ألم تكوني على معرفة بالرجل الميت؟

- رأيته لأول مرة عندما تناولنا الغداء هنا يوم أمس.

- ماذا كان شعورك نحوه؟

- لم أكد ألاحظه.

- ألم تشعرني بأنه شخصية شريرة؟

رفعت كتفها قليلاً وقالت: لا أستطيع أن أقول إنني فكرت في ذلك حقاً.

نظر يوزرو نحوها بحدة، ثم قال وهو يرمش بعينه: أظن أنك تزدرين قليلاً الطريقة التي أحري بها تحقيقي وتظنين أنها ليست الطريقة التي يتم بها التحقيق في إنكثترا؛ فكل شيء هناك واضح ومباشر، والأمر يقتصر على الحقائق، ويكون التحقيق عملية مرتبة منظمة. أما أنا - يا آنسة - فإن لي شيئاً من التفرد؛ فأنا أنظر - أول ما أنظر - إلى الشاهد وأحلل شخصيته وأوجه أسئلتي وفقاً لذلك. قبل دقائق قليلة كنت أسأل شخصاً يرغب في قول كل ما لديه من أفكار حول كل موضوع. في هذه الحالة أبقي أسئلتي متعلقة بصلب الموضوع وأريده أن يجيبني بنعم أو بلا، هذا أو ذاك ثم أتيت أنت، ورأيت فوراً أنك ستكونين مُنظمة ومنهجية وأنت سوف تلتزمين بالنقطة التي أثيرت وستكون إجابتك مختصرة وتقتصر على صلب الموضوع. ولأن الطبيعة البشرية شادة بعض الشيء يا آنسة، فإنني

أسألك أسئلة مختلفة... أسألك عن شعورك وعن رأيك. ألا تعجبت  
هذه الحديقة؟

- أرجو أن تعذرني في قلبي هذا، ولكن يبدو أن في هذا  
مضيقاً للوقت نوعاً ما. إذ لا يبدو مرجحاً أن يساعد ارتياحي أو عدم  
ارتياحي لوجه السيد رانشيت على العثور على من قتله.

- هل تعرفين هوية رانشيت الحقيقية يا آنسة؟

أومات براسها بالإيجاب قائلة: لقد تولت السيدة هوبارد إيلاغ  
لجميع ذلك.

- وما هو رأيك بقضية آرمسترونغ؟

قالت الفتاة باقتضاب وسرعة: كانت بغيرة جداً.

نظر إليها بوارو مفكراً ثم قال: أضلت مسافرة من بغداد يا آنسة  
ديسباد؟

نعم.

- إنني لندد؟

- نعم.

- ماذا كنت تفعلين في بغداد؟

- كنت مربية لطفلين.

- هل ستعودين إلى عملك بعد الإجازة؟

- لست متأكدة.

- لماذا؟

- إن بغداد معزولة بعض الشيء، وأظنني أفضل عملاً في لندن  
إذا سمعتُ عن عمل مناسب.

- فهمت. ظننتُ أنك ربما ستتزوجين.

لم تُجبهُ الآنسة ديبينهام، بل رفعت عينيها وحدقت إلى وجهه  
مباشرة وكانَ نظرها تقولُ له: أنت وقع.

- ما هو رأيك في السيدة التي تشاركك المقصورة، الآنسة  
أولسون؟

- تبدو شخصية لطيفة وبسيطة.

- ما هو لون قميص نومها؟

حدقت إليه الآنسة ديبينهام وقالت: يميل إلى اللون البني... من  
الصفوف الطبيعي.

- وأنت يا آنسة، هل لديك قميص نوم قمرزي مثلاً؟

- لا، هذا ليس لي.

مال بوارو إلى الأمام وكأنه قط يقفز على قار وقال: لمن هو  
إذن؟

تراجعت الفتاة قليلاً وقد جففت، ثم قالت: لا أعلم. ماذا  
تعني؟

- أنت لم تقولي: "لا! ليس عندي شيء كهذا". بل قلت: "هذا ليس لي"؛ مما يعني أنه بخص شخصاً آخر.

أومات برأسها موافقة، فقال بوارو: شخصاً آخر على هذا الفطار؟

- نعم.

- لمن هو؟

- أخبرتك قبل قليل أنني لا أعلم. لقد نهضت في الخامسة من صباح اليوم وقد شعرت أن الفطار قد توقف لفترة طويلة، وفتحت الباب ونظرت إلى الممر معتقدة بأننا ربما كنا في محطة ماء، فرأيت امرأة في قميص نوم قرمزي في نهاية الممر.

- ألا تعلمين من هي؟ أكانت بيضاء أم سمراء أم ومادية الشعر؟

- لا أستطيع الجزم تماماً؛ فقد كانت تضع غطاء الرأس المثبت في أعلى قميص النوم ولم يكن باستطاعتي أن أرى سوى رأسها المنطى من الخلف.

- وكيف كانت بنيتها؟

- طويلة نوعاً ما ونحيلة على ما أعتقد، ولكن يصعب الحكم بذلك. وكان قميص النوم مطرزاً بأشكال التنين.

- نعم، نعم؛ هذا صحيح. أشكال التنين.

صمت لدقيقة ثم تمتع مع نفسه: لا أستطيع أن أفهم... لا أستطيع أن أفهم، لا معنى لكل هذه الأمور.

ثم قال وهو يرفع نظره إليها: لا حاجة لإقناعك هنا لفترة أطول يا آنسة.

آه!

بدأ أنها قد فوجئت بعض الشيء، ولكنها نهضت بسرعة. وعندما وصلت إلى الباب ترددت قليلاً ثم عادت قائلة: إن السيدة السويدية - الآنسة أولسون، تبدو قلقة وتقول إنك أخيرتها بأنها كانت آخر شخص يرى هذا الرجل حياً، وأحسبها تظن أنك تشك فيها لهذا السبب هل أستطيع أن أخبرها بأنها مخطئة في ذلك؟ إنها من النوع الذي لا يؤذي ذبابة.

ابتسمت قليلاً وهي تتكلم، فسألها بوارو: متى ذهبت لتحضر الأسيرين من السيدة هوبارد؟

- بعد العاشرة والنصف بقليل.

- وكم هي المدة التي غابتها؟

- نحو خمس دقائق.

- هل غادرت المفصورة ثانية أثناء الليل؟

- لا.

التفت بوارو إلى الطبيب وقال: هل يمكن أن يكون راتشيت

قد قبل في ذلك الوقت المكر؟

هو الطبيب رأسه تافياً فقال لها وارو: إذن أعتمد أنك  
تستطيعين أن تظمنتي صديقتك يا آنسة.

- شكراً لك.

ابتسمت له فجأة ابتسامة تدعو إلى العطف وقالت: "إنها خنوعة  
كنعجة، وهي كثيرة القلق والشكوى". ثم استدارت وخرجت.

\*\*\*

## الفصل الثاني عشر إفادة الخادمة الألمانية

نظر بوك نحو صديقه بفضول وقال: إنني لا أفهمك أبداً  
يا صديقي العزيز، ما الذي تحاول أن تفعله؟

- كنت أبحث عن ثغرة ما يا صديقي.

- ثغرة؟

- نعم؛ ثغرة في درع رياطة جاش سيده شابة... أحببت أن  
أمر هدوء. هل بحثت؟ لا أعلم، ولكنني أعلم أنها لم تتوقع مني  
معالجة الأمر بهذه الطريقة.

قال السيد بوك ببطء: أنت تشك فيها، ولكن لماذا؟ إنها تبدو  
شابة بريئة تماماً، وكأني آخر شخص في العالم يمكن أن يتورط في  
جريمة من هذا النوع.

قال كونستانتين: أوافقك على ذلك؛ فهي هادئة وخالية من  
العواطف ولا يمكن أن تطعن رجلاً، بل من شأنها أن تقاضيه في  
المحاكم.

تتهد بوارو وقال: يجب عليكما أن تتخليا عن تعلقكما بفكرتكما القائلة إن هذه جريمة حدثت فجأة من دون سابق تدبير. أم عن السبب في أني أشك في الأنسة دينهام فلدي سببان لا واحد؛ الأول هو أنني سمعت حديثاً لا تعلمون عنه شيئاً بعد.

ثم أعاد عليهما العبارات المتبادلة التي سمعها خلال الرحلة في حلب، وعندما انتهى قال السيد بوك: هذا غريب بالتأكيد، وهو بحاجة إلى إيضاح، فإذا كان ذلك يعني ما نظن أنه يعني، فإنه يدل على أنهما متورطان معاً، هي والرجل الإنكليزي المتصلب.

هز بوارو رأسه موافقاً وقال: وهذا تماماً ما لا تثبه الحقائق، فلو كانا متورطين معاً فماذا نتوقع أن نجد: مستجد أن كلا منهما سيشهد للآخر بشهادة دفع بالغيبة، أي شهادة تؤكد عدم وجود أحدهما في مكان الجريمة وقت وقوعها. أليس كذلك؟ ولكن هذا ما لم يحدث، فشهادة غياب الأنسة دينهام جاءت من امرأة سويدية لم ترها أبداً من قبل، وشهادة غياب العقيد آربوثنوت جاءت من السيد ماكوبن، سكرتير الرجل الميت. لا، إن هذا الحل للغز أسهل من أن يكون صحيحاً.

ذكره السيد بوك قائلاً: قلت إن لديك سبباً آخر لارتباكك فيها.

ابتسم بوارو وقال: آه، إنه سبب سيكولوجي فقط؛ إذ سألت نفسي: هل من الممكن أن تكون الأنسة دينهام قد خططت لهذه الجريمة؟ أنا مقتنع بأن هذه الجريمة تنم عن عقل هادئ ذكي واسع الحيلة، وهذه الأوصاف تنطبق على الأنسة دينهام.

هز السيد بوك رأسه تافياً وقال: أظن أنك مخطئ يا صديقي، فلا أتخيل تلك الفتاة الإنكليزية مجرمة.

قال بوارو وهو يتناول جواز السفر الأخير: آه، حسناً، والآن إلى آخر اسم على قائمتنا: هيلدا غارد شميدت، الخادمة الألمانية.

استدعت هيلدا غارد شميدت بواسطة المسؤول ودخلت إلى عربة المطعم ووقفت تنتظر باحترام، فأشار إليها بوارو بالجلوس.

فعلت ذلك وقد ضمت يديها معاً وانتظرت بهدوء حتى بدأ يسألها بدأ أنها واثقة جداً ومحترمة جداً، ولعلها لم تكن شديدة الذكاء.

كانت طريقة بوارو مع هيلدا غارد شميدت بعكس الطريقة التي عامل بها ماري دينهم تماماً كان في أنظف حالاته وأكثرها وداً، مما جعل المرأة ترتاح من ارتباكها، وبعد أن طلب منها كتابة اسمها وعنوانها انتقل بلباقة لطرح أسئلته.

قال: نريد أن نعرف أكبر قدر من المعلومات مما حدث ليلة أمس، ونحن نعلم أنك لا تستطيعين أن تعطينا الكثير من المعلومات عن الجريمة نفسها، ولكن ربما رأيت أو سمعت شيئاً مما ليس له وزن لديك ولكنه قد يكون ثميناً بالنسبة لنا. أفهمين ذلك؟

لم يبدُ عليها أنها فهمت، وبقي وجهها العريض اللطيف في هدوئه الذي يميل إلى الغباء عندما أجابت: لا أعرف شيئاً يا سيدي.

- حسناً، ألا تعلمين - مثلاً - أن سيدتك أرسلت تغلبك ليلة  
مسي؟

- بلى، أعرف ذلك.

- هل تذكرين الوقت؟

- لا يا سيدي؟ فقد كنت نائمة عندما جاء المسؤول  
وأخبرني.

- نعم، نعم، هل تستدعين بهذه الطريقة عادة؟

- نعم، ثم يكن هذا غير عادي يا سيدي؛ فغالباً ما نحتاج  
السيدة الفاضلة إلى العناية أثناء الليل، فهي لم تكن تستطيع النوم  
حيداً.

- حسناً، وصنك القلب ونهضت، هل ليست قميص نوم؟

- لا يا سيدي، بل ليست بعض الملابس؛ فلا أحب أن أذهب  
إلى سعادتها بقميص النوم.

- ولكنه قميص نوم رائع جداً، إنه قرمزي، أليس كذلك؟

- حدثت إليه وقالت: إنه قميص قطني، ولونه أزرق غامق  
يا سيدي.

- آه! أكملني، كنت أمازحك قليلاً فقط. ثم ذهبت إلى الأميرة.  
فماذا فعلت عندما وصلت إلى هناك؟

- قمت بتدليكها يا سيدي، ثم قرأت لها بصوت مرتفع. وأنا  
لا أقرأ بشكل جيد، ولكن سعادتها تقول إن هذا أحسن، فهذا يجعلها  
تنام بصورة أسرع. وعندما نعتس - يا سيدي - أخيراً، أن أذهب  
فأغلق الكتاب وعدت إلى مقصورتي.

- هل تعرفين متى كان الوقت حينئذ؟

- لا يا سيدي.

- حسناً، كم مكثت عند الأميرة؟

- نحو نصف ساعة يا سيدي.

- حسناً، كمومي.

- بعد ذلك أحضرت غطاءً إضافياً من مقصورتي؛ فقد كان  
الجو بارداً على الرغم من التدفئة، ووضعت الغطاء عليها فتمنت لي  
ليلة سعيدة. وسكبت لها كأساً من المياه المعدنية ثم أطفأت النور  
وغادرت المقصورة.

- وبعد ذلك؟

- لا شيء يا سيدي. عدت إلى مقصورتي ونمت.

- ألم تقابلي أحداً في الممر؟

- لم أقابل أحداً يا سيدي.

- ألم تقابلي مثلاً - سيدة تلس قميص نوم قرمزيًا مضروباً  
بأسكن الحبيب؟



حفظت عينها الهادئان نحوه وقالت: أبداً يا سيدي. لم يكن هناك أحد سوى المسؤول، وكان الكل نياماً.

- هل رأيت مسؤول التذاكر؟

- نعم يا سيدي.

- ماذا كان يفعل؟

- خرج من إحدى المقصورات يا سيدي.

مال السيد بوك إلى الأمام وقال: ماذا؟ من أية مقصورة؟

بدت هيلدا غارد شميدت خائفة، ومرة أخرى وجه بوارد نظرة توبيخ نحو صديقه وقال: هذا طبيعي، فعلاً ما يجيب المسؤول عن أجراس الركاب في الليل. ألا تذكرين أية مقصورة كانت؟

- في منتصف العربة يا سيدي، وتبعد عن الأميرة بيايين أو ثلاثة.

- آه! أخبرينا - إذا سمحت - أين كان ذلك بالضبط وماذا حدث؟

- كاد أن يصطدم بي يا سيدي. حدث ذلك عندما كنت عائدة بالغطاء من مقصوري إلى مقصورة الأميرة.

- خرج من المقصورة وكاد أن يصطدم بك؟ في أي اتجاه ذهب؟

- نحوي يا سيدي. اعتذر ومر عبر الممر نحو عربة المطعم، ثم بدأ جرس يرن ولا أظن أنه أجابه.

صمتت ثم قالت: إنني لا أفهم. كيف...

تكلم بوارد بهدوء قائلاً: إنها مسألة توقيت فقط، وهذا روتين طبيعي. يبدو أن المسؤول المسكين أمضى ليلته مشغولاً. أيقظك في البداية، ثم بدأ يجيب قرع الأجراس.

- لم يكن نفس المسؤول الذي أيقظني وإنما كان مسؤولاً آخر.

- آه، مسؤول آخر! هل رأيته من قبل؟

- لا يا سيدي.

- أظن أن بوسعك التعرف عليه إذا رأيته؟

- أظن ذلك يا سيدي.

نعم بوارد في أذن السيد بوك، فنهض الأخير وذهب نحو الباب ليعطي أمراً.

وتابع بوارد أسئلته بأسلوب ودي وهادئ: هل ذهبت إلى أميركا قط يا سيدة شميدت؟

- أبداً يا سيدي، لا بد وأنها بلاد جميلة.

- ربما سمعت عن حقيقة الرجل الميت وأنه كان مسؤولاً عن قتل طفلة صغيرة.

- نعم؟ سمعت يا سيدي، كان ذلك شريراً ومثيراً للاشمئزاز.  
ولا يجب أن يُسمع بمثل هذه الأمور. إننا لسنا أشراراً هكذا في  
ألمانيا

اغرورقت عبنا المرأة بالدموع وقد تحركت عاطفة أمومتها،  
فقال بوارو بأسى: لقد كانت جريمة مثيرة للاشمئزاز.

أخرج من جيبه منديلاً وناولها إياه قائلاً: أهذا منديلك يا سيدي  
شميدت؟

سادت لحظة صمت بينما كانت المرأة تفحص المنديل، ثم  
نظرت للأعلى وقد تورد وجهها قليلاً وقالت: لا بالتأكيد، إنه ليس  
لي يا سيدي.

- عليه الحرف «ه» كما ترى؟ ولهذا اعتقدت أنه لك.

- هذا منديل سيدي مرموقة يا سيدي. إنه منديل ثمين ومطرز  
بالبند وأضنه من باريس.

- إنه ليس لك، ولا تعلمين لمن هو؟

- أنا؟ آه، نعم يا سيدي، لا أعلم.

من بين ثلاثة الذين كانوا يستمعون كان بوارو هو الوحيد الذي  
لاحظ أثرًا خفيفًا من التردد في إجابتها.

همس السيد بوك في أذنه، فهز بوارو رأسه وتحدث إلى المرأة  
قائلاً: سيأتي المسؤولون عن عربات النوم الثلاث، فهلاً تنظف

وأخبرتني من منهم الذي قابله ليلة أمس عندما كنت ذاهبة بالغطاء  
إلى الأميرة؟

دخل الرجال الثلاثة: بيير ميشيل، والمسؤول الأشقر الكبير من  
عربة أئينا-باريس، والمسؤول الضخم البدين من عربة بوخارست.

قالت: لا يا سيدي، إن الرجل الذي رأيته ليلة أمس ليس  
بينهم.

ولكن هؤلاء هم المسؤولون الوحيدون على القطار، ولا بد  
من أنك مخطئة.

- أنا متأكدة يا سيدي. جميع هؤلاء الرجال ضخام وطوال، أما  
الذي رأيته فكان صغيراً وأسمراً وذو شارب صغير، وعندما اعتذر مني  
كان صوته ضعيفاً كصوت النساء. حقاً إنني أتذكره جيداً يا سيدي.

\*\*\*

هز بوارو رأسه تافياً وقال: لا، هذا ليس صحيحاً. لقد تقدمنا أكثر، وبتنا نعرف أشياء محددة، وقد سمعنا إفادات الركاب.

- وبماذا أفادت ذلك؟ لا شيء أبداً.

- ما كنت لأقول ذلك يا صديقي.

- ربما كنت أهول الأمر قليلاً. نعم، لقد أضاف الأميركي هاردمان والخادمة الألمانية شيئاً إلى معلوماتنا، إلا أن ذلك جعل الأمر كله أقل وضوحاً مما كان عليه.

قال بوارو مواسياً: لا، لا.

التفت السيد بوك نحوه وقال: تكلم إذن، دعنا نسمع حكمة هيركيول بوارو.

- ألم أحبك أنني حائر مثلك؟ ولكننا نستطيع - على الأقل - أن نواجه مشكلتنا، ونستطيع أن نرتب ما لدينا من حقائق بمنهجية.

قال الدكتور كونستانتين: أكمل يا صديقي، أرجوك.

تحتج بوارو ورتب ورقة أمامه ثم قال: دعونا نراجع القضية كما هو وضعها الآن: أولاً، أمانا بعض الحقائق التي لا جدال فيها؛ فهذا الرجل (راتشيت أو كاسيتي) قد طعن في اثني عشر موضعاً وقُتل ليلة أمس. هذه هي الحقيقة الأولى.

قال السيد بوك وهو يؤشر إشارة ساخرة: أعترف لك بذلك، أعترف يا صديقي العزيز.

لم يبدُ أن هذه الملاحظة قد أزعجت بوارو، بل أكمل في

## الفصل الثالث عشر مُلخَص لإفادات الرُّكَّاب

قال السيد بوك بعد أن خرج مسؤولو التذاكر الثلاثة وهيلداغارد شميدت: رجل صغير أسمر ذو صوت ناسي. إنني لا أفهم شيئاً.. لا شيء من هذا أبداً! إن العدو الذي تكلم عنه راتشيت كان على القطار إذن، ولكن أين هو الآن؟ كيف استطاع أن يختفي في الهواء؟ إن رأسي يذور في دوامة. أرحوك قل شيئاً يا صديقي. أخبرني كيف يكون المستحيل ممكناً؟

قال بوارو: هذه عبارة جيدة. لا يمكن للمستحيل أن يحدث، ولذلك يجب أن يكون المستحيل ممكناً رغم كل المظاهر.

- أوضح لي بسرعة، ما الذي حدث فعلاً على القطار ليلة أمس؟

- أنا لست ساحراً يا عزيزي، أنا مثلك في حيرة! فهذه القضية تتطور بصورة غريبة جداً.

- إنها لا تتطور، بل تظل حيث هي.

هدوء. سأتحقق في الوقت المتاح لبعض الأمور الغريبة التي حدثت سابقاً مع الدكتور كونستانتين، وسوف أتطرق إليها بعد قليل. إن الحقيقة التي نبي ذلك هي الأهمية فهي في طريقي الوقت الذي حدث به الجريمة.

قال سيد برث ومرة أخرى بهذا أحد الأشياء الغريبة التي عرفها بأفعل، حيث ارتكبت الجريمة في الواحدة والرابع من هذا الصباح؛ فكل شيء يدل على هذا.

- أنت تبالي قليلاً... ليس كل شيء، ولكن المؤكد أن هذه لا بأس بها تدعم وجهة النظر هذه.

- أنا سعيد لأنك تعترف بهذا على الأقل.

تابع يوارو بهدوء غير أنه لهذه المقاصد أمام احتمالات ثلاثة؛ الأول: أن الجريمة قد ارتكبت - كما تقول - في الواحدة والرابع، فإفادة المرأة الألمانية سمحت تدعم ذلك، كما وأنه متبرر مع تقرير الدكتور كونستانتين الاحتمال الثاني أن الجريمة وقعت بعد ذلك الوقت وأن دليل الساعة مزيف عمداً. الاحتمال الثالث أن الجريمة وقعت قبل ذلك وأن دليل الساعة مزيف عمداً لنفس السبب السابق حسب. لم تقبل الاحتمال الأول على أنه الأرجح والموثوق بأدلة أكثر من عدم أن تتقبل بعض الحقائق التي تتجلى عن ذلك؛ فهو أن الجريمة قد ارتكبت في الواحدة والرابع فلا يمكن أن يكون القاتل قد غادر القطار، وبناءً على ذلك فإن لدينا السؤال الثاني: أين هو؟ ومن هو؟ دعونا - بدايةً - نتفحص الدليل بعناية. أول ما سمعنا عن وجود هذا الرجل الأسمر الصغير ذي الصوت النسائي من هاردمان،

فهو يقول إن رانشت أحرره عن ذلك الرجل ووظفه ليحرسه منه لا يوجد دليل يؤيد ذلك وليس لدينا سوى كلام هاردمان نعتمد عليه دعونا بعد ذلك نتفحص السؤال الثاني: هل هاردمان هو فعلاً الرجل الذي يزعم؟ أي هل هو رجل تحرر لدى وكالة تحقيقات من نيويورك؟ ما هو مشير بالنسبة لي في هذه القضية هو أننا لا نملك الوسائل المتاحة للشرطة، فلا نستطيع أن نتحقق من الأوراق الثبوتية لأي من هؤلاء الناس، وعليه أن نعتمد على الاستنتاج فقط، وهذا يجعل القضية أكثر إثارة؛ فلا يوجد عمل روتيني. والمسألة مسألة ذكاء. لهذا أسأل نفسي: هل نستطيع أن نتقبل زعم هاردمان عن هويته؟ لقد اتخذت قراري، وأنا أجب على ذلك بالإيجاب. إن - برأيي - نستطيع أن نتقبل قول هاردمان عن نفسه.

قال الدكتور كونستانتين: هل تعتمد على الحدس؟

- أبدأ؛ فانا أنظر إلى الاحتمالات. إن هاردمان يتقبل بجواز سعر مزيف مما يجعله موضع شك على الفور، وأول ما سيفعله الشرطة عندما يصلون إلى المكان هو أن يحتجزوا هاردمان ثم يرفقوا مستفسرين للتوثيق من ادعاءاته. أما بالنسبة لمعظم الركاب فإنه يصعب معرفة شخصياتهم، وفي معظم الحالات لن يتم في الغالب القيام بذلك، خصوصاً وأنه لا يوجد ما يشير لشك حولهم. ولكن هذا الأمر سهل في حالة هاردمان، فإما أن يكون هو الرجل الذي يدعيه أو غير ذلك، ولذلك فإنني أقول إن كل ما قاله سيتم إثبات صحته.

هل نستبعده من دائرة الشك؟

أند: لقد أخضعت فهمي؛ فقد نوحده لدى أي محقق أميريكي

أسبابه الخاصة لقتل واتشيت. ما أقوله هو أننا نستطيع أن نقبل ما قاله هاردمان عن نفسه، ولذلك فهذه القصة التي يقولها حول سمي واتشيت خلفه وتوظيفه له ليست بعيدة، وهي محتملة جداً، ولكنها ليست حقيقة مؤكدة. وإذا كنا سنقبل بها على أنها حقيقة فيجب أن نرى إن كان يوجد تأكيد لها؛ إننا نجد هذا التأكيد في مكان غير متوقع، وهو إفادة هيلداغارد شميدت؛ فوصفها للرجل الذي رآته في زي مسؤول التذاكر مطابق تماماً هل لهاتين الفئتين تأكيد آخر؟ نعم، يوجد الزر الذي وجدته السيدة هوبارد في مقصورتها، وتوجد عبارة تتفق مع ذلك أيضاً لعلكما لم تلاحظاهما.

- وما هي؟

- إنها حقيقة أن كلاً من العقيد أربونوت وهكتور ماكوين ذكرا أن مسؤول التذاكر قد مر من أمام مقصورتهما. هما لم يتبها إلى أهمية هذه الحقيقة، ولكن -يا سادة- لقد أفاد بير ميشيل بأنه لم يغادر مقعده إلا في مناسبات معينة، وأي من تلك المناسبات ما كانت لتأخذه قرب آخر العربة أمام المقصورة التي كان يجلس فيها أربونوت وماكوين. ولذلك فإن هذه القصة (قصة الرجل الصغير الأسمر ذي الصوت السائي الذي يلبس زي خطوط القطار) تؤكد بصورة مباشرة أو غير مباشرة إفادات أربعة شهود.

قال الدكتور كونستانتين: تبقى نقطة صغيرة؛ فإذا كانت قصة هيلداغارد شميدت صحيحة فكيف حدث أن مسؤول التذاكر الحقيقي لم يذكر أنه رآها عندما أتى ليرد على جرس السيدة هوبارد؟

- لهذا تفسير على ما أظن؛ فعندما جاء ليرد على السيدة هوبارد

كانت الخادمة عند سيدتها، وعندما عادت أخيراً إلى مقصورتها كان مسؤول التذاكر في الداخل عند السيدة هوبارد.

كان السيد بوك ينتظر بصعوبة حتى أكملها، قال وقد نفذ صبره: نعم يا صديقي. ولكن بينما أنا معجب بحذرك وبطريقتك في التقدم خطوة خطوة، فإنني أقول إنك لم تتطرق -بعد- إلى النقطة مدار البحث. لقد اتفقا جميعاً على أن هذا الرجل موجود، ولكن النقطة هي: إلى أين ذهب؟

هز هوبارد رأسه مؤباً وقال: أنت مخطئ وميال إلى وضع العربة أمام الحصان! فقبل أن أسأل نفسي: "أين اختفى هذا الرجل؟" أسأل نفسي: "هل هذا الرجل موجود حقاً؟" لأنه إذا كان هذا الرجل محروم احتراع أو تنسيق فما أسهل أن يختفي! لذلك فإنني أحاول -في البداية- أن أثبت وجود مثل هذا الشخص من اللحم والدم.

- وطالما أننا وصلنا إلى حقيقة وجوده، فأين هو الآن؟

- يوجد جوابان فقط على ذلك يا عزيزي، فإما أنه ما يزال محبباً على القطار في مكان ينم عن عبقرية غير عادية لدرجة أننا لا نستطيع أن نفكر فيه، أو أنه كما يمكن أن نقول شخصان، أي أنه هو الشخص نفسه الذي كان يخافه السيد واتشيت، وفي نفس الوقت فهو مسافر على متن القطار تكرر بصورة جيدة لدرجة أن السيد واتشيت لم يعرفه.

قال السيد بوك وقد انفجرت أساريره: "هذه فكرة رائعة". ثم اغتم ثانية وقال: ولكن لدي اعتراض واحد....

أكمل له بوارو العبارة قائلاً: وهو جنون الرجل. أليس هذا ما كنت ستقول؟ ففيم عدا خادم السيد رانشيت فإن جميع الركاب رجال ضخماء: الإيطالي، والعقيد أربوثنوت، وهيكتور ماكوين، والكونت أندريه. إذن هذا يتركنا مع الخادم وهو افتراض بعيد. ولكن يوجد احتمال آخر: نذكر أن الصوت البشري؟ إن هذا بعض بدلياً، إذ قد يكون الرجل منكرًا كمرأة، أو أنها قد تكون فعلاً امرأة؟ فمن شأن امرأة طويلة تنبس ثياب الرجال أن تبدو رجلاً صغير الجسم.

- ولكن كان من المؤكد أن يعرف رانشيت...

- ربما كان يعرف بالفعل. ربما كانت تلك المرأة قد حاولت من قبل نفض عى حبه وهي تلبس ملابس الرجال لتنفذ عملها بصورة أفضل، وتعمل رانشيت ختم أنها قد تستعمل نفس الحيلة ثانية، ولذلك أخبر هاردمان أن يبحث عن رجل. ولكنه ذكر الصوت البشري في نفس الوقت.

قال السيد بوك: إن هذا ممكن، ولكن..

- اسمع يا صديقي، أظن أن علي الآن أن أخبرك عن بعض التناقضات التي لاحظها الدكتور كونستانتين.

سرد عليه بإسهاب الاستنتاجات التي وصل إليها هو والطبيب معاً حول طبيعة جراح الرجل الميت، فتأوه السيد بوك وأمسك برأسه ثانية، فقال بوارو يعطف: أعنم، أعنم كيف تشعر تماماً، فالأمر يجعل الرأس في حالة دوار، أليس كذلك؟

صاح السيد بوك: إن الأمر كله كالتخيل

- تماماً؟ إنه مخيف ومُسْتَعْد... لا يمكن حدوثه. لقد قلت ذلك لنفسي، ومع ذلك فهذا ما حدث يا صديقي! ولا يستطيع المعره الهرب من الحقائق.

- إنه جنون!

- أليس كذلك؟ إنه أمر جنوني يا صديقي، إلى الحد الذي يتتبعني معه أحياناً إحساس بأن الأمر بسيط للغاية... ولكن هذه مجرد واحدة من أفكارى الصغيرة.

تأوه السيد بوك قائلاً: قاتلان اثنان؟ وعلى متن قطار الشرق؟

كادت هذه الفكرة تدفعه إلى البكاء، أما بوارو فقال بالتفصيل: والآن دعونا نحمل الخيال أكثر خيالية. كان على القطار ليلة أمس غريبان اثنان، مسؤول التذاكر الذي وصفه لنا السيد هاردمان ورأته هيلداغارد شميدت كما رأه العقيد أربوثنوت والسيد ماكوين، وأيضاً المرأة ذات قميص النوم القرمزي (مرأة طويلة نحيلة)، وقد رآها بيير ميشيل والأنسة دينهام والسيد ماكوين وأنا، وشم رائحة عطرها العقيد أربوثنوت من تراها كست؟ لا يوجد على القطار من تعترف بأن لديها قميص نوم قرمزي، فهذه الأخرى قد اختفت. وكانت هي نفسها مسؤول التذاكر أيضاً أم أنها شخصية مختلفة تماماً؟ أين هما هذان الاثنان. وبنمسية، أين زي مسؤول التذاكر وقميص النوم القرمزي؟

نفض السيد بوك بنهضة وقال: آه! هذا شيء محدد يمكن البحث عنه. يجب أن نفتش أمتعة جميع الركاب. نعم، سيكون ذلك أمراً مفيداً.

نهض بوارو أيضاً وقال: سأطلق نبوءة.

- أتعرف أين هما؟

- لدي فكرة صغيرة.

- أين إذن؟

- ستجد قميص النوم الفرمزي في أمتعة أحد الرجال وستجد زي مسؤول التذاكر بين أمتعة هيلدا غارد شميدت.

- هيلدا غارد شميدت؟ أتظنها...؟

- ليس ما تفكر فيه. سأضع لك الأمر بهذه الصورة: إذا كانت هيلدا غارد شميدت مذنبة فربما يكون الزي في أمتعتها، أما إذا كانت بريئة فإنه سيكون في أمتعتها بالتأكيد.

بدأ السيد بوك يتكلم قائلاً: "ولكن كيف...؟"، ثم توقف وصاح: ما هذا الصوت الذي يقترب؟ إنه يكاد يشبه صوت محرك بخاري.

اقترب الصوت أكثر، وكان صوتاً نساءً يُصدر صيحات واعتراضات. ثم فُتح الباب الواقع في نهاية عربة المطعم بشدة واندفعت السيدة هوبارد إلى الداخل وهي نصيح: إنه أمر فظيع جداً، أمر فظيع جداً في كيس الحمام، كيس الحمام في مفصرتي... سكين عظيمة مغطاة بالدماء!

وفجأة وقعت إلى الأمام على كتف السيد بوك وقد أغمى عليها.

\* \* \*

## الفصل الرابع عشر سلاح الجريمة

غلبت قوة السيد بوك شهامته وهو يتخلص من السيدة المغمى عليها على الطاولة، وصاح الدكتور كوتسنتين بأحد مسؤولي المطعم الذي جاء واكضاً فقال له الطبيب: ضع رأسها هكذا، وإذا صحت فأعطها قليلاً من شراب الليمون. أنفهم؟

ثم أسرع خلف صاحبيه؛ فقد كان اهتمامه منصباً تماماً على الجريمة، ولم يهتم أبداً إغماء واحدة من النساء الكهلات.

ولعل السيدة هوبارد قد استعادت وعيها بهذه الطريقة على نحو أسرع مما لو استخدمت طرق أخرى، فبعد بضع دقائق كانت تجلس وتشرب عصير الليمون الذي قدمه لها المسؤول وبدأت تتحدث مرة أخرى: لا أستطيع وصف نظاعة هذا الأمر، ولا أحسب أحداً على هذا القطار يفهم شعوري. لقد كنت دائماً حساسة جداً منذ كنت طفلة، وإن مجرد منظر الدماء... آه! حتى الآن، عندما أفكر بذلك يتأهني شعور غريب.

في أثناء ذلك كان بوارو والسيد بولك قد هرعا يتبعهما الدكتور  
كروستانتين خارج عربة المطعم وعبر ممر عربة إسطنبول نحو  
مقصورة السيدة هوبارد.

بدأ أن كل المسافرين على القطار اجتمعوا خارج الباب. وكان  
مسؤول التذاكر يحاول إبعادهم وقد بدت على وجهه نظرة النزاع  
كان يقول: لا يوجد هنا ما يمكن رؤيته..

قال السيد بولك: دعوني أمر إذا سمحتم، ثم حشر نفسه بين  
المسافرين الذين سدوا الطريق ودخل المقصورة يتبعه بوارو عن  
كسب

قال مسؤول التذاكر وهو يتنهد بارتياح: أنا سعيد بقدومك  
يا سيدي. بد بوارو لجميع أن يدخلوا والمرأة الأميركية  
يا لمصحات التي تصفها حتى طشت أنها هي الأخيرة قد قُتلت  
تبت ركضت في ذلك تصرخ كمنحوبة. وقد صاحت بأنها يجب أن  
نحدث ثم عادت صانحة بأعلى صوتها فحيرة كل من مرث به في  
العربة بما حدث

ثم أضاف وهو يشير بيده إليها يا سيدي، ثم ألمسها

كنت هناك حقة حمام مخاطية كبيرة معلقة على مقبض الباب  
الذي يصل إلى المقصورة التالية. وكان أسفل منها على الأرض  
خنجر مستقيم النصل ما زال حيث سقط من السيدة هوبارد. كان  
من نوع ترخيص الذي يحاكي الخناجر الشرقية. ذا مقبض نافر  
وشفرة حادة من طرف واحد. وكانت على نصله بقع بدت أشبه

يقع الصدا.

التقطه بوارو بحذر وتمتم قائلاً: نعم، ما من شك. هذا هو  
سلاحنا المفقود بالتأكيد. ما رأيك يا دكتور؟

تفحصه الطبيب بينما قال له بوارو: لا داعي لشدة الحرص؛  
فلن تكون عليه بصمات سوى بصمات السيدة هوبارد.

لم يستغرق محض كروستانتين طويلاً، وما لبث أن قل: إنه  
سلاح الجريمة بالتأكيد؛ إن بوسعك تفسير جميع الجراح  
- أرجوك يا صديقي. لا تقل ذلك.

بدأ الطبيب مدهوشاً، فقال له بوارو: لقد كثرت المصادفات  
أماناً؛ فقد قرر شخصان أن يطعنا السيد واتشيت ليلة أمس. أما أن  
بختاراً طعنه بسلاحين متماثلين تماماً فهذا ما يصعب تصوره

قال الطبيب: بالنسبة لهذا الأمر لعل الصدفة لا تكون مستبعدة  
جداً كما قد يبدو لبؤهة الأولى. ولآلات من هذه لحاحر الشرقية  
المقلدة تُصنع وتُشحن إلى أسواق القسطنطينية.

قال بوارو: هذا لا يشكل لي عزاء كبيراً... أبداً

نظر مفكراً نحو الباب الواقع أمامه ثم رفع حافية الحمام وفتح  
مقبض الباب، إلا أنه لم يفتح. وفوق يد الباب بمسافة قدم تقريباً كان  
مزلاج الباب ففتح بوارو ثم حاول ثانية، إلا أن الباب بقي مغلقاً

قال له الطبيب: لقد أفلتناه من الجانب الآخر. ألا تذكر؟



قال بوارو يشرود: هذا صحيح.

بدا أنه يفكر في شيء آخر، فقد قطب حاجبيه وكان الحيرة قد استبدت به.

قال السيد بوك: هذا يعطينا تفسيراً للأمور، أليس كذلك؟ يمر الرجل عبر هذه المقصورة، وبينما هو يغلّق الباب خلفه تلمس يده حقيبة الحمام، وتخطر له فكرة سريعة فيدس الخنجر الملوّث بالدماء بداخلها. وعندما تصحو السيدة هوبارد دون قصد منه ينسلّ من الباب الآخر إلى الممر.

تمتم بوارو: كما قلت؟ يبدو أن هذا ما حدث.

إلا أن الحيرة لم تغادر وجهه، فسأله السيد بوك: ما الأمر؟ يوجد شيء لم تقنع به، أليس كذلك؟

صوّب بوارو نظره سريعة نحوه وقال: ألم تستوقفك النقطة التي استوقفنتي؟ نعم، لا يبدو أنها استوقفتك. لا بأس، إنها مسألة صغيرة.

أطلق مسؤول التذاكر داخل المقصورة وقال: المرأة الأميركية عائدة إلى هنا.

بدا على الدكتور كونستانتين شيء من الشعور بالذنب، فقد شعر أنه عمّل السيدة هوبارد بشيء من الإهمال، إلا أنها لم تحتفظ له بأي عتب حيث كانت طاقاتها مركزة على قضية أخرى. قالت عندما وصلت إلى الباب لاهثة: أود فقط أن أقول شيئاً بكل صراحة

لن أبقى في هذه المقصورة، ولن أنام الليلة بها ولو دفعتم لي مليون دولار!

- ولكن يا سيدتي...

- أعلم ما الذي ستقوله، وإنني أخبرك من الآن بأنني لن أبقى هنا! إنني أفضل أن أجلس في الممر طول الليل.

ثم راحت تبكي وتترج: آه! لو أن ابنتي تعلم فقط ماذا حلّ بي، لو أنها رأت حالتي الآن...

قاطعها بوارو بحزم قائلاً: لقد أسأت فهمي يا سيدتي، فظلك معقول جداً وسوف يتم نقل أمتعتك في الحال إلى مقصورة أخرى.

أنزلت السيدة هوبارد منديلها وقالت: أحفأ؟ آه، إنني أشعر بنحسن فوري. ولكن المؤكد أن جميع المقصورات مشغولة، إلا إذا عمد أحد السادة...

قال السيد بوك: سوف تؤخذ أمتعتك يا سيدتي خارج هذه الغرفة تماماً، وسوف تأخذين مقصورة في الغرفة التالية التي انضمت إليها في بلغراد.

- هذا عظيم. أنا لست امرأة عصبية بطبيعتي، ولكن أنام في هذه المقصورة بجانب رجل ميت...

ارتعشت ثم قالت: إن هذا سوف يقودني إلى الجنون.

نادى السيد بوك: ميشيل، انقل هذه الأمتعة إلى مقصورة فارغة في عربة أثينا-باريس.

- نعم يا سيدي. أضعها في المقصورة الممثلة لهذه؟ رقم ٢٣؟

قال بوارو قل أن يتمكن صديقه من الإجابة: لا. أظن أنه سيكون من الأفضل للسيدة أن تأخذ مقصورة مختلفة تماماً، مقصورة رقم ١٢ على سبيل المثال.

- حسناً يا سيدي.

حمل المسؤول الأمتعة، والتفتت السيدة هوبارد نحو بوارو قائلة بامتنان: هذا تصرف لطيف منك. أؤكد لك أنني أقدر ذلك.

- لا عليك يا سيدتي، سنأتي معك ونتأكد من راحتك.

رافق الرجال الثلاثة السيدة هوبارد إلى مسكنها الجديد ونظرت حولها بسعادة قائلة: هذا رائع.

- أناسك يا سيدتي؟ إنها تشبه المقصورة التي تركتها تماماً.

- هذا صحيح. ما عدا أنها تقابل الجهة الأخرى، ولكن هذا لا يهم فهذه انقطاعات تنجم مرة بهذا الاتجاه ومرة بغيره. لقد فدت لايتي: أريد مقصورة تكون متجهة نحو المحرك. فقالت: إن هذا لن يفيدك يا أمي، فإذا نمت ونظارت متحرك باتجاه ما، فعندما سنبطّن نجدينه يتحرك بالاتجاه الآخر. إن ما قاله صحيح تماماً. فمساء أمس دخلنا بلغراد باتجاه وخرجنا منها بالاتجاه الآخر

- عني أية حائز، هل أنت راضية وسعيدة الآن يا سيدتي؟

- لا، لن أقول ذلك؛ فنحن عالقون في التلوح ولا أحد يفعل شيئاً حيال ذلك وقاربي سيحرر بعد غد.

قال السيد بوك: كلنا واقعون في نفس المشكلة يا سيدتي... كل واحد منا.

اعترفت السيدة هوبارد قائلة: هذا صحيح، ولكن ما من أحد غيري غير قاتل مقصورته في منتصف الليل.

قال بوارو: إن ما يحيرني - يا سيدتي - هو كيف دخل الرجل إلى مقصورتك إذا كان الباب الموصل مقللاً بالمزلاج كما تقولين. أنت متأكدة من كونه مقللاً بالمزلاج؟

- لقد عالجت السيدة السويدية أمام عيني.

- دعينا نعيد تمثيل ذلك المشهد البسيط: كنت مسنقية في سريرك هكذا، وتقولين إنه لم يكن باستطاعتك أن تری القفل بنفسك؟

- نعم، بسبب حقبة الحمام. آه، يا إلهي! يجب أن أحصل على حقبة جديدة؛ إن مجرد النظر إلى هذه يصيبني بالغثاس.

تناول بوارو حقبة الحمام وعلقها على مقبض الباب الذي يوصل إلى المقصورة التالية وقال: تماماً، لقد فهمت. إن المزلاج يقع تحت المقبض تماماً، والحقبة تغطيه. لم يكن باستطاعتك أن تری - من حيث نجلسين - إن كان مقللاً أم لا.

- هذا ما كنتُ أقوله لك تماماً.

- وقد وقعت السيدة السويدية (الآنسة أولسون) هكذا، بينك وبين الباب، فعالجته وأخبرتني بأنه مقفل.

- هذا صحيح.

- لا بأس يا سيدتي، ولكن لعلها ارتكبت خطأ، أترين ما أعني؟

بدا بوارو متلهفاً على إيضاح الأمر وهو يقول: إن المزلاج مجرد ثوة معدني، عندما يُدار إلى اليمين يقفل الباب وإذا تُرك مستقيماً يظل الباب مفتوحاً لعلها حاولت فتح الباب فقط، وبما أنه كان مُقفلاً من الجهة الأخرى فلعلمها ظننت أنه مقفل من جهتك.

- أظن أن ذلك لو صحح لكان غباء منها.

- يا سيدتي، إن أطف الناس ليسوا هم الأذكي دائماً.

- هذا صحيح بالطبع.

- بالمناسبة يا سيدتي، هل سافرت إلى شميرنا بهذه الطريقة؟

- لا! لقد أبحرت إلى إسطنبول وقابلني صديق لابتني هو السيد جونسون (إنه رجل لطيف جداً وأودك أن تتعرف عليه). وقد عزفتني بإسطنبول التي وجدتها مدينة مخيبة للأمال؛ إذ أن مبانيها على وشك أن تنهار... ثم ودعني حيث ركبت قارباً فرنسياً متجهاً

إلى شميرنا، وكان زوج ابنتي ينتظري في الميناء. ماذا سيفعل عندما يسمع عن كل هذا! قلت ابنتي إن هذه أسهل طريقة وأكثرها أماناً للسفر قالت: كل ما عليك هو أن تجلسي في مقصورتك فتجدي نفسك في باريس حيث تقابلتك هناك وكالة أميركان إكسبرس". آه، يا إلهي! ماذا أستطيع أن أفعل حيال إلغاء بطاقة رحلتي البحرية؟ يجب علي أن أعلمهم؛ فلا يمكن أن ألحق بالقارب الآن. إن هذا قطع جداً.

أظهرت السيدة هوبارد إشارات تدل على أنها ستبكي ثانية، فاعتنم بوارو (الذي كان يتلملح قليلاً) هذه الفرصة وقال: لقد أصابتك صدمة يا سيدتي، وسوف نعطي تعليماتنا إلى نادل المطعم كي يحضر لك بعض الشاي.

قالت السيدة هوبارد باكياً: لست من هواة الشاي المتحمسين؛ فهذه عادة إنكليزية.

- قهوة إذن يا سيدتي؛ فأنت بحاجة إلى شراب مثله.

- لقد شربت عصير الليمون، ومع ذلك سأشرب بعض القهوة.

- ممتاز، إذ يجب عليك أن تستعيدني فواك.

- يا له من تعبير مضحك!

- ولكن - قبل ذلك يا سيدتي - سنقوم بأمر روتيني بسيط. هلاً سمحت لنا بتفتيش أمتعتك؟

- إما على وشك أن تنتش أمتعة جميع المسافرين، ولا أود أن أذكرك بتجربة كريهة مررت بها ألا تذكرون حقبة الحمام؟

- يا إلهي! نعل من الأفضل أن تقوم بذلك؛ فلا أستطيع أن أنحمل أية مفاجآت أخرى من ذلك النوع.

انتهى التفتيش بسرعة؛ إذ كانت السيدة هوبارد تسافر بأقل أمتعة ممكنة: صندوق قبعات وحقبة ملابس وحقبة سفر ممثلة. كانت محتويات القطار الثلاث بسيطة وعادية، ولم يكن التفتيش يأخذ أكثر من دقيقتين لولا أن السيدة هوبارد آخرتهم بإصرارها على يئونها انتباهاً مناسباً "لصور ابنتي" (كما قالت) وطفلين بشعين هما "طفلا ابنتي، أليسوا رائعين؟!"



## الفصل الخامس عشر أمتعة الركاب

بعد أن تفوه بوارو بالعديد من العبارات المؤدبة، وبعد أن أخبر السيدة هوبارد بأنه سيطلب لها القهوة، استطاع أن يغادر المقصورة برفاقه صاحباه.

قال السيد بوك: حسناً، لقد بدأت، ولكننا لم نجد ضالتنا. من سنرى بعد ذلك؟

- أسهل شيء - على ما أظن - هو أن تبدأ بالتفتيش مقصورة مقصورة على طول الممر، وهذا يعني أننا منبداً برقم ١٦، حيث مقصورة السيد الودود هاردمان.

رحب بهم السيد هاردمان بدمائه وهو يدخن سيجاراً: تفضلوا أيها السادة، هذا إن كان دخولكم ممكناً؛ فالمكان ضيق قليلاً بالنسبة لمجموعة

أوضح له السيد بوك الهدف من الزيارة، فهز المحقق الضخم رأسه مستوعباً وقال: لا بأس، والحققة أنني كنت أعجب كيف لم

تشرعوا بتفتيش الأمعة قبل ذلك. ها هي ذي مفاتيحي يا سادة، وإذا أردتم أن تفتشوا جبوتي أيضاً فعنى الرحب والسعة هل أناون لكم حقائب سفرى؟

- سيقوم مسؤول التذاكر بذلك. ميشيل!

تم تفتيش محتويات حقبي سفر السيد هاردمان بسرعة، ولم يكن فيهما ما يذكر الفت هاردمان ونظر خارجاً نحو الثلوج لذيقة فرقت عيناه وكان الشبح أذمهما، ثم علق قنلاً منظر يكاد بهر العين. اليس كذلك؟ إن هذا الأمر - يا سادة - يؤثر أعصابي: جريمة القتل، والثلوج، ولا يحدث شيء. نتظر هنا فقط ونقتل الوقت. أود أن أشغل نفسي بمتابعة أحد ما أو شيء ما.

قال بوارو مبسماً: إنها الروح النشطة بحق.

أعاد مسؤول التذاكر الحقائب وتحركوا إلى المقصورة التالية. كان العقيد آريوثنوت يجلس في زاوية يدخن الغليون ويقرأ مجلة، وأوضح له بوارو مهمته فلم يعترض العقيد. كانت لديه حقيبتان ثقيلتان من الجلد وقال: لقد ذهبت بقية أمتعتي بطريق البحر.

وكاغلب رجال الجيش كانت أمتعة العقيد مرتبة، ولم يستغرق تفتيشها سوى بضع دقائق. ولاحظ بوارو علبة من منظفات الغليون فسأله: أنتستعمل دائماً نفس النوع؟

- في العادة، إذا استطعت الحصول عليه.

أوما بوارو برأسه. كانت منظفات الغليون هذه مطابقة تماماً

للمنظف الذي وجدته على أرض مقصورة الرجل الميت.

ألقي الدكتور كونستانتين ملاحظة بهذا المعنى عندما عادوا إلى الممر، فتمتم بوارو. ولكن الأمر يقف عند هذا التشابه. إنني لا أكاد أصدق ذلك؛ فالجريمة لا تتسجم مع شخصيته، وعندما نقول ذلك فقد استغنيا عن أي كلام آخر.

كان باب المقصورة التالية مغلقاً، وهي مقصورة الأميرة دراغوميروف. طرقتوا على الباب فسمعوا صوت الأميرة العميق: ادخل.

كان السيد بوك هو المتحدث باسمهم، وقد شرح لها مهمتهم بكل توفير وأدب، واستمعت له الأميرة صامتة. كان وجهها الصغير الذي يشبه الضفدع خائياً من المشاعر، وعندما انتهى قالت بهدوء: إذا كان هذا ضرورياً فلا داعي للاعتذار. إن المفاتيح مع خادمتي وستبنيكم في مهمتكم.

سأل بوارو: هل تحمل خادماتك المفاتيح دوماً يا سيدتي؟

- بالتأكيد يا سيد.

- وإذا احتاج مسؤولو جمارك الحدود في إحدى اللبالي أن يفتشوا أمتعتك؟

رفعت العجوز كتفها بلا اهتمام وقالت: هذا مُستبعد جداً، ولكن إذا حصل مثل هذا الأمر فإن مسؤول التذاكر سيناديها.

- إذن فأنت تثقن بها تماماً يا سيدتي؟

قالت الأميرة بهدوء: لقد أخبرتك بذلك من قبل. إنني لا أوظف  
الحد لا ألق به

فان يوررو مفكراً: نعم! فاشقة مزينة جميلة فعلاً هذه الأيام. ربما  
يكون مستحداً مرة دميعة ساذجة يثق بها المرأة أفضل من استخدام  
خادمة ألفة عصرية. كل تكون ريسية حميمة على سبيل المثال

راى عندها الدكتيس الدكتيس تدور وتنتقل على وجهه.  
ثم قالت: ما الذي ترمي إليه بالضغط يا سيد يوررو؟

- ألي! لا شيء يا سيدني. لا شيء.

نعم. إن سميت محبسة نبي. وإلا لخلص لا يقدر بشي

وصلت المرأة الأميرة ومعها السديج تحدثت إليها الأميرة  
بلغتها وأخبرتها أن تفتح الحجاب وتساعد السادة في بحثهم. ووقفت  
هي في الممر تنظر خارجاً نحو الشوارع وبقي يوررو معها تاركاً سيد  
بوك لمهمة بحث الأميرة.

زأقت بهتامة بشعة وقالت: إذن يا سيده. ألا تريد رؤية  
ما تحتويه حقائقي؟

مرر من رافياً وقد بها مساة روتية فقط يا سيدني

- أنت متأكد تماماً؟

- بالنسبة لك، نعم.

- ونكسي عرفت سوما آرمشونغ وأحسنتها. فما رأيك بذلك؟

أترى أنني ما كنت لأوسخ يدي بقتل وحش كهذا الرجل كاسيتي؟  
لعلك تكون على حق.

صمتت لدقيقة أو اثنتين، ثم قالت: أنعرف ماذا كنت سأفعل  
برجل مثل هذا؟ كنت سأقول لخدمتي: اجلدوا هذا الرجل حتى  
الموت. ثم ارموا جثته في القمامة. لقد كانت الأمور تُسوى بهذه  
الطريقة عندما كنت صغيرة يا سيد.

بقي ممتنعاً عن الحديث مكثفاً بالإصغاء بهتمام. فظهرت  
إليه بقوة مفاجئة وقالت: إيت لا تقول شيئاً يا سيد يوررو، بمداد  
تراك تفكر؟

نظر إليها نظرة مباشرة وقال: أظن يا سيدتي أن قولك تكمن  
في إرادتك، لا في بدنتك

نصرت نحو دراعبي الضعيفين الداكتين اللذين تنهين  
بيدين صفراوين امتلأت أصابعهما بالخواتم وقالت: هذا صحيح.  
فليست لدي قوة في هاتين أيداً، وما أدري إن كنت سعيدة بذلك  
أم حزينة!

ثم التفت فجأة عائدة إلى مقصورتها حيث كانت الخادمة  
مشغولة بإعادة ترتيب الحفائب، وهناك قاطعت الأميرة اعتذارات  
السيد بوك فذنت لا داعي للاعتذار يا سيد. لقد ارتكبت جريمة ولا بد  
من القيام ببعض الأمور. هذا كل ما في الأمر.

- أنت في غاية اللطف يا سيدتي.

كان باب المقصورتين تائينين معلقين، فوقف السيد بوك وحدث

رأسه قدلاً تها قد يكون هذا موقفاً صعباً؛ هذان يحملان جوارى  
سفر دبلوماسيين، وأمنتهما مستثناة من التفتيش.

- نعم. مستثناة من التفتيش الجمركي، ولكن الأمر يختلف  
بوجود جريمة قتل.

- أعرف، ومع ذلك لا تريد تعقيد الأمور...

- لا تزعم نفسك يا صديقي. سيكون الكونت والكونتيسة  
عاقلين. ألا ترى كم كانت الأميرة دراغوميروف لطيفة في تقبل  
الأمر؟

- إنها امرأة عظيمة حقاً. وهذان الاثنان في نفس المكانة أيضاً،  
إلا أنني أحسست بأن الكونت رجل ذو مزاج شرس، ولم يعجبه  
إصرارك على استجواب زوجته، وسوف يضايقه هذا أكثر. ما رأيك  
لو ألغينا تفتيشهما؟ فلا يمكن أن نكون لهما - في نهاية الأمر - علاقة  
بمثل هذه القضية؟ لماذا أسبب لنفسى متاعب أنا في غنى عنها؟

قال بوارو: لكنني لا أوافقك، وأنا متأكد من أن الكونت  
أندريينيه سيكون عقلانياً. على أية حال، دعنا نحاول.

وقبل أن يجيبه السيد بوك طرق بحدّة على باب المقصورة رقم  
١٣ فهتف صوت من الداخل: ادخل.

كان الكونت يجلس في الزاوية قرب الباب يقرأ صحيفة،  
وكانت الكونتيسة متوقفة في الزاوية المقابلة قرب النافذة وخلف  
رأسها وسادة، وقد بدا أنها كانت نائمة.

بدأ بوارو بقوله: معذرة يا سيدي الكونت. أرجو أن تغفر  
تدحنا هذا، إلا أننا نقوم بتفتيش كل الأمتعة على القطار، وهو أمر  
شكلي في معظم الحالات، ولكن لا بد من القيام بذلك ويرى السيد  
بوك أن حملكما جوارى سفر دبلوماسيين قد يسوّغ لكما المطالبة  
باستثنائكما من التفتيش.

فكر الكونت لدقيقة ثم قال: شكراً لك، ولكن لا أظني أود أن  
أكون مُستثنى، فأفضل أن يتم فحص أمتعتنا كأمتعة بقية الركاب.

ثم التفت إلى زوجته وقال: أمل أنك لا تمانعين يا إلينا؟

قالت الكونتيسة بلا تردد: أبداً.

تبع ذلك تفتيش ووتيني سريع، وبدأ بوارو وكأنه يحاول تغطية  
بعض الحرج بعبارات صغيرة مختلفة غير ذات مغزى، مثل: "هذا  
الملصق على حقيبتك مبتل تماماً يا سيدي". قال ذلك بينما كان  
يُزل حقيبة زرقاء كُتبت على ملصقها الأحرف الأولى للاسم وعليها  
شعار صغير.

لم تُجب الكونتيسة على هذا التعليق وبدأ أنها ضجرة من كل  
ما يجري، فقد ظلت متفوقة في الزاوية تحديق بشكل حالم خارج  
النافذة بينما كان الرجال يفتشون حقائبها في المقصورة التالية.

أنهى بوارو بحثه بفتح الخزانة الصغيرة فوق المعلقة ونظر  
بسرعة إلى محتوياتها: كريم للوجه، ومسحوق بودرة، وزجاجة  
صغيرة كُتب عليها أنها حبوب للنوم. ثم انسحبت فرقة التفتيش بعد  
تبادل العبارات المؤدبة بين الطرفين.

كنت منصورة الثانية هي منصورة سيدة هوارو. ثم منصورة برجل نيت. ثم منصورة بوارو. ثم وصلوا إلى مقصورات الدرجة الثانية. وكانت الأولى هي ذات السريين ١٠ و ١١ وتسلم كل من ماري دينهم التي كانت تقرأ كتاباً، وعريتا أولسون التي كانت تنام بعمق، إلا أنها صحت فزعة عندما دخلوا.

أعاد بوارو ذكر سبب التفشي، وقد بدت السيدة السويدية منزعجة، أما ماري دينهم فقد كانت هادئة وغير عابثة.

تكلم بوارو إلى السيدة السويدية: إذا سمحت يا آنسة، ستقوم سيش تسبب نولاً. ثم ربما تلغفب وذبحت لتابعة حال السيدة الأميركية. لقد نقلتها إلى إحدى مقصورات العربة الثانية، لكنها لا تر. في حالة سيئة بسبب ما عثرت عليه. لقد قممتُ بطلب القهوة لها ونكسي أصب من ذلك النوع الذي يحب أن يتحدث إلى شخص ما. وهذه أهم أولوية بالنسبة لها.

وسرعان ما ظهر التعاطف على السيدة الطيبة وشرعت تقول إنها ستذهب في الحال، فلا بد وأن الصدمة كانت كبيرة على أعصاب السيدة المسكينة، خاصة وأن السيدة المسكينة كانت متأثرة أصلاً بسبب الرحلة وتركها لابساً. نعم: من المؤكد أنها ستذهب في الحال، وحققتها ليست مقفلة فيمكن تفشيها أثناء غيابها.

غادرت بسرعة وتم فحص ممتلكاتها بسرعة فقد كانت قليلة جداً، ومن الواضح أنها لم تلاحظ الأسلاك المفقودة من صندوق قعنب.

وضعت الآنسة دينهم كتابها جانباً وهي تراقب بوارو، ثم

سلمته المفاتيح بناءً على طلبه. وعندما أنزل إحدى الحقائب وفتحها قالت له: لماذا أرسلتها يا سيد بوارو؟

- أن يا آنسة؟ لنعتني بالسيدة الأميركية

- عذراً ممتازاً. ولكنه يضل عذراً

- لا أفهم يا آنسة

قالت: "أظن أنك تفهمني جيداً". ثم ابتسمت وقالت: لقد أردت الانفراد بي، أليس كذلك؟

- أنت تقوليني ما لم أقله وتضعين الكلمات على لساني يا آنسة.

- كما أضع الأفكار في رأسك؟ لا، لا أظن ذلك، فالأفكار موجودة أصلاً هناك. هذا صحيح، أليس كذلك؟

- إن عندنا مثلاً يا آنسة...

- "يكاد المريب يقول خذوني"... أهذا ما كنت ستقوله؟ يجب أن تعترف لي بمشاكلي شيئاً من الملاحظة والنس المنطقي السليم؛ فليسب ما أفتعت نفسك بأنني أعرف شيئاً عن هذا العمل الشنيع... جريمة القتل هذه التي وقعت لرجل لم أزه أبداً من قبل.

- إنك تتخيلين أموراً يا آنسة

- لا، إنني لا أتخيل الأمور أبداً، ولكن يبدو لي أن وقتاً طويلاً بضيع بسبب عدم قول الحقيقة وبسبب المناورة حول القضية بدلاً



كذلك لمقصورة الثانية هي مقصورة السيدة هوبارد. ثم مقصورة لرجل الميت. ثم مقصورة بوارو. ثم وصلوا إلى مقصورات الدرجة الثانية، وكانت الأولى هي ذات السريرين ١٠ و ١١ وتشغلها كل من ماري دينهام التي كانت تقرأ كتاباً، وغريتا أولسون التي كانت تنام بعمق. إلا أنها صحت فرعة عندما دخلوا.

أعاد بوارو ذكر سبب التفتيش. وقد بدت السيدة السويدية مضطربة. أما ماري دينهام فقد كانت هادئة وغير عابئة.

تكلم بوارو إلى السيدة السويدية: إذا سمحت يا آنسة، ستقوم بنفس امتعتك أولاً. ثم ربما تفتحت وذهبت لمتابعة حال السيدة الأميركية عند غدا. إلى إحدى مقصورات الدرجة الثانية. لكنها لا تترك في حانة سينة بسبب ما عثرت عليه. لقد قمت بطلب القهوة لها ولكنني أضعتها من ذلك النوع الذي يحب أن يتحدث إلى شخص ما، وهذه أهم أهمية ثانية لها.

وسرعان ما ظهر التعاطف على السيدة الطيبة وشرعت تقول إنها ستذهب في الحال. فلا بد وأن الصدمة كانت كبيرة على أعصاب السيدة المسكينة. حصة وأن السيدة المسكينة كتب مائة أصلاً بسبب الرحلة وتركها لاهتها. أه. نعم؛ من المؤكد أنها ستذهب في الحال، وحقيبتها ليست مغلقة فيمكن تفتيشها أثناء غيابها.

غادرت بسرعة وتم فحص ممتلكاتها بسرعة فقد كانت قبيلة جداً. ومن الواضح أنها تم تلاحظ الأسلحة المفقودة من صندوق

لعبت وضعت الأنسة دينهام كتابها جانباً وهي تراقب بوارو، ثم

سلمته المفاتيح بناء على طلبه. وعندما أنزل إحدى الحقائق وفتحها قالت له: لماذا أرسلتها يا سيد بوارو؟

- أنا يا آنسة؟ لتعتني بالسيدة الأميركية.

- عذراً ممتازاً... ولكنه يظل عذراً.

- لا أفهمك يا آنستي.

قالت: أظن أنك تفهمني جداً. ثم ابتسمت وقالت: لقد أردت الانفراد بي، أليس كذلك؟

- أنت تقوليني ما لم أقله وتضعين الكلمات على لساني يا آنستي.

- كما أضع الأفكار في رأسك؟ لا. لا أظن ذلك؛ فالأفكار موجودة أصلاً هناك. هذا صحيح. أليس كذلك؟

إن عندنا مثلاً يا آنستي...

- «يكاد الحبيب يقول خذوني»... أهذا ما كنت ستقوله؟ يجب أن تعترف لي بامتلاكك شيئاً من الملاحظة والحس المنطقي السليم؛ فليسب ما أقمت نفسك بأني أعرف شيئاً عن هذا العمل الشنيع. جريمة القتل هذه التي وقعت لرجل لم أره أبداً من قبل.

- إنك تتخيلين أموراً يا آنسة.

- لا. إنني لا أتخيل الأمور أبداً، ولكن يبدو لي أن وقتاً طويلاً يفسح بسبب عدم قول الحقيقة وبسبب المناورة حول القضية بدلاً

من ندخول في صلب الموضوع

- وأنت لا نحسب إصاعة الوقت معكم. أنت تفصلي الدخول في صلب الموضوع ونحدث بطريقة المباشرة؟ نذنت سوف أعمل معك بالأسلوب المباشر وأسألك عن معنى كلمات سمعتها أثناء الرحلة من سوريا. لقد خرجت من القطار في محطة قونية لتمرير رحبي. وقد سمعت صوتك يا أنسة وصوت انعقد في الليل. كنت تقولين له: "ليس الآن، ليس الآن، عندما ينتهي كل شيء. عندما يكون كل شيء وراى. ما الذي عنيته بهذه الكلمات؟"

قالت بهدوء تام: أنظمتي كنت أعني... جريمة قتل؟

- أنا الذي أسألك يا أنسة.

تهتدت وغرقت قليلاً في أفكارها، ثم قالت وكأنها صحت من شروء: إن لهذه الكلمات معنى يا سيدي، ولكنني لا أستطيع أن أحركه. أستطيع فقط أن أعطيك كمعني بصدق وشرف بأنه لم تقع عيني على هذا الرجل راتشيت في حينني حتى رأيت على هذا نغضار

- وترفضين أن توضحي معنى تلك الكلمات؟

- نعم... إذا أردت أن تصوغها كذلك. إنها تخص... مهمة

توليبتها

- مهمة انتهت الآن؟

- ماذا تعني؟

- لقد انتهت، أليس كذلك؟

- لماذا تظن ذلك؟

- اسمعي يا أنسة، سأذكر لك حادثاً آخر. لقد تأخر القطار في طريقه إلى إسطنبول، وكنت متضايقه جداً يا أنسة إن الهدوء ورباطة الجأش من طبيعتك، ولكنك فقدت ذلك الهدوء حينئذ.

- لم أشأ أن ينقطع خط رحلتي.

- أنت تقولين ذلك. ولكن قطار الشرق السريع - يا أنسة - يغادر إسطنبول كل يوم من أيام الأسوع، وحتى لو ضاعت عليك الصلوة بالخط، فإن ذلك لن يعني إلا تأخيراً لأربع وعشرين ساعة فقط.

لأول مرة ظهر على الأنسة دينهام أنها فقدت أعصابها؛ يبدو أنك لا تدرك أنه قد يكون لدى المرء أصدقاء ينتظرون قدومه في لندن، وأن تأخير يوم قد يعرقل الترتيبات ويسبب الكثير من الإزعاج.

- آه، إن الأمر كذلك! أ هناك أصدقاء ينتظرون قدومك

ولا تريد أن تسببي لهم الإزعاج؟

- طبعاً.

- ولكن رغم ذلك فالأمر غريب...

- ما هو الغريب؟

- لقد حصل تأخير آخر لهذا القطار، وهو في هذه المرة تأخير

جدي جداً، حيث لا توجد إمكانية إرسال برفية إلى أصدقائك أو محاولة الوصول إليهم عن طريق الاتصال... الاتصال..

الاتصال البعيد؟ يعني بواسطة الهاتف؟

- آه، نعم. المكالمات بعيدة المدى كما تسمونها في إنكلترا

ابست ماري دينهام على الرغم عنها وقالت: نعم، إنه لأمر مزعج جداً - كما قلت - أن لا يتمكن المرء من الاتصال، إما بواسطة الهاتف أو برفياً

- ولكن - على الرغم من ذلك يا آنسة - فإن سلوكك هذه المرة مختلف جداً، فأنت لم تفقدي صبرك، بل أنت هادئة جداً وذات مزاج فلسفي.

احمزت وجنتا ماري دينهام قليلاً وعضت على شفتها ولم تعد تشعر من الانسداد.

- لم يحببي يا آنسة؟

يا آنسة، لم أعرف أن هناك سؤالاً نسعي لإجابته عبيد

- توضيح لتغيير في سلوكك يا آنسة؟

- ألا تظن أنك تثير ضجة على أمر لا يستحق يا سيد بوارو؟

مد بوارو يديه بإشارة اعتذار وقال: ربما كان ذلك عبثاً فت معشر رجال التحري؛ إذ نتوقع أن يكون السلوك منسجماً دائماً، وليس في قاموسنا تغييرات المزاج

لم تحبه ماري دينهام

- هل تعرفين العقيد آريوثوت جيداً يا آنسة؟

حُبل إليه أنها ارتاحت لتغيير الموضوع. قالت: قابلته للمرة الأولى على هذه الرحلة.

- هل لديك أي سبب بدعوك للاعتقاد بأنه ربما كان يعرف هذا الرجل وانتيت؟

هزت رأسها نافية وقالت: أنا متأكدة جداً من أنه لم يعرفه.

- لماذا أنت متأكدة؟

- من الطريقة التي تحدث بها.

- ولكن، على الرغم من ذلك يا آنسة، فقد عثرنا على منقذ غنيون على أرض مقصورة الرجل الميت، والعقيد آريوثوت هو الرجل الوحيد على القطار الذي يدخل الغليون.

راقبها جيداً، إلا أنها لم تُبدِ أية مفاجأة أو عاطفة، بل اكتفت بالقول: هراء! إن هذا احتمال سخيف؛ فالعقيد آريوثوت هو آخر رجل في الدنيا يمكن أن يتورط في جريمة... وخصوصاً في جريمة مسرحية كهذه.

- يجب أن أذكرك بأنك لا تعرفينه جيداً يا آنسة.

رفعت كتفها بلا مبالاة وقالت: إنني أعرف أمثاله جيداً.

قال بكثير من اللطف: أما زلت ترفضين إخباري بمعنى تلك الكلمات: "عندما يكون كل شيء وراءنا؟"

قالت بيروود: ليس لدي شيء آخر لأقوله.

- لا بهي، سأكتشف ذلك.

احس وعودر المقصورة وأغلق الباب خلفه.

سأل السيد بوك هل كان ذلك من الحكمة يا صديقتي؟ لقد جعلتها تحترس الآن، ومن خلالها جعلت العقيد يحترس أيضاً.

- إذا أردت أن تمسك أرنأ فعميت أن تضع ابن عرس في جحره. وإذا كان الأرنب في الداحل فإنه سيهرب وهذا كل ما فعلته!

• • •

دخلوا مقصورة هيلداغارد شميدت. كانت المرأة تقف بالانتظار وتعبيرات وجهها تنم عن الاحترام، ولكنها كانت تخلو من المشاعر.

التقى بوارو نظرة سريعة على محتويات الحقيبة الصغيرة التي كانت على المقعد، ثم أشار إلى مسؤول التذاكر أن يُزِل الحقيبة الكبيرة عن الرف وقال: المفاتيح؟

- إنها غير مفقولة يا سيدي.

حل بوارو الأحزمة ورفع الغطاء، وما لبث أن هتف: "آه؟"، ثم

التفت نحو السيد بوك قائلاً: "أذكركم ما قلت؟ انظر هنا". وعلى وجه الأمتعة كان زي بني من أزياء مسؤولي التذاكر موضوع بغير ترتيب.

تهافت تماذك السيدة الألمانية فجأة وصاحت: آه! هذا ليس لي. وأنا لم أصعه هذا. ثم أنظر في تلك الحقيبة منذ غادرنا إسطنبول. صدقوني حقاً إنها الحقيبة

نظرت من رجل إلى آخر نظرة راحة، فأخذها بوارو من ذراعها بلطف مهدئ وقال: كل شيء على ما يرام؟ إن نصدقك، فلا تنألمي. أما متأكد من أنك لم تضعي هذا الثري هذا مثلما أني متأكد من أنك طبخة ماهرة. أنت طبخة ماهرة، ليس كذلك؟

تعبرت المرأة وانسمت رغماً عنها وقالت: نعم، فعلاً؛ كل سيداتي قلن ذلك. إني...

توقفت وفتحت فمها، وبدت خائفة مرة أخرى فقال بوارو: لا، أؤكد لك أن كل شيء على ما يرام، وسوف أخبرك كيف حدث هذا. إن ذلك الرجل الذي رأيته بزي مسؤول التذاكر قد خرج من مقصورة الرجل الميت واصطدم بك، وهذا من سوء حظه. كان يأمل ألا يراه أحد، فمدا يعلم؟ عليه أن يتخلص من الزي. فتم يعد هذا الزي حماية له بل خطراً عليه.

انقلت نظرتي إلى السيد بوك والدكتور كونستانين الذين كانا يستمعان بشغف

- لقد عطلت الثلوج في الخارج كل مخططاته، فأين يستطيع أن يخفي هذه الملابس؟ إن جميع المقصورات مليئة، ولكن كلا،

تقد من من أمام واحدة بابها مفتوح مما دل على أنها خالية. لا بد  
وانها مقصورة المرأة التي اصطدمت لثوبه بها. وهكذا تسلي داخلها  
وتزعج عنه الثوب وحشره بسرعة في الخفية التي وجدها على الرف.  
فبذلك قد يمر بعض الوقت قبل أن يُكتشف وجوده.

قال السيد بوك: وبعد ذلك؟

قال يوارو: 'هذا ما يجب أن نبحث فيه'. ثم رفع السترة.  
وكان ثمر الثالث من الأعلى مفقوداً. ومذ يوارو يده في جيب  
السترة فأخرج مفتاحاً مما يستعمله مسؤولو التذاكر لفتح أبواب  
جميع المقصورات

قال السيد بوك: هذا ليس كمن استطاع رحمة ن بمر عبر  
لأبواب محكمة. وأمسك السيدة هوبارد أنه كان مسؤولاً. بعض  
نظر من ذلك باب منتهلاً أو لا قبل لرجل استطاع أن يمر عبر  
باب حوصص بسهولة ومن استطاع الحصول على ربي مسؤول  
تذكر من بحجرة متاحة

قال يوارو: نعم. هذا صحيح

- كان يجب علينا أن نعرف ذلك حقاً. ألا تذكر أن مشمل قد  
إن باب مقصورة السيدة هوبارد المؤدي إلى الممر كان مغلقاً عندما  
تميزت على الحرم؟

قال مسؤول تذكر هذا صحيح يا سيدي. ولهذا طشت -  
سيدة كانت تحمى بالتأكيد

تابع السيد بوك: ولكن الأمر اتضح الآن. لا شك في أنه أراد  
أن يفتح الباب لموصل أيضاً ولكنه ربما سمع حركة في السوي  
أخذه

قال يوارو: بقي لديها فقط أن تمشي على قميص النوم  
القمري

هذا صحيح، ولكن هناك المقصورات الأحياتان يقطنهما  
رجال.

- سفتشهما بغض النظر عن ذلك.

- آه، بالتأكيد! بالإضافة إلى أنني أذكر ماذا قلت.

\*\*\*

انصاع هيكتر ماكويين مطيعاً للتفتيش وقال بابتسامة مأكرة:  
'إني أفضل أن تقوموا بذلك، إذ أنني أشعر بأنني أول من نشكون  
فيه، فما عليكم إلا أن تجدوا وصية ترك لي فيها الرجل المعجوز كل  
أمواله حتى تكتمل الأدلة صدي.'

نظر السيد بوك نحوه بشك، فقال ماكويين بسرعة: 'إني أمزح  
فقط. ما كان ليترك لي ستاً واحداً؛ فكل ما في الأمر أنه كان بحاجة  
إلي، وخاصة من ناحية الثغرات. إن المرأة معرضة لكثير من المتاعب  
إذا لم يكن شكله سوى النعنة الأميركية. وإن لا أعتر نفسي لغويّاً  
ولكنني أعرف كيف أنقذه في موضوعات الشراء وحجز المصدق  
بالفرنسية والانجليزية والإيطالية

كان صوته أعلى من المعتاد، وكأنه لم يرتح لموضوع التفكير رغم ما أبداه من استعداد.

نهض بوارو قائلاً: لا شيء، ولا حتى وصية بنصف الإرث! تنهد ماكوين وقال مازحاً: لقد زال عن ظهري عبء كبير.

\* \* \*

اتجهوا نحو المقصورة الأخيرة، ولم يسفر البحث في أمتعة الإيطالي الضخم والخدام عن شيء.

وقف الرجال الثلاثة في نهاية العربة ينظر بعضهم إلى بعض، وسأل السيد بولك: ماذا بعد ذلك؟

قال بوارو: سنعود إلى عربة المطعم، فنحن نعرف الآن كل ما نحتاج إليه: ثديا إمدادات تمسودين، وإمدادات أمتعتهم، وما رايده بأعبتنا من أدلة، ولا نستطيع أن نتوقع أية مساعدات أخرى. لقد آن الأوان لكي نستخدم عقولنا

مد يده إلى جيبه وأخرج علبة لفائف التبغ فوجدتها فارغة، فقال: سأنضم إليكم بعد قليل، فأنا بحاجة إلى التدخين. إنها قضية جادة جداً ومثيرة جداً للفضول. من التي كانت تلبس قميص النوم القرمزي؟ أين هي الآن؟ أتمنى لو أعرف. إن في هذه القضية شيئاً ما... عاملاً ما... لا أستطيع أن أضع يدي عليه. إنها صعبة لأنها جعلت صعبة، ولكننا سنناقشها. اعذروني لدقيقة

مشى مسرعاً عبر الممر إلى مقصورته حيث كان يحتفظ ببعض علب التبغ في إحدى حقائبه. أنزل الحقيبة وفتح القفل، ثم جلس على كعبيه وحدق. كان قميص نوم قرمزي مُزين بأشكال التنين مرتباً بعناية فوق الأمتعة.

تمتم قائلاً: الأمر هكذا إذن... إنه تحدّ. حسناً؛ سأقبل التحدي.

\* \* \*

الجزء الثالث

هیرکیول بوارو يفکر

## الفصل الأول

### أيّ منهم؟

كان السيد بوك والدكتور كونستانس يتحدثان عندما دخل بوارو  
عربة المطعم، وقد بدا السيد بوك مكتئباً وقال عندما رأى بوارو  
"تفصل هنا" ثم أضاف عندما جلس صاحبه: "إذا استطعت أن تحل  
هذه القضية - يا عزيزي - سوف أؤمّن بالمعشرات حقاً"

- أتثير هذه القضية قلقك؟

- طبعاً هي تثير قلبي؛ فأنّ لا أعرف لها أولاً من أحر

قال الطبيب "وإن أوافقك"، ثم نفّر نحو بوارو باهتمام وقال  
"كي أكون صريحاً، فإني لا أستطيع أن أرى ما الذي ستعمله الآن."

قال بوارو معكراً بعينين حالمين حقاً؟ ولكن هذا ما يشي  
اهتمامي في هذه القضية، فحين محجوبون عن الإجراءات الروتينية  
التي نسع عادة. هل يقول هؤلاء الناس (الذين أخذنا إعداتهم) الحقيقة  
أم هم كادوبون؟ ليست لدينا وسيلة للتأكد من ذلك إلا ما يمكن أن  
ستكره نحن إن هذه القضية هي تمرير للعقل



قال السيد بولك: هذا كنه جيد جداً، ولكن ماذا لديك مما  
يمكن أن تضيق منه؟

لقد أخبرت ثيوي، لديه إمدادات الركاب والأدلة التي رأيدها  
باعت.

- يا لها من إمدات! إنها لم تُخبر بشيء أبداً.

هر بولرويه زيباً وقال: أنا لا أوافقك يا صديقي، إمدادات  
الركاب أعطتنا العديد من النقاط المثيرة.

قال السيد بولك مُشككاً: أنا لم ألاحظ ذلك أبداً.

- هذا لأنك لم تُنصت.

- حسناً، أخبرني: ما الذي فاتني؟

- سأعطيك مثالاً واحداً. إن أول إفادة سمعناها هي إفادة الشاب  
ماكوس، وقد تقوّى بما أظنه عبارة مهمة جداً.

- عن الرسائل؟

- لا، ليس عن الرسائل. حسب ما أذكر فقد كانت كلماته  
كالتالي: "لقد سافرت كثيراً، حيث أراد السيد راتشيت أن يرى العالم،  
وقد كان يعينه عدة معرفته بالبعث. لقد عملت نه دليلاً أكثر من  
عملي سكرتيراً".

انتقلت نظراته من وجه الطيب إلى وجه السيد بولك وقال:  
ماذا؟ أما زلتما غير قادرين على الاستيعاب؟ لا يوجد عذر لذلك،  
حيث سنحت لكما فرصة أخرى عندما قال إن المرء مُعرّض لكثير

من المتعب إذا لم يكن يتكلم سوى اللغة الأميركية.

قال السيد بولك من غير أن تفارقه الحيرة: ماذا تعني...؟

- آه، إنكما تريدان أن أفتر لكما الأمر كلمة كلمة! حسناً، ها  
هو ذا: إذن إن السيد راتشيت لم يكن يتحدث الفرنسية، ولكن - رغم  
ذلك - عندما وصل مسؤول التذاكر ليرد على جرمه ليلة أمس كان  
صوتاً يتكلم الفرنسية هو الذي أخبره بأنه كان مخطئاً وأنه ليس بحاجة  
إليه. وفوق ذلك، استخدمت عبارة لغوية قوية لا يمكن أن تصدر عن  
رجل لا يعرف إلا بضع كلمات فرنسية.

صاح كونستانتين بانفعال: هذا صحيح، كان يجب علينا أن  
سنصح ذلك! أذكر أنك ركزت على الكلمات عندما أعددتها علينا،  
ونهم الآن تردّدك في اعتماد دليل الساعة المحطمة! ففي الواحدة  
إلا ثلاث وعشرين دقيقة كان راتشيت ميتاً أصلاً!

أنهى السيد بولك العبارة قذلاً. وكان قائده هو الذي يتحدث.

رفع بولرويه معترضاً وقال: دعونا لا نتعجل الأمور أو نفترض  
أكثر مما نعرف حقاً، وأظن أن بوسعنا القول إنه في ذلك الوقت  
(الواحدة إلا ثلاث وعشرين دقيقة) كان في مقصورة راتشيت شخص  
آخر وأنه إما فرنسي أو أنه يتحدث الفرنسية بطلاقة.

إنك حذر جداً يا صديقي العزيز.

- يجب علينا أن نتقدم خطوة خطوة؛ فليس لدينا دليل فعلي  
يقول إن راتشيت كان ميتاً في ذلك الوقت.

- وماذا عن الصيحة التي أبقتك؟

- نعم، هذا صحيح.

قال السيد بوك متأملاً: إن هذا الاكتشاف لا يؤثر كثيراً على الأمور. لقد سمعتُ شخصاً يتحرك في المقصورة المجاورة، وذلك الشخص لم يكن راتشيت وإنما الرجل الآخر. لا شك في أنه كان يغسل الدماء عن يديه وينظف المكان بعد الجريمة ويحرق الرسالة التي تُجرمه، ثم يتنظر حتى يصبح الوضع هادئاً، ثم عندما يظن أن الوضع آمن يقفل باب راتشيت من الداخل ويفتح الباب الموصل إلى مقصورة السيدة هوبرد ويسلّ خارجاً بتلك الطريقة في الواقع كان الأمر كما فكرنا فيه تماماً، والاختلاف الوحيد هو أن راتشيت قد قُتل قبل الوقت الذي ظنناه بنصف ساعة، وقد تم تحطيم الساعة وهي في الواحدة والربع كشهد يستطيع القاتل استخدامه للدفع بعبءه عن مسرح الجريمة وقت وقوعها.

قال بوارو: ولكنه لبس شاهداً قوياً، فعقارب الساعة كانت تشير إلى الواحدة والربع، وهو الوقت الذي غادر فيه القاتل مسرح الجريمة بالضبط.

قال السيد بوك بشيء من الحيرة: هذا صحيح، بماذا تخبرك الساعة إذن؟

- إذا تم تغيير عقارب الساعة (وأقول - هنا - إذا...) فإن الوقت الذي وُضعت عليه العقارب لا بد من أن تكون له أهميته، ورد الفعل الطبيعي هو أن نشك في أي شخص لديه دفع بالغبية خلال الوقت المشار إليه، وهو في هذه الحالة الواحدة والربع.

قال الطبيب: نعم، نعم؛ هذا تحليل جيد.

- يجب علينا أن نوجه عنايتنا أيضاً إلى الوقت الذي دُخل فيه القاتل إلى المقصورة. فمنى كانت لديه الفرصة للقيام بذلك؟ إذا لم يكن مسؤول التذاكر مشاركاً في الجريمة، فيوجد وقت واحد فقط، وهو أثناء توقف القطار في فينكوفشي. فبعد أن غادر القطار فينكوفشي كان مسؤول التذاكر يحلّس مواجهاً للممر، وفي الوقت الذي قد لا يتبهِ أحد من الركاب إلى مسؤول تذاكر فإن الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يلاحظ وجود مسؤول تذاكر دخيل هو المسؤول الحقيقي، ولكن أثناء توقف القطار في فينكوفشي كان مسؤول التذاكر على الرصيف في الخارج، وبذلك يكون الجو خالياً للآخر.

قال السيد بوك: إذن، وباستخدام استنتاجنا السابق، لا بد من أن يكون أحد الركاب، وهكذا نعود إلى حيث كنا. أي راكب منهم؟

ابنسم بوارو وقال: لقد وضعتُ قائمة، وإذا أردتما رؤيتها فلعلها تُنمّش ذاكرتكما.

انحنى الطبيب والسيد بوك فوق القائمة معاً. كانت مرتبة وأنيقة ومكتوبة حسب الترتيب الذي تمت به عملية مقابلة الركاب:

هيكتور ماكوين، أميركي الجنسية، السرير رقم ٦،  
الدوحة الثانية.

الدافع: قد يكون الدافع ناتجاً عن علاقته مع القاتل.  
دفعه بالغبية عن مسرح الجريمة؛ منذ منتصف الليل

وحتى الثانية صباحاً (من منتصف الليل وحتى الواحدة والنصف يشهد له العقيد أربوثنوت. ومن الواحدة والرابع وحتى الثانية يشهد له مسؤول التذاكر) الدليل ضده: لا يوجد.

ظروف مشيرة للشك: لا يوجد.

مسؤول التذاكر بيير ميشيل، فرنسي الجنسية،  
الدافع: لا يوجد.

دفعه بالغبية عن مسرح الجريمة: منذ منتصف الليل وحتى الثانية صباحاً (رأه هيركيول بوارو في العمر في نفس الوقت الذي تحدث فيه الصوت من مقصورة رانثيت في الساعة ١٢,٣٧. من الساعة ١,٠٠ صباحاً وحتى ١,١٦ يشهد له مسؤولان آحران من مسؤولي التذاكر).

الدليل ضده: لا يوجد

ظروف مشيرة للشك: الفني الرسمي الذي عُثر عليه هو نقطة لصالحه، لأنه يبدو أن القصد من وراء ذلك هو إثارة الشك حوله.

إدوارد ماسترمان، إكتيزي الجنسية، السرير رقم ٤،  
الدرجة الثانية.

الدافع: قد يكون الدافع ناتجاً عن علاقته مع الميت، فقد كان هذا خادمه.

دفعه بالغبية عن مسرح الجريمة: من منتصف الليل وحتى الثانية صباحاً (يشهد له أنغوينيو فوسكارينلي)

الدليل ضده أو ظروف مشيرة للشك: لا يوجد. ما عدا أنه الرجل الوحيد ذو الفضول والحمية لندرس بمكانه من ارتداء زي الخطوط، وبالمقابل يُستبعد أن يتكلم الفرنسية بطلاقة.

السيدة هوبارد، أميركية الجنسية، السرير رقم ٣،  
الدرجة الأولى.

الدافع: لا يوجد.

دفعها بالغبية عن مسرح الجريمة: من منتصف الليل وحتى الثانية صباحاً: لا يوجد.

الدليل ضدها أو ظروف مشيرة للشك: فصتها حول وجود الرجل في مقصورتها مدعومة بإفادات هاردمان وإفادة السيدة شميدت.

غريتا أولسون، سويدية الجنسية، السرير رقم ١٠،  
الدرجة الثانية.

الدافع: لا يوجد.

دفعها بالغبية عن مسرح الجريمة: بين منتصف الليل والثانية صباحاً (شهادة ماري دينهام).

ملاحظة: كانت آخر من يرى رانثيت حياً.

الأميرة دراغومبروف، متجنسة بالجنسية الفرنسية،  
سرير رقم ١٤، الدرجة الأولى.

الدافع: كانت على علاقة حميمة مع عائلة أرمسترونغ، وهي إسبينة موتيا أرمسترونغ

دفعها بالغية عن مسرح الجريمة: من متصف الليل  
وحتى الثانية صباحاً (يشهد لها مسؤول التذاكر  
وخادمتها).

الدليل ضدها أو ظروف مثيرة للشك: لا يوجد.

الكونت أندرينيه، هنغاري الجنسية، جواز دبلوماسي،  
سرير رقم ١٣، الدرجة الأولى.

الدافع: لا يوجد.

دفعه بالغية عن مسرح الجريمة: من متصف الليل  
وحتى الثانية صباحاً (يشهد له مسؤول التذاكر، ولكن  
هذه الشهادة لا تغطي الفترة من الواحدة وحتى الواحدة  
والربع).

الكونتيسة أندرينيه، كما في أعلاه، السرير رقم ١٢،  
الدرجة الأولى.

الدافع: لا يوجد.

دفعها بالغية عن مسرح الجريمة: من متصف الليل  
وحتى الثانية صباحاً حين تناولت منوم الترايوتول  
ونامت (يشهد لها زوجها كما وجدت علبة ترايوتول  
في خزانتها).

العقيد آريوتنوت، بريطاني الجنسية، السرير رقم ١٥،  
الدرجة الأولى.

الدافع: لا يوجد.

دفعه بالغية عن مسرح الجريمة: من متصف الليل  
وحتى الثانية صباحاً، فقد تحدث مع ماكويين حتى

١٣٠، ثم ذهب إلى مقصورته ولم يغادرها (يشهد له  
ماكويين ومسؤول التذاكر).

الدليل ضده أو ظروف مثيرة للشك: منظم غليون.

سايروس هاردمان، أميركي الجنسية، السرير رقم ١٦،  
الدرجة الأولى.

الدافع: لا يوجد.

دفعه بالغية عن مسرح الجريمة: من متصف الليل  
وحتى الثانية صباحاً: لم يغادر مقصورته (يشهد له  
ماكويين ومسؤول التذاكر).

الدليل ضده أو ظروف مثيرة للشك: لا يوجد.

أنطونيو فوسكاريلي، أميركي الجنسية (إيطالي المولد)،  
السرير رقم ٥، الدرجة الثانية.

الدافع: لا يوجد.

دفعه بالغية عن مسرح الجريمة: من متصف الليل  
وحتى الثانية صباحاً (بشهادة إدوارد ماسترمان).

الدليل ضده أو ظروف مثيرة للشك: لا يوجد، ما عدا  
أن السلاح المستعمل قد يكون مناسباً لعقليته (برأي  
السيد بوكا).

ماري دينهام، بريطانية الجنسية، السرير رقم ١١،  
الدرجة الثانية.

الدافع: لا يوجد.

دفعها بالغية عن مسرح الجريمة: من متصف الليل

وحتى الثانية صباحاً (تشهد لها غريتا أولسون).

الدليل ضدها أو ظروف مثيرة للشك: المحادثة التي سمعها هيركيول بوارو ورفضها لتفسير هذه المحادثة

هيلدا غارد شميدت، ألمانية الجنسية، الممرور رقم ٨،  
الدرجة الثانية

الدافع: لا يوجد

الشاهد معها: من منتصف الليل وحتى الثانية صباحاً  
(يشهد لها مسؤول التذاكر وسيدتها). أوت إلى سريرها  
ثم أيقظها مسؤول التذاكر في نحو ١٢,٣٨ وذهبت  
إلى سيدتها.

ملاحظة: إن إفادات الركاب تدعمها إفادة مسؤول  
التذاكر بأنه ثم يدخل أحد إلى مقصورة السيد راتشيت  
أو يغادرها بين منتصف الليل والساعة الواحدة (عندما  
ذهب هو إلى العربة الثانية) ومن ١,١٥ وحتى الساعة  
الثانية

قال بوارو: أريدكم أن تفهموا أن هذه الوثيقة هي مجرد ملخص  
لإفادات التي سمعناها، وقد رُتبت بهذه الطريقة للسهولة.

أعادها السيد بوك وقد تغيرت قسماً وجهه وقال: إنها  
لا توضح شيئاً

قال بوارو وهو يسلمه ورقة ثانية وقد ارتسمت على وجهه  
ابتسامة بسيطة: قد تجد هذه أقرب إلى ذوقك

\*\*\*

## الفصل الثاني عشرة أسئلة

كان مكتوباً على الورقة: «أشياء بحاجة إلى توضيح»، ونحتها  
الأسئلة التالية

- ١ - المنديل المطرز بحرف «ه»، لمن هو؟
- ٢ - منظف الغليون، هل سقط من العقيد أربوثنوت؟ أم من  
شخص آخر؟
- ٣ - من التي كانت تلبس قميص النوم القرمزي؟
- ٤ - من هو الرجل (أو المرأة) الذي كان يتخفى في زي  
الخطوط؟
- ٥ - لماذا تشير عقارب الساعة إلى الواحدة والربع؟
- ٦ - هل ارتكبت الجريمة في ذلك الوقت؟
- ٧ - هل ارتكبت قبل ذلك؟
- ٨ - هل ارتكبت بعد ذلك؟
- ٩ - هل تستطيع التأكد من أن أكثر من شخص ضمن راتشيت؟
- ١٠ - ما هي التفسيرات الأخرى الممكنة لطبيعة جراحه؟

قال السيد بوك وقد تهلل وجهه قليلاً لهذا التحدي لذكائه  
دعونا نفكر ماذا نستطيع أن نفعل، ونبدأ بالمنديل. ويجب أن تكون  
مرتئين ومهجين.

قال بوارو وهو يومئ برأسه بشيء من الرضا: بالتأكيد.

تابع السيد بوك بشيء من أساليب المدرسين: إن حرف الهاء  
مرتبط بثلاثة أشخاص: السيدة هوبارد، والأنسة دينهام (حيث أن  
اسمها الثاني هو هيرميون) والخادمة هيلدا غارد شيدت.

- آه، ومن بين هؤلاء الثلاثة...؟

- بصعب القول. ولكنني أرجح أن يكون للأنسة دينهام، وربما  
تدعى عادة باسمها الثاني وليس الأول، كما أن بعض الشكوك نحوم  
حولها أيضاً؛ فالمحادثة التي سمعتها - يا صديقي - تثير الفضول بكل  
تأكيد، وكذلك رفضها لتوضيح تلك المحادثة.

قال الدكتور كونستانتين: أما أنا فأقول إنه للأميركية، فذلك  
المنديل ثمين جداً، والعالم كله يعرف أن الأميركيين لا يهتمون بما  
يدفعون.

قال بوارو: إذن فأنتما تستبعدان الخادمة؟

- نعم؛ فقد قالت هي نفسها إنه منديل يعود إلى واحدة من  
الطبقة العليا.

- السؤال الثاني عن الغليون هل سقط من العقيد آربوثنوت  
أم من شخص غيره؟

- هذا أكثر صعوبة، فأنا أميل إلى أن شخصاً قد أسقط منظف  
الغليون كي يثبهم الرجل بالأمر.

قال الطيب: كما قلت يا سيد بوارو، فإن وجود دليلين في  
وقت واحد يدل على درجة كبيرة من الإهمال. وأنا أتفق مع السيد  
بوك في أن المنديل دليل حقيقي ولذلك لم يعترف أحد بأنه له، أما  
منظف الغليون فهو دليل مضطرب. ومما يدل على صحة هذه النظرية  
أن العقيد آربوثنوت لم يظهر أي تردد في الاعتراف بأنه يدخن الغليون  
ويستعمل ذلك النوع من المنظف.

قال بوارو: إنك تحلل الأمور بشكل جيد.

تابع السيد بوك: السؤال الثالث: من هي التي كانت تلبس  
قميص النوم القرمزي؟ بالنسبة لهذا السؤال فإني أعترف بأني  
لا أملك أدنى فكرة. هل لديك أية أفكار حول هذا الموضوع  
يا دكتور كونستانتين؟

- أهدأ.

- إذن نعرف بهزيمتنا هنا. أما السؤال الثاني فله عدة احتمالات.  
من هو الرجل أو المرأة الذي تخفى بري الخطوط؟ يستطيع المرء أن  
يقول بكل تأكيد من هم الذين لا يمكن أن يكونوا قد قاموا بذلك:  
فهاردمان والعقيد آربوثنوت وفوسكاريللي والكونت أندرينيه  
طوال القامة كلهم أما السيدة هوبارد وهيلدا غارد شيدت وغريتا  
أولسون فهن عريضات النية. وبذلك يبقى لدينا الخادم والأنسة  
دينهام والأميرة دراغوميروف والكونتيسة أندرينيه. ولا أظن أن أيّاً

من هؤلاء يمكن أن يفعل ذلك؟ فعربا ونسبون من جهة ونظرون  
موسكرين من جهة أخرى يحذرون أن الأنسة دينهام والخادم لم  
يغادرا مقصورتيهما، وهيلداغارد شديدة تقسم أن الأميرة كانت  
في مقصورتها، كما يخبرنا الكونت أن زوجته تناولت شراباً منوماً،  
ولهذا يبدو من المستحيل أن يكون أيّ منهم هو ذلك الشخص.  
وهذا أمر غريب جداً.

قال الدكتور كونستانتين: لا بد من أن يكون أحد هؤلاء  
الأربعة، إلا إذا كان شخصاً من الخارج واستطاع أن يجد مكاناً يختبئ  
فيه. وهذا - كما اتفقنا - مستحيل.

تابع السيد بوك إلى السؤال الثاني على الخامسة رقم ٥ لماذا  
نشير عقارب الساعة المحضمة إلى الواحدة والربع؟ أرى أن ذلك  
تفسيرين: فإما أن يكون القاتل قد فعل ذلك ليبعد عن نفسه التهمة  
في ذلك الوقت ثم حيل بينه وبين مغادرة المقصورة بعد ذلك عندما  
سمع أشخاصاً يتحركون. أو... انظروا، جاءتني فكرة!

انظر الآن الأخران باحترام بينما كان ذهن السيد بوك يجاهد  
للعثور على الحل، وأخيراً قال: وجدتها! لم يكن القاتل المتخفي  
يزي الخطوط هو الذي عبث بالساعة، وإنما الشخص الذي أسبغ  
القاتل الثاني! الشخص الأعسر الذي يستعمل يده اليسرى... أو - إذا  
شئت - امرأة ذات فمبص الثوء الخرموي ثم وصلت لاحقاً بحركة  
عذراء الساعة إلى نور، كي يتسنى لها أن تلت وحودها في مكان  
آخر في ذلك الوقت.

قال الدكتور كونستانتين عظيم: فكرة أحسنت نحملها

قال بوارو: في الواقع لقد قامت بطعنه في الظلام من دون أن  
تدرك أنه كان ميتاً، ولكنها استنتجت - بطريقة ما - أن لديه ساعة في  
جيب سترة نومه، فأخرجتها وأعادت العقارب إلى الخلف دون أن  
تري وكسرتها.

نظر السيد بوك نحوه ببرود وسأل: ألدبك فكرة أفضل  
تفترجها؟

اعترف بوارو: "في هذه اللحظة؟ لا". ثم تابع كلامه: على أية  
حال لا أظن أن أباً منكما يدرك أهم نقطة في موضوع الساعة.

سأل الطبيب: وهل يحدد السؤال رقم ٦ ماهية تلك النقطة؟  
ثم أضاف: بالنسبة للسؤال: هل ارتكبت الجريمة في ذلك الوقت  
(أي الواحدة والربع) فإن جوابي هو: لا.

قال السيد بوك: أوافقك الرأي. والسؤال التالي: هل ارتكبت  
الجريمة قبل ذلك؟ وأنا أقول نعم. ماذا ترى يا دكتور؟

هو الطبيب رأسه موافقاً وقال: نعم، ولكن نستطيع أن نجيب  
بالإيجاب أيضاً على السؤال: هل ارتكبت الجريمة بعد ذلك؟ إنني  
أتفق مع نظريتك يا سيد بوك، كما يتفق معها السيد بوارو برأيي،  
رغم أنه لا يود أن يلزم نفسه بشيء. دخل القاتل الأول قبل الواحدة  
والربع ودخل القاتل الثاني بعد الواحدة والربع. أما بالنسبة لموضوع  
استخدام اليد اليسرى، أما كان علينا أن نتخذ إجراءات للتأكد من  
الركاب الذين لا يستخدمون سوى أيديهم اليسرى؟

قال بوارو: لم أغفل هذه النقطة كلياً، وربما لاحظتم أنني

طلبت من كل راكب إما أن يوقع أو أن يكتب عنوانه، وهذا ليس دليلاً قطعياً لأن بعض الناس يقومون ببعض الأعمال مُستخدِمين اليد اليمنى وبعضها الآخر باليد اليسرى، وبعض الناس يكتبون باليمين مثلاً، ولكنهم يلعنون الغولف باليسرى، ولكن لا نستطيع أن نستبعد تماماً ما استنتجناه من أن كل من سألته أخذوا القلم وكتبوا باليمين ما هذا الأميرة دراغوميروف التي رفضت أن تكتب.

قال السيد بوك: الأميرة دراغوميروف؟ مستحيل.

قال الدكتور كونستانين مشككاً: أشك في أن تكون لديها القوة لإحداث ذلك الجرح الذي نتج عن طعنة يد يسرى. لقد استخدمت قوة كبيرة لإحداث ذلك الجرح.

- قوة أكبر مما تستطيع امرأة أن تستخدمها؟

- لا، لن أقول ذلك. ولكن قوة أكبر من تلك التي تملكها امرأة متقدمة في السن، كما أن بُنية الأميرة دراغوميروف بالذات واهنة.

قال بوارو: قد تكون المسألة مسألة رجحان الذهن على القوة الجسدية، فالأميرة دراغوميروف ذات شخصية قوية جداً وإرادة عظيمة، ولكن دعونا نترك هذا الأمر الآن.

قال الطبيب: إلى السؤالين ٩ و١٠: هل نستطيع أن نكون متأكدين من أن راتشيت قد طُعن من قِبل أكثر من شخص، وما هو التفسير الآخر الممكن وراء اختلاف الطعنات؟ في رأيي ومن وجهة النظر الطبية لا يوجد أي تفسير آخر لتلك الحراح لا يمكن أن يقوم شخص بطعن آخر بضمفٍ أولاً ثم بعنف، وباليد اليمنى أولاً ثم

باليسرى، بعد مرور بعض الوقت الذي ربما امتد إلى نصف ساعة بحيث يطعن شخصاً ميتاً... إن ذلك منافي للمنطق.

قال بوارو: نعم، إنه منافي للمنطق. ولكن هل نظن أن نظرية وجود قاتلين اثنين هي نظرية منطقية؟

- كما قلت أنت بنفسك: ما هو التفسير الآخر وراء ذلك؟

حدف بوارو أمامه وقال: هذا ما أسأل نفسي عنه، وهذا ما لم أتوقف عن سؤالي.

ثم انكأ إلى الخلف في كرسيه وريت على جبهته وقال: من الآن فصاعداً كل شيء هنا! لقد قمنا جميع الأمور، والحقائق واضحة أمامنا ومرتبطة ومنظمة بشكل منطقي؛ فلقد جلس الركاب هنا واحداً وراء الآخر وأدلوها بإفاداتهم، ونحن نعرف كل ما يمكن معرفته... من الخارج.

ثم ابتسم ابتسامة حانية في وجه السيد بوك وقال: لقد كانت نكتة قديمة تنذر بها حول الجلوس والتفكير بالحقيقة، أليس كذلك؟ حسناً، سأضع نظرتي موضع التنفيذ هنا أمامكم، ويجب أن نفعلوا الشيء نفسه، دعونا نغلق أعيننا نحن الثلاثة ونفكر...

هل قام واحد من الركاب أو أكثر بقتل راتشيت؟ وأي منهم؟

• • •



كبرياء وحساسون جداً في مسألة كرامتهم. سيجعلون من هذا الأمر قضية كبرى، إذ ليس من المعتاد أن تمنح لهم فرصة كهذه، وسوف يُنشر الأمر في جميع الصحف...

بعد ذلك شَرَدَت أفكار السيد بوك إلى أمور أخرى بعيدة مسوّلة التفكير بها مئة مرة.

أما أفكار الدكتور كونستانتين فقد دارت على النحو التالي: إن هذا الرجل الضئيل عجيب أمو عبقرى أم مجنون؟ هل سيجل هذه القضية الغامضة؟ مستحيل. فأنا لا أرى لها حلاً. إنها مُحيرة جداً. قد يكون الجميع كاذبين، ولكن حتى هذا الاحتمال لا يُشكل عزاء؛ فلو كانوا كاذبين جميعاً لكان ذلك محيراً كما لو كانوا صادقين جميعاً. إن تلك الحراج عريّة ولا نستطيع أن نفهم كد الأمر أسهل فهماً لو أنه قل رديصا ص على الطريقة الأميركية، فهي طريقة لا خلاف فيها. إن أميركا بلد غريب، وأنا أود أن أذهب إلى هناك، فهي بلاد البدع والأفكار الجديدة...

ثم مضت أفكاره إلى أمور خاصة جداً.

أما هيركيول بوارو فقد جلس ثابتاً لا يتحرك، بل كان من شأن من يراه أن يظنه نائماً.

ثم فجأة، وبعد ربع ساعة من السكون الكامل، بدأ حاجباه يتحركان ببطء على جبهته وتنهّد قليلاً وتمتم في نفسه: ولكن لِمَ لا؟ وإذا كان الأمر كذلك، فمن شأنه أن يفسر كل شيء.

انفتحت عيناه وكأننا خضراوين كعيني القط، وقال بهدوء:

## الفصل الثالث

### بعض النقاط ذات المغزى

مضت ربع ساعة كاملة قبل أن يتكلم أحد. بدأ السيد بوك والدكتور كونستانتين بمحاولة اتباع تعليمات بوارو في النظر عميقاً في النقاط المتناقضة والمبهمة للخروج بحل واضح وصحيح.

وكانت أفكار السيد بوك تدور كالآتي: من المؤكد أنني يجب أن أفكر. ولكنني فعلت ذلك مراراً. من الواضح أن بوارو يرى أن الفتنة الإنكليزية متورطة في هذه القضية، ولا أملك إلا أن أشعر بأن ذلك مستبعد جداً؛ فالإنكليز شديدو البرود، ونعل ذلك عائد إلى مبالغتهم في التحسب... ولكن هذه ليست المشكلة، إذ يبدو مستبعداً أن يكون الإيطالي قد فعلها، وهو أمر مؤسف.

لا أحسب الخادم الإنكليزي كذب عندما قال إن زميله الإيطالي لم يغدر المقصورة. ولماذا يكذب؟ أسأل مني سجنصر من كل هذا. لا بد من أن أعمالاً تتم لإنقاذنا من الثلوح، إنهم بطيئون جداً في هذه البلاد... تمضي ساعات قبل أن يفكر أحد بالقيام بعمل ما إن التعامل مع الشرطة في هذه البلاد بشير الأعصاب، فهم يشتفخون

حسناً، لقد فكرت، فماذا عنكما؟

كان الرجلان مستغرقين في التفكير فجثلا كثيراً، وقال السيد بوك بشيء من الشعور بالذنب: لقد فكرت أنا أيضاً ولكنني لم أصل إلى نتيجة. إن فكّ ضلالم الجرائم من اختصاصك يا عزيزي لا من اختصاصي أنا.

وقال الطبيب: لقد فكرت أنا أيضاً بكل حذبة؛ فكرت بنظريات عديدة ممكنة، ولكن أيّ منها لم يرصبي.

أوماً بوارو برأسه بود. وكان إيماءته تقول: تماماً؛ هذا هو الشيء الصحيح الذي يجب أن تقولاه. لقد أعطيتكما طرف الخيط الذي توقعته!

اعتدل في جلسته نافخاً صدره وعبث بشايبه، ثم بدأ يتكلم بأسلوب الخطيب المتمرس الذي يخاطب جمهوراً من الناس: لقد راجعت الحقائق في ذهني يا صديقي، وراجعت كذلك إفادات الركاب، وخرجت بالنتيجة التالية: إنني أرى تفسيراً معيناً ما زال في طور التكوين، ولكن من شأنه أن يفسر الحقائق التي نعرفها. إنه تفسير غريب جداً، ولا أستطيع أن أجزم -بعد- بأنه التفسير الصحيح، ولكي أكتشف ذلك بشكل قاطع عليّ القيام ببعض التجارب.

أودّ، في البداية، أن أذكر بعض الحقائق التي تبدو لي ذات معنى. ولنبدأ أولاً بتعريف فته لي السيد بوك في هذا المكان نفسه عندما تدول أول عدايت معاً على القطار. لقد علق على حقيقة أن محاطون بأناس من مختلف الطبقات والأعمار والجنسيات، وهذه

حقيقة نادرة بعض الشيء. في مثل هذا الوقت من السنة، فمرت أثبت باريس وبوخارست. باريس حاليّتان تقريباً مثلاً. ويجب أن نتذكر أيضاً الركاب الذي لم يأت؛ هنا أرى ذلك مهماً. ثم خدوا بعض النقاط الصغيرة التي بدت لي موحية، وأذكر منها -مثلاً- وضعية حقيبة حمام السيدة هوبارد، واسم أم السيدة أرمسترونغ، وأسلوب التحري لدى السيد هاردمان، واقترح السيد ماكوين بأن راتشيت هو الذي أحرق الورقة التي رأينا بقاياها، والاسم الأول للأميرة دراغومبروف، وبقعة الدهن على جواز السفر الهنغاري.

حذق إليه الرجلان، فسألها بوارو: هل توضح لكما هذه النقاط شيئاً؟

قال السيد بوك بصراحة: لا شيء أبداً.

- والسيد الطبيب؟

- لا أفهم شيئاً مما تقول.

في تلك الأثناء اغتنم السيد بوك فرصة استيعابه لنقطة ملموسة وحيدة مما ذكره صديقه وبدأ يبحث في جوازات السفر، ثم التقط جواز سفر الكونت والكوتيسبة أندرينيه وفتحه.

- هل هذا ما تعنيه؟ هذه البقعة القذرة؟

- نعم؛ إنها بقعة دهن حديثة نوعاً ما. ألاحظ أين مكانها؟

- في بداية أوصاف زوجة الكونت، وعلى اسمها الأول بالقبض، ولكنني أعترف لك بأنني ما زلت لا أفهم شيئاً.

- سأبحث لموضوع من زاوية أخرى فلنعد إلى المنديل الذي  
وُجد في مسرح الجريمة. فكما قلنا سابقاً يوجد ثلاثة أشخاص  
يرتبط أسمائهم بحرف الهاء وهم السيدة هوبارد ولأسة دبسم  
والخدمة هينداعارد شميدت حسناً دعونا نناقش أمر المنديل  
من زاوية أخرى إنه منديل نمس يا صديقي، إنه من النوع المدحرج  
وهو مصنوع باليد ومفروز في باريس، فإذا استبعدنا مسألة الحرف،  
من بين الراكبات يمكن أن تمتلك مثل هذا المنديل؟ ليست السيدة  
هوبارد، وهي امرأة غنية ولكنها لا تنس إلى الشرف انصباغ به في  
مسألة الملابس. وليست لأسة دبسم، فمثل هذا النوع من النساء  
لا كبيريات يشترين منديل فضية عادية وليس منديلاً نمس قد حصل  
نفسه إلى مثني فروث، ولناكيد ليست الخدمة ولكن عرس غطار  
مراتب يمكنهم أن يمتلكوا مثل هذا المنديل. قد عوب بغيره كان  
بإمكاننا أن نجد علاقة بين أي منهما وبين الحرف هذا وهذا  
المرأتان هما الأميرة دراغوميروف...

فاطمة السيد بوك باستهزاء: واسمها الأول نالبا.

- تماماً، واسمها الأول (كما قلت قبل قليل) يوحى بالكثير  
بكل تأكيد. والمرأة الأخرى هي الكونتيسة أندرينيه، وفوراً نفكر فكرة  
ما إلى أذهانتنا...

- بل إلى ذهك أنت!

- حسناً إلى ذهني أنا. إن اسمها الأول على جواز السفر مغضى  
بقعة من الدهن. قد يقول قائل أنها مجرد صدفة، ولكن فكروا في  
اسمها الأول: إيليتا. لنفترض أنه هيلينا بدلاً من إيليتا، إذ يمكن

بسهولة تحويل حرف لائف الأولى إلى هاء ثم توصل بقعة الدهن  
تغطي على المعدن.

صاح السيد بوك: هيب! هذه فكرة عظيمة.

- إنها فكرة عظيمة حقاً! وبعد ذلك بحثت عن دليل يؤكد هذه  
الظيفة، مهما كان بسيطاً وقد وجدته. فقد كان أحد ملصقات  
جذب الكونتيسة مدلاً قليلاً، وقد صدف أنه ألصق على الحرف  
الأول من اسمها في أعلى الحففة، وقد تم تبلييل ذلك الملصق ونزعه  
ووضعه في مكان مختلف

قال السيد بوك لقد بدأت تقنعني، ولكن من المؤكد أن  
الكونتيسة أندرينيه

- أه! والآن يا عزيزي يجب أن تدور ونبحث لموضوع  
من زاوية مختلفة تماماً كيف أريد لهذه الجريمة أن تظهر للجميع؟  
لا نسيب أن التلوح أجهضت كل الحطة الأصلية للقاتل دعونا ننخل  
للمحفة أن التلوح غير موجودة وأن القطار استمر في سيره كما ينبغي،  
فماذا كان سيحدث؟ فنقل إن الجريمة كانت ستكتشف غالباً هذا  
الصاح أيضاً عند الحدود الإيطالية، وإن كثيراً من هذه الأدلة نفسها  
سيتمنى للشرطة الإيطالية. كان من شأن السيد ماكوين أن يقدم رسائل  
التهديد نفسها، ومن شأن السيد هاردمان أن يبلغهم بقصته نفسها،  
ومن شأن السيدة هوبارد أن تنهف على إخبارهم كيف مر رحل عبر  
مقصورتها، وكان سيتم العثور على المرأ أظن أن من شأن شينين اثنين  
فقط أن يكونا مخنمين، وهذا أن الرجل كان سيمر عبر مقصورة  
السيدة هوبارد قبل الواحدة بقليل، وأن ري الخطوط الرسمي كان

سيعثر عليه مرمياً في أحد الحمامات.

- أنت تعني.

- أعني أن الجريمة كان مخططاً لها أن تبدو وكأنها عمل رجل

من الخارج؛ حيث سيُفترض أن القاتل قد عادر القطار في محطة  
برود التي كان مقرراً أن يصلها القطار في الساعة الواحدة إلا دقيقتين  
وربما كان من شأن شخص ما أن يمر أمام مسؤول تذاكر غريب  
في الممر، وكان الزوي سيترك في مكان ظاهر لكي يظهر بوضوح  
كيف تمت الحيلة. عندها لا يمكن أن يُشك بأي من الركاب، وهذه  
- يا صديقي - هي الكيفية التي أريد لهذه الجريمة أن تظهر بها أمام  
العالم الخارجي. إلا أن ما حدث للقطار سبب الفجوة غير كل شيء،  
وأظن أن هذا هو السبب الأول وراء مكوث القاتل مع ضحيته لهذه  
المدة الطويلة؛ فقد كان ينتظر أن يستمر القطار في سيره، إلا أنه  
أدرك - أخيراً - أن القطار لن يتحرك وأن عليه التفكير بخطة مختلفة،  
إذ سيعرف الآن أن القاتل ما زال في القطار.

قال السيد بوك وقد نفذ صبره: نعم، نعم؛ أنهم ذلك. ولكن

ما هو موقع المندبل من كل هذا؟

- سأعود إلى المندبل بطريق دائري نوعاً ما. يجب أن تدركوا

- في البداية - أن رسائل التهديد كانت تمويهاً، وربما تكون قد  
نُسخت من قصة بوليسية أميركية. إنها ليست حقيقية، بل كان القصد  
منها تصليل الشرطة فقط. إن ما يجب أن نسأله أنفسنا هو: هل جدعت  
تلك الرسائل راتشيت؟ ظاهرياً يبدو أن الجواب هو "لا"، فتعليماته  
إلى هاردمان تبدو أنها تُشير إلى عدو "خاص" كان راتشيت يدرك

هويته، هذا إذا قبلنا قصة هاردمان على أنها الحقيقة. إلا أن راتشيت  
استلم رسالة واحدة مختلفة تماماً، وهي التي تحتوي على ذكر لنظفلة  
آرمسترونغ. والتي رأينا جزءاً محترقاً منها في مفسورته. فإذا ما كان  
راتشيت قد فشل في فهم الأمر بسرعة فإن الهدف من الرسالة كان  
التأكد من أنه فهم السبب وراء تهديد حياته. وكما كنت أقول دوماً،  
لم يكن مقررًا لتلك الرسالة أن تُكشف وكان الهم الأول للقاتل هو  
أن يتخلص منها، ولذلك كان هذا هو الخطأ الثاني في خطته. الأول  
كان الشك، والثاني هو تمكينا من قراءة ما كُتب في تلك القصاصة.  
إن التخلص من الرسالة بهذه العادة لا يمكن إلا أن يعني شيئاً واحداً  
فقط، وهو لا بد وأن على متن القطار شخصاً يرتبط بعلاقة حميمة  
مع عائلة آرمسترونغ لدرجة أن المصور على تلك الرسالة من شأنه أن  
يعرض ذلك الشخص للشك فوراً. والآن نأتي إلى الدليلين الآخرين  
الذين عثرنا عليهما. سوف أتجاوز عن منظف الغليون، فقد تحدثنا  
سما فيه الكفاية، ولنبحث في موضوع المندبل، فنو بظننا إلى الأمر  
بشكل مبسط لقلنا إنه يدين شخصاً أول حرف من اسمه هو "هـ" وإنه  
سقط من ذلك الشخص بلا قصد.

قال الدكتور كونستانتين: تماماً، ثم اكتشفت أنها أسقطت  
المندبل فاتخذت فوراً الخطوات اللازمة لإخفاء اسمها الأول.

- ما أسرعك! إنك تقفز إلى النتائج بأسرع مما أسمع لنفسني  
بذلك.

- هل من بديل آخر؟

- بالتأكيد. افترض - مثلاً - أنك ارتكبت جريمة وتود أن تلصق

التهمة بشخص آخر، ويوجد على القطار شخص ذو علاقة حميمة بعائلة أرمسترونغ، وهذا الشخص امرأة. ولنفرض أنك تركت مندبلا يعود إلى تلك المرأة، سيتم التحقيق معها وسيكتشف ارتباطها بعائلة أرمسترونغ... ويا تلنصر! فالدافع هناك، وهناك دليل يثبت التهمة.

اعترض الضيب قائلاً: ولكن في هذه الحالة، بما أن المرأة المشار إليها بريئة فإنها لن تتخذ خطوات لإخفاء هويتها.

- ... حقاً؟ أهذا ما تظنه؟ في الواقع هذا هو رأي محاكم الشرطة أيضاً. ولكنني أعرف الطبيعة البشرية يا صديقي، وأؤكد لك بأن أكثر الناس براءة من شأنهم فقدان صوابهم وارتكاب أسخف التصرفات عندما تواجههم فحاة إمكانية محاكمتهم بتهمة القتل كلاً... إن بقعة الدهن وتغيير ملصق الحقيقة لا يثبتان الذنب، بل يشنان أن الكونتيسة أندرينه حريصة على إخفاء هويتها لسبب ما.

- وما هي - برأيك - العلاقة التي تربطها بعائلة أرمسترونغ؟ فهي تقول إنها لم تذهب إلى أميركا

- بالضبط، فهي تتكلم إنكليزية ركيكة ولها مظهر أجنبي بالغ في إظهاره. ولكن لن يكون صعباً تخمين من تكون. ذكرت - قبل قبل - اسم والددة السيدة أرمسترونغ، إنها ليندا آردن، وقد كانت ممثلة مشهورة، وممثلة شكسبيرية أيضاً. فكراً بمسرحية «كما تحنها» و«غابة آردن وروزالين»... لقد أخذت اسمها الفني من اسم تلك الغابة. إن اسم ليندا آردن (الذي عرفت به في جميع أنحاء العالم) لم يكن اسمها الحقيقي، وربما كان اسمها غولدنبرغ. ومن المحتمل جداً أن تكون دمر وسط أوروبا في عروقتها! فقد ذهبت جنسيات عديدة

إلى أميركا. واقترح عليكما - يا سيدي - أن تكون الأخت الصغرى للسيدة أرمسترونغ (والتي كانت أكبر من طفلة بقليل وقت حدوث المأساة) هي هيلينا غولدنبرغ... الابنة الصغرى لليندا آردن، وأنها قد تزوجت الكونت أندرينه عندما كان ملحقاً في واشنطن.

- ولكن الأميرة دراغوميروف تقول إنها تزوجت رجلاً إنكليزياً.

- رجلاً إنكليزياً لا تذكر الأميرة اسمه! إنني أسألكما يا صديقي: هل يُعقل هذا؟ لقد أحبت الأميرة دراغوميروف الممثلة ليندا آردن كما تحب السيدات العظيمات الممثلات العظيمات، وقد كانت إشيينة لواحدة من بناتها، فهل يمكن أن تنسى بهذه السرعة اسم زوج الابنة الأخرى؟ هذا مستبعد تماماً. نعم! أظننا نستطيع القول إن الأميرة دراغوميروف كانت تكذب. لقد عرفت أن هيلينا على متن هذا القطار! فقد رأتها، وأدركت فوراً - حالما سمعت من هو راتشيت حقاً - أن هيلينا ستكون موقع شبهة، ولذلك عندما سألتها عن الأخت كذبت فوراً وبغموض قائلة إنها لا تتذكر ولكنها... نظن أن هيلينا تزوجت رجلاً إنكليزياً - وهي ملاحظة أبعد ما تكون عن الحقيقة.

دخل أحد مضيفي المطعم عبر الباب الموجود في نهاية العربة واقترب منهم وخاطب السيد بوك قائلاً: هل تقدم العشاء يا سيدي؟ إنه جاهز منذ مدة.

نظر السيد بوك نحو بوارو فأوما الأخير برأسه موافقاً وقال: طبعاً، طبعاً. قدموا العشاء.

اختفى النادل عبر الباب الآخر، وسرعان ما سُمع صوت جرسه  
بقرع وصوته يعلو منادياً بعدة لغات: العشاء جاهز... العشاء جاهز.



## الفصل الرابع

### بقعة دهن على جواز سفر هنغاري

اشترك بوارو في طاولة مع السيد بوك والطبيب. وكان الناس  
المجتمعون في العربة هادئين فلم يتكلموا إلا قليلاً، حتى السيدة  
هوبارد الثرثارة كانت هادئة على غير العادة، وقد تمتعت فيما كانت  
تجلس: "إنني لا أشعر برغبة في تناول شيء..." ثم تناولت شيئاً  
يسيراً من كل ما عُرض عليها بتشجيع من السيدة السويدية التي بدت  
وكانها تعتبر السيدة هوبارد إحدى مسؤولياتها.

قبل أن يبدأ بتقديم الوجبة، كان بوارو قد أمسك برئيس  
الندلاء من كُمه وتمتم له شيئاً، وقد ختم كونسنتين فحوى ما قاله  
بوارو للنادل، إذ لاحظ أن النادل حرص على التأخر في خدمة  
الكونت والكونتيسة أديرنيه، وأنه تأخر في نهاية الوجبة في تقديم  
الفاخرة لهما. لذلك كان الكونت والكونتيسة آخر من بقي في عربة  
المطعم.

وعندما نهضا أخيراً وتوجها نحو الباب نهض بوارو بسرعة  
وتبعهما قائلاً: معذرة يا سيدتي، لقد أسقطت متدبلك.

كان يمدّ يده بمتدليل صغير مربع طوّز عليه الحرف «هـ».  
أخذته ونظرت إليه ثم أعادته إلى بوارو قائلة: أنت مخطف يا سيد؟  
به نيس مدينتي

ليس مدينتك؟ هن أنت متأكدة؟

متأكدة تماماً يا سيد

- ولكنّه يحمل أول حرف من اسمك يا سيدتي؟ حرف  
الهاء.

بدرت حركة مفاجئة من الكونت إلا أن بوارو أهمله وبقيت  
عياء تحدقان إلى وجه الكونتيسة، فنظرت إليه بشات وأجابت.  
لا أفهمك يا سيد؟ إن أول حرف من اسمي هو الألف.

- لا أظن ذلك. إن اسمك هينيد وليس إيبب هينيد  
غولدنبيغ الابنة الصغرى ثلثدا آردن، هيلينا غولدنبيغ أخت السيدة  
آرمسترونغ.

ساد صمت ثقيل لبرهة. وتحول لون كل من الكونت  
والكونتيسة إلى شياص. وقال بوارو بصوت نظيف: إن الإنكار  
لا يفيد. إنها الحقيقة، أليس كذلك؟

انفجر الكونت بحدّة: إنني أطلبك يا سيد، بأي حق...

ولكن زوجته قاطعته بأن وضعت يدها الصغيرة باتجاه فمه  
قائلة: لا يا رودلف. دعني أتكلم؟ فمن غير المفيد أن أنكر ما فاتته  
هذا السيد. من الأفضل أن تجلس وتكلم في الموضوع.

كان صوتها قد تغير، ورغم احتفاظه بنبرة الجنوب الغنية إلا أنه  
أصبح - فجأة - أكثر وضوحاً وحسماً، وبدأ لأول مرة صوتاً أميركياً  
صرفاً

أطاع الكونت إشارة يدها وظل صامتاً، وجلساً جنباً إلى جنب  
مقابل بوارو، ثم قالت الكونتيسة: إن كلامك صحيح جداً يا سيد.  
أنا هيلينا غولدنبيغ؛ الأخت الصغرى للسيدة آرمسترونغ.

- ونكتك لم تطلعيني على هذه الحقيقة في الصباح يا سيدتي  
الكونتيسة.

- نعم

- في الواقع إن كل ما أخبرتماني به أنت وزوجك كان مجرد  
كذب.

صاح الكونت غاضباً: يا سيد...

- لا تغضب يا رودلف، فرغم أن السيد بوارو يقول الحقيقة  
بصورة قاسية، إلا أنه لا سبيل للإنكار ما يقول.

- أنا سعيد بأنك تعترفين بالحقيقة بهذه السرعة يا سيدتي. هلاً  
أخبرتني الآن عن السبب؟ وكذلك لماذا غيرت اسمك الأول في  
جواز السفر؟

قال الكونت: أنا المسؤول تماماً عن ذلك التغيير.

قالت هيلينا بهدوء: من المؤكد - يا سيد بوارو - أنك تستطيع

أن تُختمن مبروي لذلك... بل مبرونا. إن هذا الرجل الذي قُتل هو الشخص الذي قتل ابنة אחتي الطفلة، والذي قتل אחتي، والذي حصم قلب زوج אחتي، الأشخاص الثلاثة الذين أحسنهم أكثر من أي شيء في هذه الدنيا، والذين كانوا بيتي... وكانوا عالمي!

ارتفع صوتها برنة عاطفية، وبدت -بحق- ابنة أمها التي كانت لغوة العاطفة لتمثيلها تنير عواطف الجماهير الصغيرة، ثم مصت في هدوء أكثر. من بين جميع الناس في القطار ربما أكون الوحيدة التي لدي أكبر دافع لقتله.

- ألم تقليه يا سيدتي؟

- أقسم لك يا سيد بوارو (وزوجي يعرف ذلك وسوف ينسم أيضاً) أنني لم أرفع عليه يداً، رغم كل ما قد يشدني لفعل ذلك.

قال الكونت: وأنا أيضاً -يا سادة- أقسم لكم بشرفي أن هيبه لم تغادر المقصورة لبلة أمس. لقد تناولت متوماً كما قلت تماماً. وهي بريئة تماماً.

تقلت نظرات بوارو بينهما، فيما كثر الكونت: أقسم لكم بشرفي.

هز بوارو رأسه قليلاً وقال: ورغم ذلك تعمدت تغيير الاسم في جواز السفر!

تكلم الكونت بصدق وعاطفة قائلاً: فكنز في وضعي يا سيد بوارو. أظن أنني كنت أستطيع أن أحتمل سحب زوجتي إلى مستنقع

فضية بوليسية قدرة. إنها بريئة، وأنا واثق من ذلك. ولكن ما قالته صحيح، فارتباطها بعائلة آمسترونغ سيجعلها موضع شك فوراً. كنت ستعرض للتحقيق وربما للاعتقال، ولأن صدقة سيئة وضعتنا على نفس لقطار الذي سافر به هذا الرجل واتشيت فقد شعرت بأنني لا أمنك إلا خياراً واحداً. إنني أعترف لك بأنني كذبت عليكم جميعاً. إلا في شيء واحد، وهو أن زوجتي لم تغادر مقصورتها أبداً لبلة أمس.

تكلم بجدية بصعب معها رفض كلامه. فرد بوارو ببطء قائلاً: لا أقول إنني أكذب يا سيدي؛ قلنا أعلم أن عائلتك عريقة ذات كبرياء، وسنجد مراة حقاً لو غرقت روحك في قضية جنائية بشعة. نستطيع أن أتعاطف مع هذا الاعتبار، ولكن كيف تفسر وجود مندبل زوجتك في مقصورة الرجل الميت؟

قالت الكونتيسة: هذا المندبل ليس لي يا سيد.

- على الرغم من وجود حرف الهاء؟

على الرغم من وجود الحرف، إن مناديلي شبيهة به، ولكنها ليست بنفس النعشة أعلم -بالطبع- أنني لا أتوقع أن تصدقني، ولكنني أؤكد لك أن الأمر كذلك: إن هذا المندبل ليس لي.

أيمكن أن يكون أحدهم قد وضعه هناك لينم تجربتك؟

ابنمت قليلاً وقالت: أنت تريد حملي على الاعتراف بأنه لي، ولكنه صدقاً ليس لي يا سيد بوارو.



تكلمت بثقة عظيمة، فقال: إذا لم يكن هذا المندبل لك إذن،  
فلِمَ غيرتما الاسم في جواز السفر؟

أجاب الكونت قائلاً: لأننا سمعنا أنه قد عُثر على مندبل عنبه  
الحرف «ه» فناقشنا الموضوع قبل أن تتم مقابلتنا وأوضحت لهيلينا  
أنه حالما يُعرف أن اسمها الأول يبدأ بهذا الحرف فإنها ستعرض  
لتحقيق شديد، كان الأمر سهلاً للغاية، وهو أن نغير اسم هيلينا إلى  
إيب.

عُثِّق بوارو بجفاء: إن لديك -يا سيدي الكونت- مواهب  
لا تتوفر إلا لمجرم محنك! عبقرية طبيعية كبيرة وعزم شديد على  
إعاقه العدالة.

مالت الفتاة إلى الأمام وقالت: آه، لا، لا، لقد أوضح لك  
دواعي أفعالي يا سيد بوارو.

ثم عبرت كلامها من الفرنسية إلى الإنكليزية وقالت: لقد كنت  
خائفة. خائفة جداً ألا تفهم؟ لقد كانت التجربة الأولى فطبعة في  
ذمت لوقت، ولا أحتمل أن تُثار آلامها من جديد ولا أن يتم اتهامي  
وربما زجني في السجن. لقد كنت خائفة جداً يا سيد بوارو، هذا كل  
ما في الأمر. ألا تفهم ذلك أبداً؟

كان صوتها جميلاً وعميقاً وغنياً ومتوسلاً... صوت ابنة الممثلة  
ليندا آردن.

نظر بوارو إليها بجديّة وقال: إذا كان لي أن أصدقك يا سيديتي  
(ولا أقول إنني لن أفعل) فيحب عليك أن تساعديني

- أساعدك؟

- نعم. إن سبب الجريمة يكمن في الماضي... في تلك المأساة  
التي حضمت بينت. عودي معي إلى الوراء -يا سيديتي- فنعلي أجد  
العلاقة التي تربط هذه الأشياء جميعاً.

قالت بأسى: وماذا عندي لأخبرك به؟ لقد ماتوا جميعاً... ماتوا  
جميعاً... ماتوا جميعاً... روبرت، وسونيا، وديزي العزيزة الغالية.  
كانت جميلة وسعيدة وذات خصلات شعر مجمدة جميلة، وكنا كلنا  
نقيم حباً بها.

- كانت هناك ضحية أخرى يا سيديتي... ضحية غير مباشرة  
إذا صح التعبير؟

- سوزان المسكينة؟ نعم، لقد نسيت أمرها. استجوبها  
الشرطة. إذ كانوا على قناعة بأن لها علاقة بالأمر، ربما كانت لها  
علاقة، ولكنها علاقة بريئة، أظن أنها تحدثت ببراءة مع شخص  
ما عن مواعيد حروح ديري، ولقد عانت المسكينة كثيراً واعتقدت  
أنها تعتبر مسؤولة عن الحادث.

ارتعشت ثم أضافت: ثم رمت بنفسها من النافذة، آه! لقد كان  
الأمر فظيماً. ثم غطت وجهها يديها.

- ماذا كانت جنسيتها يا سيديتي؟

كانت فرنسية

- وماذا كان اسمها الأخير؟

- هذا غريب، ولكنني لا أستطيع أن أتذكر. كنا جميعاً نناديها  
سوزان. لقد كانت فتاة مريحة جداً، وكانت متعلقة بديزي

- كانت خادمة الطفلة، أليس كذلك؟

- بلى.

- ومن كانت المربية؟

- كانت المربية ممرضة متدربة من أحد المستشفيات، وكان  
اسمها ستينغليبرغ. وكانت هي الأخرى متعلقة بديزي... وبأختي.

- والآن يا سيدتي، أريدك أن تفكري ملياً قبل أن تجيبي  
عن هذا السؤال: منذ صعدت على هذا القطار، هل رأيت أحداً  
تعرفينه؟

حدقت إليه وقالت: أنا؟ لا، لا أحد أبداً.

- وماذا عن الأميرة دراغوميروف؟

- آه! هي؟ إنني أعرفها بالطبع. ظننت أنك تعني أي أحد...  
أي أحد من... من الماضي.

- هذا ما عنيته يا سيدتي. والآن فكري بعناية وتذكري أنه مرّت  
سنوات على تلك المأساة، وربما يكون منظر الأشخاص قد تغير  
قليلاً.

فكرت هيلينا بعينيه قائلة: لا، أنا متأكدة... لا يوجد

أحد

- أنت أيضاً كنت فتاة صغيرة في ذلك الوقت. ألم يكن عندك  
أحد يرعى شؤونك أو يشرف على دراستك؟

- آه! بلى. كانت لديّ مربية فظيعة، وكانت في نفس الوقت  
سكربتيرة لسونيا. كانت إنكليزية، امرأة ضخمة ذات شعر أحمر.

- ماذا كان اسمها؟

- الأنسة فريودي.

- هل كانت شابة أم مسنة؟

- بدت مسنة جداً بالنسبة لي، ولكن لا أظن أن عمرها كان  
يزيد عن الأربعين. وبالطبع كانت سوزان تهتم بملايستي وتخدمني.

- ألم يكن في المنزل موظفون آخرون؟

- الخدم فقط.

- وأنت متأكدة... متأكدة جداً يا سيدتي، من أنك لم تعرفي  
على أحد في القطار؟

أجابت بثقة: نعم؛ لا أحد يا سيدي، لا أحد أبداً.

\*\*\*

- يا صديقي، هذا أمر طبيعي... فماذا يمكنه أن يفعل غير ذلك؟ إنه يعشق زوجته ويود أن يتقدها! إنه يكذب بطريقة متقنة، وبأسلوب السيد انجيليل، ولكن ماذا يمكن أن يكون كلامه إن لم يكن كذبا؟

- لدي فكرة شاذة مفادها أنه ربما يقول الحقيقة

- لا، لا. تذكر المنديل؛ فهو يؤكد القصة بأكملها.

- آه، أنا لست متأكداً تماماً من المنديل، ألا تذكر أنني كنت أقول دائماً بوجود احتمالين بالنسبة لصاحبة المنديل.  
- ولكن مع ذلك...

توقف السيد بوك عن الحديث عندما قُنع الباب الموجود في النهاية ودخلت الأميرة دراغوميروف عربة المطعم. تقدمت نحوهم مباشرة ونهض الرجال الثلاثة على أقدامهم، ولكنها أغفلت الرجلين الآخرين وتحدثت إلى بوارو قائلة: أعفد - يا سيد - أن معك مندبلاً يحسنني

نظر بوارو نحو الرجلين بانتصار وقال: أهذا هو يا سيدتي؟

أخرج المنديل الصغير المربع فقالت: هذا هو، وعلى زاوية أول حرف من اسمي.

قال السيد بوك: ولكن هذا الحرف هو الهاء يا سيدتي الأميرة، واعتذريني إذا قلتُ إن اسمك الأول هو ناتاليا.

نظرت إليه ببرود وقالت: هذا صحيح يا سيد، ولكن مناديلي

## الفصل الخامس

### الاسم الأول للأميرة دراغوميروف

عندما غادر الكونت والكونتيسة نظر بوارو إلى صاحبه وقال:  
إننا نتقدم، أليس كذلك؟

قال السيد بوك من قلب صادق: عمل رائع. أنا ما كنتُ لأشكركوننت والكونتيسة أندرينيه، وأعترف بأنني كنت أحسبهما صادقين جداً، لا أظن أن ثمة شكاً في أنها قد ارتكبت الجريمة، أليس كذلك؟ إنه أمر مؤسف. ومع ذلك فلن يحكموا عليها بالإعدام، إذ توجد ظروف مخففة تحيط بالجريمة. ستقضي بضع سنوات في السجن، هذا كل ما في الأمر.

- أنت متأكد من أنها مذنب.

- من المؤكد أنه لا يوجد في ذلك شك يا صديقي العزيز! لقد ظننت أن أسلوبك في الحديث معها كان فقط لتهدة الموقف حتى نخرج من التلوج ويأتي الشرطة لتولي الموضوع.

- ألا تصدق تأكيد الكونت وقسمه بشرفه على براءة زوجته؟

تُطرز دائماً بالأحرف الروسية، وحرف الهاء بالإنكليزية يشابه تماماً حرف النون بالروسية.

فوجئ السيد بوك قليلاً. كان في هذه السيدة العجوز الصلبة شيء، يجعله يشعر بالتوتر وعدم الارتياح. قال لها: ولكك لم نخبرنا أن هذا المنديل لك أثناء الاستجواب هذا الصباح.

قالت الأميرة بجفاء: أنت لم تسألني.

قال بوارو: أرجوك، تفضلي بالجلوس يا سيدتي.

تنهدت وقالت: "أظن أن من الأفضل أن أفعل ذلك". ثم جلست وقالت: لا داعي لأن تجعلوا من هذا الأمر قصة طويلة أيها السادة إن سؤالكم الذي سوف يكون كيف حدث أن يكون منديلي مرمياً عند جثة رجل مقتول؟ وجوابي على ذلك هو أنني لا أعرف أبداً.

- أنت لا تعرفين حقاً؟

- أبداً.

- اعذريني يا سيدتي، ولكن إلى أي حد نستطيع الاعتماد على صدق إجاباتك؟

قال بوارو هذه الكلمات بلطف شديد، فأجابت الأميرة باردرة: أضئت تعني حقيقة أنني لم أحبركم بأن هينينا أندريه هي أخت السيدة أرمسترونغ؟

- في الواقع لقد تعمدت أن تكذبي علينا حول هذه النقطة.

- بالتأكيد، وسأفعل ذلك ثانية! فأمها كانت صديقتي، وأنا أؤمن - يا سادة - بالولاء، الولاء لأصدقاء المرء وعائلته ووطنه.

- ألا تؤمنين بعمل ما في وسعك لتحقيق العدالة؟

- إنني - في هذه الحالة تحديداً - أؤمن بأن العدالة... العدالة المحضة... قد تحققت.

مال بوارو إلى الأمام وقال: لا بد وأنت ترين الصعوبة التي أقع بها يا سيدتي ففي موضوع المنديل هذا، هل أستطيع تصديقتك؟ أم أنك تحمين ابنة صديقتك؟

- آه، إنني أفهم ما تعنيه.

افتت وجهها عن ابتسامة بانسة ثم قالت: يمكن إثبات كلامي هذا بسهولة يا سادة. سوف أعطيكم عنوان الأشخاص الذين يصنعون لي مناديلي في باريس، وما عليكم إلا أن تعرضوا عليهم هذا المنديل وسوف يخبرونكم بأنهم صنعوه لي حسب طلبي قبل سنة. إن المنديل لي يا سادة.

ثم نهضت قائلة: هل لديكم أي سؤال آخر تودون طرحه علي؟

- هل عرفت خادماتك المنديل عندما عرضناه عليها هذا الصباح يا سيدتي؟

- لا بد وأنها قد عرفته. هل رآته ولم تقل ذلك؟ حسناً، هذا يُظهر أنها تتمتع هي الأخرى بالولاء.

وبينما هي مهيبة من رأسه خرجت من عربة المظفر

منه بوارو بهدوء: هذا هو إذن. لقد لاحظت تردداً بسيطاً  
عندما سألت الخادمة إن كانت تعلم أين هذا المنديل. كانت غير  
واثقة فيه. إذا كان يحب عليها أن تعترف بأنه لمسبته أو لا، ولكن  
كيف تتفق ذلك مع فكري الأساسية الغربية لك؟ نعم، قد يفتقر  
بعض

قال السيد بوك بوشرة حادة به آه. إنها سيدة عجوز  
قطيعة!

سأل بوارو نفسه: هل يمكن أن تكون قد قتلت وانتشرت؟  
هز نصيب رأسه قائلاً: قد يوجد نبت لطيف لي وخشب  
قوة وخرقت العضلات؟ أبداً لا يمكن للشخص بمثل هذه نسبة  
الضعيفة أن يكون قد قام بذلك

- وماذا عن الطعنات الواهنة؟

- أما الطعنات الواهنة، فعم

قال بوارو: إنني أفكر فيما حدث هذا الصباح عندما قلت لها  
إن قوتك في إرادتها لا في ذراعها. قلت ذلك على سبيل إلقاء  
نبرك لها. إذ أردت أن أعلم إن كانت تنتظر إلى ذراعها اليمنى أو  
اليسرى، ولكنها لم تفعل أيًا من ذلك بل نظرت إليهما معاً. إلا أنها  
أجابت إجابة غريبة، فقد قالت: كلا، ليست لدي قوة في يدي.  
ولا أدري أحزن أم أفرح لذلك. وهذا رد غريب، وهو يؤكد لي

اعتقادي حول الجريمة

- ولكن الرد لم يحسم موضوع استعصان اليد اليسرى.

نعم بالمناسبة، هل لاحظتما أن الكونت أندريه يحتفظ  
بمنديه في جيب صدره الأيمن؟

هز السيد بوك رأسه قائلاً: ثم عاد ذهنه إلى الحقائق كثيرة  
التي تكشف في نصف الساعة الأخيرة فتتم كذب. ثم كذب،  
ثم المزيد من الكذب! يذهمني عدد الأكاذيب التي قبلت في هذا  
الصباح

قال بوارو بمرور: وما يزال أماننا العزيز مما شككته

نظن ذلك؟

- سيخيب أمني كثيراً إن لم يكن الأمر كذلك.

قال السيد بوك: إن هذا الخداع قبيح! ثم أضاف مؤثراً: ولكن  
يبدو أن هذا يسررك.

قال بوارو: إن حسنة ذلك هي التالية: إذا كذب عليك شخص  
ما وراحته بالحقيقة أنه يعترف بكذبه عدة، وهذا ما نجح في معظم  
الأحيان - عن المساعدة الكبيرة لي يتعرض إليها كل ما تحتاج إليه  
هو أن يكون حديث صادق حتى تحدث هذا التأثير. وهذا هو  
الأسلوب الوحيد الذي يحب اتبعه في هذه القضية، حيث أختار  
كل ركن بدوره وأفكر في إهدائه وأقول في نفسي: إذا كان فلان

يكذب ففي أية نقطة يكذب؟ وما هو السبب وراء هذا الكذب؟"، ثم أجيب: "إذا كان فلان يكذب - وأقول: إذا - فإن الكذب سيكون لسبب محدد وفي نقطة محددة". لقد فعلنا ذلك بنجاح مع الكونتيسة أندرينيه، وسوف نتابع الآن ونحاول نفس الأسلوب مع عدد من الركاب الآخرين.

- وماذا يحدث لو افترضنا أن حدسك كان مخطئاً يا صديقي؟

- نكون - وقتها - قد استبعدنا شخصاً واحداً على الأقل من دائرة الشك.

- آه، أنت تتبع أسلوب إلغاء من تثبت براءته؟

- تماماً.

- ومن سنرى ثانياً؟

- سنرى ذلك «الرفيق الطيب» كما يقولون في الهند... العقيد أربوثنوت.

\* \* \*

## الفصل السادس

### مقابلة ثانية مع العقيد أربوثنوت

بدا واضحاً أن العقيد أربوثنوت كان متزعجاً لأنه طُلب إلى عربة المطعم لمقابلة ثانية. كان تعبير وجهه ساخطاً جداً عندما جلس وقال: حسناً؟

قال بوارو: أعتذر كثيراً على إزعاجك مرة ثانية، ولكن أظن أنه لا تزال في جعبتك بعض المعلومات التي يمكن أن تُطلعنا عليها.

- حقاً؟ لا أكاد أرى ذلك.

- في البداية، أترى منظم الغليون هذا؟

- نعم.

- أهو واحد من منظفاتك؟

- لا أدري؛ فأنا لا أضع عليها إشارة خاصة.

- أتدرك - أيها العقيد أربوثنوت - أنك الرجل الوحيد من بين ركاب هذه العربة الذي يدخن الغليون؟

- في هذه الحالة قد يكون واحداً من منظفتي.

- أتعلم أين عثرت عليه؟

- ليست ندي أية فكرة.

- لقد وجد قرب جثة الرجل الميت.

رفع العقيد آربوثوت حاجبيه، فتابع بوارو: هل تستطيع أن تخبرنا كيف يمكن أن يصل إلى هناك يا عقيد آربوثوت؟

- إذا كنت تعني أنني أستقلته هناك بنفسي، فالجواب هو: لا.

لم أقبل

- هل ذهبت إلى مقصورة السيد واتشيت في أي وقت؟

- أنا لم أتكلم مع الرجل مجرد كلام أبداً.

- لم تتكلم معه أبداً ولم تقتله؟

ارتفع حاجبا العقيد مرة أخرى بسخريه وقال: لو أنني فعلت ذلك لكان من المستبعد جداً أن أخبرك به. الحقيقة أنني لم أقتل الرجل.

نتم بوارو: آه، حسناً، هذا لا يهم!

- معذرة، ماذا قلت؟

- قلت إن هذا لا يهم.

- آه!

بدا آربوثوت وكأنه قد فوجئ ونظر إلى بوارو بعدم ارتياح، ولكن الرجل الضئيل تبع قذلاً، لأن مظف الغليون لا يهتم. أنا بنفسني أن أفكر في أحد عشر سبباً جيداً لوجوده هناك.

حذق آربوثوت إليه فيما تابع بوارو يقول: إن ما أردت أن أراك حفاً بشأنه هو قضية مختلفة تماماً. ربما تكون الأنسة ديينهام قد أخبرتك بأنني سمعت بعض الكلمات التي تحدثت بها في المحطة في قونية.

لم يجب آربوثوت.

- قالت: "ليس الآن، عندما ينتهي كل شيء، عندما يكون كل شيء وراءنا". هل تعلم إلى أي شيء كانت تشير هذه الكلمات؟

- أنا آسف يا سيد بوارو، ولكن يجب علي أن أرفض الإجابة عن هذا السؤال.

- لماذا؟

قال العقيد بصلاية: أقترح عليك أن تسأل الأنسة ديينهام نفسها عن معنى هذه الكلمات.

- لقد سألتها.

- ورفضت أن تخبرك؟

- نعم.

- آظن - إذن - أن من الواضح تماماً أنني لن أتكلم.

- كيلا تكشف سر سيدة؟

- تستطيع أن تصوغ العبارة كذلك إذا أردت.

- أخبرني الآنسة دينهام أن هذه الكلمات تتعلق بمسألة  
تحصنها

- لم لا تقبل كلامها إذن؟

- لأن الآنسة دينهام - يا عقيد آريوثنوت - هي ما يمكن للمرء  
تسميته شخصية تركز عليها الشبهات.

قال العقيد بحماسة: هذا هراء!

- إنه ليس كذلك

- ليس لديك شيء ضدها أبداً.

- وماذا عن حقيقة أن الآنسة دينهام كانت مربية في منزل  
آرمسترونغ في الوقت الذي اختُفّت فيه ديزي آرمسترونغ  
الصغيرة؟

سادت فترة من الصمت الثقيل، ثم هزّ بوارو رأسه ببطء  
وقال: كما ترى، إننا نعرف أكثر مما نظن. إذا كانت الآنسة دينهام  
برينة فلماذا أخفت الحقيقة؟ لماذا أخبرني أنها لم تذهب أبداً إلى  
أميركا؟

تمنح العقيد وقال: ألا يمكن أن تكون مُخطئاً؟

- أنا لست مُخطئاً. لماذا كذبت علي الآنسة دينهام؟

هز العقيد آريوثنوت كتفيه وقال: من الأفضل أن تسألها هي،  
ولكنني ما زلت أظنك مخطئاً.

رفع بوارو صوته ونادى، فأتى تادل المطعم من الطرف البعيد  
للعربة، فقال له: اذهب واسأل السيدة الإنكليزية في المقصورة  
رقم ١١ أن تُلطف وتأتي إلى هنا.

- حسناً يا سيدي.

غادر الرجل، وجلس الرجال الأربعة في صمت. بدا وجه  
العقيد آريوثنوت وكأنه قد قُذ من خشب؛ كان حامداً لا ينم عن أي  
شعور.

وما هي إلا لحظات حتى دخلت ماري دينهام عربة المطعم.

\* \* \*



- لا يا آنسة، هذا خطأ.

- لقد أسأت فهمي؛ أعني أنه صحيح أنني كذبتُ عليك.

- آه! أتعرفين بذلك؟

ارتسمت ابتسامة على شفتيها وقالت: بالتأكيد... بما أنك  
اكتشفت ذلك.

- أنت صريحة على الأقل يا آنسة.

- لا يبدو أمامي أي خيار آخر.

- هذا صحيح بالطبع. والآن يا آنسة، هل لي أن أسالك عن  
سبب ذلك النهر؟

- ظننت أن السبب واضح وضوح الشمس يا سيد بوارو.

- إنه ليس واضحاً بالنسبة لي آنسة.

قالت بصوت هادئ ثابت فيه أثر من الصلابة: يجب أن أكسب  
معيشتي.

- وماذا يعني ذلك؟

رفعت عينيها ونظرت إلى وجهه مباشرة قائلة: ماذا تعرف  
يا سيد بوارو عن الصراع للحصول على عمل شريف والاحتفاظ به؟  
أنظن أن فداء اعتقلت لعلاقتها بقضية قل ونشر اسمي (بل ربما نشرت  
صورها) في الصحف الإنكليزية، أنظن أن أبة امرأة إنكليزية عديدة

## الفصل السابع

### هوية ماري ديينهام

لم تكن تلبس قبعة، وقد ارتد رأسها إلى الوراء وكأنه علامة  
على التحدي. كانت تسريحة شعرها المشدود إلى الخلف تجعلها  
تبدو وكأنها مقدمة سفينة تمخر بسموخ عباب بحر مانح... كانت  
جميلة في تلك اللحظة.

اتجهت عيناها نحو آريوتوت للحظات... محرد لحظات، ثم  
قالت لبوارو: هل أردت أن تراني؟

- أردت أن أسالك يا آنسة: لم كذبت علينا هذا الصباح؟

- كذبت عليكم؟ لا أعلم ماذا تعني.

- لقد أخفيت حقيقة أنك كنت تعيشين - عملياً - في منزل  
أرمسترونغ عندما حدثت المأساة. لقد أخبرتني أنك لم تذهبي أبداً  
إلى أميركا.

راها تتقبض للحظة، ثم استعادت سيطرتها على نفسها وقالت  
بهمهمة: هذا صحيح.

لا ربي من ذنبي ما يذهبني هذا لأمر

[illegible]

122

- بکری - - - - -  
علمی راحت جعفری مسعود، مسعود، بکری کت جعفری  
بکری

- اكونتيبة تدرينه؟

[illegible]

اسمیت اینسامه دهنه شم حضرت. هذا دأب النساء! کیا گیت  
نہی مشعلی احصا

انوں تغیر بی سوز و آہ؟

كان صوت يارو نقيباً حياً ومفتعاً، ولكن، ردت بصوت خافت لا يستطيع لا أنصتبه!

وفجأة، وبلا مقدمات، انهارت وأخفت وجهه بس ذراعها  
الممدودين واجهشت باليكاء المر وكان قسها سيقطر. فنهض العقيد  
بسرعة. ثنى جانبها وهو يقول: إنني... انظري إلي...

ثم توقف والتفت نحو بوارو برفقه بنظرات غاضبة وقال:  
 - حطمت كل عظمة في جسدك اللعين أيها الصغير القذر...

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وَأَمَّا زَيْنَبُوتُ فَتَنَّتْ إِلَى الْفِتْنَةِ قَاتِلًا: مَا رِي... بِاللَّهِ

تقصت بسرعه وفات لا شيء ، انني بخير ، انت لا تريدني  
كثير من ذلك - سيد برور - انيس كذلك؟ إذا كنت تريدني في شيء  
آخر فبجبت عيبك لثاني ونعتر عني آه يا نبي من حمقاء... جعلت  
نفسى بدو حمقاء!

سأنت حارج لعربة، وفل أن يشعب تروبول التنت مره  
أخرى حو برود فدا لا علاقة بالأسه ديسه جد. لأمر أند  
أسمعني؟ وإذا ما أقتنتها أو تدخلت في شؤونها فسوف يكون  
حسابك معي أنا، ثم مشى خارجاً.

قال بوارو: أحب أن أرى إنكليزياً غاضباً فهم يبعثون السرور  
في نفس، وكلما رد عليهم كانوا أقل تحكماً باللسان.

إلا أن انسبد بوك لم يكن مهتماً بالفعالات الإنكليزي، بل  
استحوذ عليه الإعجاب بصاحبه فصاح قائلاً: يا صديقي، إنك  
لعمري تخمين مَعْجَز آخر. أمر فظيع!

وقال الدكتور كونستانين بأعجاب: إن طريقة تفكيرك بهذه  
الاشياء رائعة حقاً.

نعم، ليس لي الفضل هذه المرة؛ فهذا لم يكن تخميناً، لقد  
كادت الكونتيسة أندرينه تخبرني بذلك.

- ماذا؟ كلا بالتأكيد؟

- أتذكرون أنني سألتها عن مرييتها أو وصيفتها؟ كنت قد  
قررت - في قرارة نفسي - أنه إذا كانت ماري دينهام متورطة في هذا  
الموضوع فلا بد وأنها كانت ضمن موظفي منزل أرمسترونغ

- نعم، ولكن الكونتيسة أندرينه وصفت امرأة أخرى مختلفة

نعم.

- بالضبط، فانت إنها كانت طويلة في وسط العمر ذات شعر

أحمر... والحقيقة أنها أوصاف تناقض تماماً أوصاف الأنسة دينهام.  
ثم كان عليها أن تخترع اسماً بسرعة، وفي هذه النقطة فضحتها  
الربط اللاواعي للأفكار. لقد قالت إن اسمها هو الأنسة فريودي،  
أذكر؟

- نعم.

- حسناً، ثعلكما لا نعرفان ذلك، ولكن يوجد في لندن متجر  
كان يُسمى حتى عهد قريب «دينهام وفريودي». وفيما كان اسم  
دينهام يحول في خاطرهما فإن الكونتيسة حاولت التفكير باسم آخر  
بسرعة، وأول ما خطر ببالها هو اسم فريودي، وبالنظر فهمت الأمر  
على الفور.

- هذه كذبة أخرى. ولماذا فعلت الكونتيسة ذلك؟

- ربما بسبب المزيد من الولاء، وهذا يجعل الأمر أكثر  
صعوبة.

فان بوك بحدة: يا إلهي! أيكذب علينا كل من في الفطار؟

قال بوارو: هذا ما أوشكنا أن نكتشفه قريباً.

\* \* \*



- لماذا كذبت علي هذا الصباح؟

- بسبب أعمالي، بالإضافة إلى أنني لا أثق بأجهزة الشرطة  
ليوغسلافية إنهم يكرهون الإيطاليين وما كانوا لينصفوني.

- وبما كانت العدالة تحديداً هي ما سيطبقونه عليك!

- لا، لا، لم تكن لي أية علاقة بقضية السيدة الماضية، فل لم  
أعذر مقصوري أبدأ، وسوف بحركم بدئت الرحل لأنك تجري دور  
توجه طويل لست أن من قتل هذا الحزير وانشيت لا تستطيع  
أن تثبت شيئاً صدي

كان بوارو يكتب شيئاً، فرفع رأسه وقال بهدوء: حسناً، نستطيع  
أن نذهب.

تأخفاً فوسكر سني شيء من التمثل وقال: أندرك أني لم أكن  
ندخل... وأنه لم يكن ممكناً أن تكون لي علاقة لي بالأمير؟

- قلت إنك تستطيع أن تذهب

- إنها مؤامرة، إنكم متلفعون التهمة بي! كل ذلك بسبب  
رجل اختزير كان يجب أن يذهب إلى الكرسي الكهربائي! من العار  
أنه لم يذهب، فنو كنت أنا... لو تم اعتقالنا...

- ولكن لم تكن أنت العاقل، ولم تكن لك علاقة باختلاف  
الطفلة، أليس كذلك؟

- ما هذا الذي تقول؟ لقد كانت تلك الطفلة محبوبة البيت

كنه، وكانت ناديني ثونيو. كانت تجلس في السيارة وتظاھر  
بالإسناك بمجلة القيادة، وكان كل من في البيت بهيم حياً بها! حتى  
الشرطة أدركوا ذلك. آه، يا لها من طفلة جميلة!

كان صوته قد رق وأغرورقت عيناه بالدموع، ثم التفت فجأة  
ومشى خارج عربة المطعم.

نادى بوارو: بييترو.

جاء النادل واكضاً، فقال له: اطلب لنا السيدة السويدية من  
المتصورة رقم ١٠.

- حسناً يا سيدي.

صاح السيد بوك: كاذب آخر؟ آه، كلا... إن هذا مستحيل!  
إنني أقول لكم إن هذا غير ممكن!

- يجب أن نعرف يا عزيزي، حتى لو تبين - في النهاية - أن كل  
من على القطار كان لهم دافع لقتل وانشيت فعلينا أن نعرف ذلك.  
وعندما نعرف ذلك نستطيع أن نحدد أين يقع الذنب.

قال السيد بوك بأسى: إن رأسي يدور.

أدخل النادل غريتا أولسون بود، فقد كانت تبكي بحرقة. ثم  
انهارت على مقعد مواجه لبوارو وبكت بكاء متواصلاً، قربت بوارو  
عني كتمبها وقال: لا ترعحي نفسك يا سيدتي، لا ترعحي نفسك  
فقط بعض الكلمات الصادقة، هذا كل ما نريده. لقد كنت معرضة  
الطفلة ديزي أرمسترونغ، أليس كذلك؟

قالت المرأة ابانة وهي تبكي: هذا صحيح.. هذا صحيح  
 أنه، لقد كنت ملاكاً، ملاكاً صغيراً وانما يثق بالناس، فهي لم تعرف  
 سوى اللطف والحب. وقد خطفها ذلك الرجل الشرير وعذب  
 بسوء وأنها المسكينة. وذلك الحبس الذي لم تحترق له أن  
 تعيش بدلاً أنت لا تستطيع أن تفهم. لا تستطيع أن تعرف الوقت  
 كنت هناك كما كنت أنا... لو أنك رأيت المأساة كلها! كان يجب  
 علي أن أخبرك بالحقيقة هذا الصباح، ولكنني كنت خائفة... خائفة.  
 لقد سررت جداً لأن ذلك الرجل الشرير قد مات ولأنه لن يتمكن  
 من قتل وتعذيب الأطفال الصغار بعد الآن. أه! إنني لا أستطيع أن  
 أتكلم... ثم بعد ثدي المزيد من الكلام

بكت بحرقة أكثر من السابق، واستمر بوارو في ملاحظتها قائلاً:  
 لا بأس، لا بأس. إنني أفهم، إنني أفهم كل شيء... كل شيء. لن  
 أسألك المزيد من الأسئلة. يكفي أنك اعترفت بما أعرف أنه الحقيقة  
 أقول لك إنني أفهم كل شيء.

لم تعد غريتا أولسون قادرة على إيضاح كلامها بسبب النحيب،  
 فهضت وتحسست طريقها نحو الباب، وعندما وصلته اصطدمت  
 برجل

كان ذلك الرجل هو الخادم ماسترمان، وقد جاء إلى بوارو  
 مباشرة وتكلم بصوته الهادئ لسعد الحادي من المعاض. أرجو ألا  
 أكون متطفلاً يا سيدي. لقد ظننت أن من الأفضل أن آتي فوراً وأخبرك  
 بالحقيقة. لقد كنت مراسلاً للفقيد أرمسترونغ في الجيش أثناء الحرب  
 يا سيدي، ثم بعد ذلك أصبحت خادماً في نيويورك. لقد أخفيت

عنت بنت الحديقة هذا الصباح وكان ذلك حفلاً كبيراً يا سيدي، ثم  
 رأيت أنه من الأفضل أن أريح صميري وأخبرك بالحقيقة. ولكنني  
 أمل - يا سيدي - بأنك لا تشك بعطونيو بأية طريقة، إن طوبو يا  
 سيدي - لا يستطيع أن يؤذي ذبابة، وأستطيع أن أقسم جازماً بأنه لم  
 يغادر المقصورة أبداً ليلة أمس. فكما ترى - يا سيدي - لا يمكن أن  
 يكون هو المذنب قد يكون طوبو حنياً يا سيدي. إلا أنه مخلوق  
 لطيف جداً. وليس مثل أولئك الإيطاليين المغضبين القتل الذين نقرأ  
 عنهم

ثم توقف عن الكلام، فنظر بوارو نحوه بحدة وقال: أهذا كل  
 ما لديك؟

- نعم! هذا كل ما لدي يا سيدي.

ثم سكث، وحين لم يتكلم بوارو انحنى انحناء بسيطة معتذراً،  
 وبعد تردد بسيط غادر غرفة المطعم بنفس الأسلوب الهادئ الذي  
 دخل به.

قال الدكتور كونستانتين: إن هذا أبعد احتمالاً وأندر حدوثاً  
 من نظري عليه أية قصة بوليسية قرأتها في حياتي!

وقال السيد بوك: أوافقك الرأي؛ فمن بين اثني عشر راكباً في  
 تلك العربة ثبت أن تسعة كانوا على صلة بقضية أرمسترونغ، وإنني  
 أسأل: ماذا سنكتشف الآن؟ أم أن علي أن أسأل: من سنكتشف  
 الآن؟

قال بوارو: أكاد أستطيع الإجابة على سؤالك. ها قد أتى

لشروطي السري لأمبركي؟ السيد هاردمان

- هل أي هو لأحر ليعترف؟

كان لأمبركي قد وصل إلى طاونتهم قبل أن يحجب بورو،  
فظهر إليهم بعينين وأغبيتين، ثم جلس وقال: ما الذي يحدث على  
هذا الغفطار بالصيف؟ يبدو لي وكأنه دار للمجانين.

سمعت عينا بورو وهو يظفر إليه وقال أنت متأكد تماماً يا  
سيد هاردمان - من أنت ثم نكس لستدي في منزل أرمسترونغ

أحب السيد هاردمان، ثم نكس لديه حديقة

- أو كبير الخدم؟

- لا يوجد لدي السمث المناسب لعمل كهذا، لا، لم نكس  
في أية صلة بمنزل أرمسترونغ ولكني بدأت أؤمن بأبي الوحيد  
الذي لم يكن مرتبطاً بهم! أنتستطيع تصديق ذلك؟ هذا ما أقوله: هل  
بممكنك تصديق ذلك؟

قال بورو يهدوه: إنه أمر مدهش قليلاً بلا ريب.

قال السيد بوك: بل هو فظيع.

سأل بورو: هل لديك أية أفكار حول الجريمة يا سيد  
هاردمان؟

- لا يا سيدي. إنها تحيرني ولا أستطيع أن أجدها حلاً؟ فلا  
يمكن أن يكونوا قد اشتركوا بها جميعاً، ومعرفة الجاني من بينهم

أمر فوق طاقتي. ما أود أن أعرفه هو كيف استطعت أن تكتشف كل  
هذا؟

مجرد تخمين.

بدن صدقي أنت مخمن لا يشق له غبار نعم؟ سأحبر العالم  
بأنت مخس محك

نكس السيد هاردمان إلى الخلف ونظر نحو بورو بأعجب  
قليل، أعذري، ولكن لا يمكن لمن يراك أن يصدق ذلك إني أروع  
فعتي احتراماً لك. إني جد فعلاً.

- أنت نظيف جداً يا سيد هاردمان

أبدأ، ولكن علي أن أعترف بقدراتك.

قال بورو: ومع ذلك فالقضية لم تُحل بعد. هل نستطيع أن  
نحدد هوية قاتل السيد واتشيت بكل ثقة؟

قال السيد هاردمان: استبعدني من ذلك؟ فأننا لا نستطيع  
أن نقول شيئاً أبداً، إلا أنني معتلن إعجاباً بك. وماذا عن الاثنين  
الأخرين الذين لم تخمن هويتهم بعد؟ السيدة الأميركية الغريبة  
والخدمة؟ أحسب أن يوسف عندهما البريتنين الوحيدتين على  
الغفطار؟

قال بورو وهو يتسلسل: إلا إذا استطعت أن نجد لهما مكان  
في مجموعة على أنهما مثلاً مدرسة البنول والمطابخة في منزل  
أرمسترونغ

قال السيد هاردمان وقد أثر الكوص: ما عاد في العالم  
ما يدهشني الآن. إنه بيت مجاني، إن هذا الأمر كله بيت مجاني!

قال السيد بوك: يا عزيزي! إن من شأن ذلك أن يكون مبالغ  
غير معقولة في المصادفات؛ فلا يمكن أن يكونوا جميعاً متورطين.

نظر بوارو نحوه وقال: أنت لا تفهمي... لا تفهم أبداً.  
أخبرني، هل تعلم من قتل راتشيت؟

قال السيد بوك: هل تعلم أنت؟

أوما بوارو برأسه بالإيجاب وقال: نعم؛ لقد عرفت ذلك  
منذ بعض الوقت. إن الأمر واضح تماماً لدرجة أنني أتعجب كيف  
لا تعرفان أنتما أيضاً.

ثم نظر نحو هاردمان وسأله: وأنت؟

هز المحقق رأسه نافيةً وحدق إلى بوارو بفضول قائلاً:  
لا أعلم، لا أعلم أبداً. أي منهم هو؟

صمت بوارو لدقيقة ثم قال: لو تلطفت -يا سيد هاردمان-  
وجمعت الكل هنا. عندي حلان محتملان لهذه القضية وأريد أن  
أضعهما بين أيديكم جميعاً.

\*\*\*

## الفصل التاسع بوارو يقدم حلين

بدأ الركاب يتجمعون في عربة المطعم واتخذوا مقاعدهم حول  
الطاولات. كانت تعابيرهم متشابهة وهي التوقع المشوب بالخشية،  
وكانت السيدة السويدية ما تزال تتحجب والسيدة هوبارد تُهدئ من  
روعها؛ تمالكي نفسك الآن يا عزيزتي؛ فكل شيء سيكون على  
ما يرام، يجب ألا تفقدي أعصابك. إذا كان أحداً قاتلاً شريراً فإننا  
نعرف -حقاً- أنك لست ذلك القاتل. إن أي شخص يفكر في هذا  
يكون أحمق. اجلسي هنا، وسأبقى بجانبك، فلا تهتمي بشيء.

تلاشى صوتها عندما وقف بوارو، وكان مسؤول التذاكر يتحرك  
عند الباب ثم ما لبث أن قال: هل تسمح لي بالبقاء هنا يا سيدي؟

قال بوارو: "بالتأكيد يا ميشيل"، ثم تمنح وقال: أيها السيدات  
والسادة، سأتكلم بالإنكليزية. حيث أظن أن الجميع يفهمها. نحن  
هنا لنحقق في مقتل صامويل إدوارد راتشيت، المسمى كاسيتي.  
لهذه الجريمة حلان محتملان، وسوف أضعهما بين أيديكم،  
وسأطلب من السيد بوك والدكتور كونسانتين أن يحكما أي حل



هو الصحيح. إنكم تعرفون - جميعاً - حقائق القضية؛ فقد عُثر هذا الصباح على السيد راتشيت مضجوعاً. وآخر ما عُرف أنه على قيد الحياة كان في الساعة ١٢,٣٧ ليلة أمس عندما كلم مسؤول التذاكر عبر الباب. وقد عُثر على ساعة محطمة ومنقطة في جيب سترة نومها وعقاربها تشير إلى الواحدة والربع، وقام الدكتور كونستانتين بفحص الحئة وحدد وقت الوفاة بين منتصف الليل والثانية صباحاً. وكما تعلمون جميعاً فإن القطار قد توقف بسبب الثلوج في الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل، وبعد ذلك الوقت كان من المستحيل أن يغادر أحد القطارات. إن إفادة السيد هاردمان... وهو أحد موظفي وكالة تحريات في نيويورك (التفت عدة رؤوس ونظرت نحو السيد هاردمان) تُظهر أن أحداً ما كان يستطيع المرور أمام مقصورته (رقم ١٦ في نهاية الممر) من دون أن يراه؛ لذلك نحن مضطرون إلى استنتاج أن القاتل موجود ضمن من يقضون مقصورات عربة محددة، وهي عربة إسطنبول-كاليه. هذه كانت هي نظريتنا

صاح السيد بوك مقاطعاً وقد فوجئ: ماذا؟

- ولكنني سأضع بين يديكم نظرية بديلة، وهي بسيطة جداً. لقد كان للسيد راتشيت عدو معين يخافه، وقد أعطى السيد هاردمان وصفاً لهذا العدو وأخبره بأن محاولة قتله -إن حصلت- ستتم في الليلة الثانية بعد مغادرة إسطنبول في أغلب الظن. والآن سأخبركم -أبها السيدات والسادة- أن السيد راتشيت كان يعرف أكثر بكثير مما قانه؛ فالتقاتل (وكما توقع السيد راتشيت) قد استغل القطار في بلغراد، أو ربما في فينكوفشي، من خلال الباب الذي تركه التعقيد أربوثنوت والسيد ماكويين مفتوحاً عندما نزلوا إلى الوصيف. وتم

نزويده بالزوي الرسمي لمسؤول التذاكر فارتداه فوق ملابسه العادية، وكان معه مفتاح عام لكل المقصورات مما أعده على الدخول إلى مقصورة السيد راتشيت رغم أن بابها كان مغلقاً. كان السيد راتشيت يرقد تحت تأثير المنوم، فقطعه هذا الرجل بقوة كبيرة وغادر المقصورة عبر الباب الموصل إلى مقصورة السيدة هوبارد...

قالت السيدة هوبارد وهي تومئ برأسها موافقة: هذا صحيح.

- وقد وضع الخنجر الذي استعمله في حقيبة الحمام في مقصورة السيدة هوبارد أثناء صوره، ومن غير أن يشعر فقد زراً من بدلته هناك، ثم انسل من مقصورتها إلى الممر، وبعد ذلك دس الزوي بسرعة في حقيبة في إحدى المقصورات الفارغة، وبعد عدة دقائق غادر القطار بملابسه العادية قبل أن يبدأ القطار سيره ثانية، مستخدماً -مرة أخرى- نفس المخرج، وهو الباب القريب من عربة المطعم.

شهق الجميع، وسأل السيد هاردمان: وماذا عن تلك الساعة؟

- هنا يكمن تفسير كل ما حدث. لقد نسي السيد هاردمان أن يعيد عقارب ساعته إلى الوراء بمقدار ساعة واحدة (وهو ما كان ينبغي عليه أن يفعله في تزاريرود) فبقيت ساعته تشير إلى توقيت أوروبا الشرقية، وهو يتقدم بمقدار ساعة عن توقيت وسط أوروبا. كان الوقت هو الثانية عشرة والربع عندما طُعن السيد راتشيت وليس الواحدة والربع.

صاح السيد بوك: ولكن هذا التفسير مخيف، وماذا عن

انصوت الذي تكلم من داخل المقصورة في الواحدة إلا ثلاث وعشرين دقيقة، فهو إما أن يكون صوت السيد راتشيت أو صوت فائله.

- ليس بالضرورة، فقد يكون صوت شخص ثالث. ربما يكون شخصاً قد ذهب ليتحدث إلى السيد راتشيت ووجده ميتاً، فقرر لحرس ليدى مسؤول. لنذكر، ثم ساورة الشكوك وخاف أن يتهم بالجريمة فتكلم على أنه راتشيت.

اعترف السيد بوك متذمراً: هذا ممكن.

نظر بوارو نحو السيدة هوبارد وقال: نعم يا سيدتي، لعلك كنت تريدني قول شيء.

- لا أدري تماماً ما الذي كنت سأقوله، ولكن هل تظن أنني نسيت أن أعيد عقارب ساعتني إلى النوراء أيضاً؟

- لا يا سيدتي. أظن أنك سمعت الرجل يمر عبر مقصورتك، ولكن ذلك كان في اللاوعي. وفي وقت لاحق رأيت كابوساً عن وجود رجل في مقصورتك فصحوت جفلة وقرعت الجرس لنمسؤل.

اعرفت السيدة هوبارد قائلة: أظن أن هذا ممكن.

نظرت الأميرة دراغوميروف إلى بوارو نظرة مباشرة وقالت وكيف تفسر إفادة خادمتي يا سيد بوارو؟

- أمر بسيط جداً يا سيدتي. لقد تعرفت خادمك على المنديل

الذي عرسته عليها فحاولت أن تحميك بشكل فيه الكثير من الارتباك. لقد صادت الرجل بالفعل، ولكنها صادفته قبل ذلك... عندما كان القطار في محطة فينكوفشي. ثم ادعت أنها رأته في وقت لاحق في محاولة خرقاء لتزويدك بحجة غياب مُحكمة.

أحنت الأميرة رأسها وقالت: لقد فكرت في كل شيء يا سيد، إنني... إنني معجبة بك.

ساد الصمت المكان، ثم قفز الجميع عندما ضرب كونستانين بقبضته فجأة على الطاولة وقال: ولكن لا، لا... وألف لا إنه تفسير لا يصمد أمام الحقائق؛ فهو ضعيف في الكثير من النقاط الصغيرة. لم تُرتكب الجريمة بهذه الطريقة، ولا بد من أن السيد بوارو يعرف ذلك جيداً.

التفت بوارو نحوه ورمقه بنظرة غريبة ثم قال له: أرى أن علي تقديم التفسير الثاني، ولكن لا تتخل عن هذا التفسير بسرعة؛ فقد توافق عليه لاحقاً.

ثم التفت ثانية وواجه الآخرين قائلاً: يوجد حل آخر ممكن للجريمة، وقد توصلت إليه كالتالي:

عندما سمعت جميع الأدلة استلقيت إلى الخلف وأغلقت عيني وبدأت أفكر، فوجدت أن بعض النقاط كانت جديدة بالانتباه. وذكرت هذه النقاط لصديقي، وقد سبق أن شرحت بعضها (مثل بقعة الدهن على جواز السفر) وسوف أشرح الآن بقية النقاط. أولها وأهمها هو تعنيق ذكره السيد بوك في غرفة المصطعم أثناء الغداء في

اليوم الأول بعدما غادرنا إسطنبول، وهو أن الناس المجتمعين كانوا يختلفون فيما بينهم ويمثلون مختلف الطبقات والحسابات

ورفقه حينئذ، ولكن عندما حضرت تلك النقطة سألني ثانية حاولت أن أتخيل إن كان ممكناً لمثل هؤلاء الناس أن يجتمعوا تحت أي ظرف آخر، وأجبت نفسي بأن ذلك لا يمكن أن يحدث إلا في أميركا. ففي أميركا يمكن أن يتشكل العاملون في منزل ما من جنسيات كثيرة، سائق إيطالي، ومربية إنكليزية، وممرضة سويدية، وخادمة فرنسية، وهكذا... وهذا الأمر دعائي إلى إتباع مُخططي في التخمين، وبمعنى آخر: إعطاء كل شخص الدور الذي يناسبه في مسرحية أرمسترونغ، تماماً كما يوزع المخرج أدوار مسرحية، فخرجت نتائج مثيرة جداً ومُرضية.

كما قمتُ بفحص إفادة كل شخص على انفراد في ذهني، وخرجت نتائج تثير الفضول، ولتأخذ -مثلاً- إفادة السيد ماكوين. لقد كنت مذبذبي معه مرصبة للغاية، ولكنه أطلق في المقابلة الثانية تعبيراً يشير الغصون، إذ وصفت له كيف عثر على ملاحظة تذكر قضية أرمسترونغ، فقال: "ولكن من المؤكد..." ثم توقف قليلاً، ثم أضاف: "أعني أن ذلك كان إجمالاً من الرجل العجوز". وقد شعرت بأن ذلك لم يكن ما بدأ بقوله فعلاً، لنفرض أنه أراد أن يقول: "ولكن من المؤكد أنها احترقت!". وفي هذه الحانة فإن ماكوين كان يعرف عن الملاحظة وعن حرقها، وبمعنى آخر: فهو إما أن يكون المقاتل، أو شريكاً للمقاتل. حسن جداً.

بعد ذلك تأتي إلى الخادم. لقد قال إن سيده كان معناداً على

تناول المنوم عندما يسافر بالفطار. وقد يكون ذلك صحيحاً، ولكن هل كان من شأن راتشيت أن يتناول منوماً ليلة أمس؟ إن السيد الذي كان تحت وسادته يكذب تلك العبارة؛ فقد أراد راتشيت أن يبقى بكامل حذره ليلة أمس، وأني منوم تناوله فإنه قد تناوله دون أن يعلم. من الذي أعطاه إياه؟ من الواضح أنه إما ماكوين أو الخادم.

والآن تأتي إلى إفادة السيد هاردمان. لقد صدقت كل ما أخبرني به عن هويته، ولكن عندما وصف طُرقه في حماية السيد راتشيت بدت قصته سخيفة جداً. فطريقة الوحيدة الفعالة لحماية راتشيت كانت هي أن يمضي ليلته داخل مقصورة راتشيت أو في مكان يستطيع منه مراقبة الباب، والشئ الوحيد الذي أظهرته إفادته بالفعل هو أن أحداً في أي جزء آخر من الفطار لم يكن يوسمه أن يكون قاتل راتشيت، مما يضع دائرة واضحة حول عربة إسطنبول-كائيه. وقد بدت تلك بالنسبة لي حقيقة غريبة غامضة، فوضعتها جانباً لأفكر بها أكثر.

ولعلكم سمعتم جميعاً الآن بتلك الكلمات التي سمعناها تدور بين الأنسة ديينهام وبين العقيد أربوثنوت. إن الشئ المثير -في رأيي- هو حقيقة أن العقيد أربوثنوت ناداهما باسم: ماري، ومن الواضح أنه كان على علاقة حميمة بها. ولكن كان يُتروك أن العقيد لم يتألم إلا قبل بضعة أيام، وأنا أعرف نمط الإنكليز ممن هم على شاكلة العقيد. فحتى لو وقع في حب الأنسة الشابة من أول نظرة، فإنه كان سيتقدم في علاقته معها ببطء ولباقة ولا يستعجل الأمور. لذلك استنتجت أن العقيد أربوثنوت والأنسة ديينهام كانا -في حقيقة الأمر- يعرف أحدهما الآخر جيداً، وأنهما يتظاهران بأنهما غريبان لسبب ما. ونقطة

أخرى بسيطة وهي معرفة الأسماء بصيغها اصطلاحاً «المكالمة البعيدة»  
في وصف المكالمات الدولية، وهو اصطلاح أمريكي. ولكن الأسماء  
بصياغة الجرمي باب لا تذهب إلى أمريكا.

ونقص إلى شاهد آخر لاجتماع السيدة هوبارد أنها عندما  
تكون مستيقظة في سريرها لم يكن باستطاعتها أن ترى إن كان الباب  
مقفل من المقصورات مغللاً للمزاج أم لا، ولذلك هلست من  
الأسماء أو نسوة أن نؤكد من ذلك والآن، رغم أن عديدهم تكون  
صحيحة أو أنها كانت تشغل المقصورات ٢ أو ٤ أو ١٢ أو أنه  
مقصورة ذات رقم زوجي (حيث يكون للمزاج أسفل مقبض الباب  
مباشرة) إلا أن المزاج في المقصورات الفردية (كالمقصورة رقم  
٣) يكون فوق المقبض ولا يمكن أن يحتمل ختم حتمه الحذاء  
أبداً. لذلك أرغمت على استنتاج أن السيدة هوبارد أصرحت بموت  
لم يحدث أبداً.

دعوني الآن أخبركم كلمة أو اثنتين حول مسألة الوقت: إن  
المقطة المشيرة حقاً بالنسبة لي في موضوع الساعة المحطمة هو المكان  
الذي وجدت فيه: في جيب سترة نوم راتشيت، وهو مكان غير مريح  
ويستبعد أن يضع المرء ساعته فيه، خاصة بوجود علاقة ساعة عند  
رأس السرير. لذلك شعرت أن من المؤكد أن الساعة وضعت هناك  
عمداً وأنها خدعة، ولهذا فالجريمة لم ترتكب في الواحدة والرابع

هل ارتكبت قبل ذلك إذن؟ وبالذات في الواحدة إلا ثلاث  
وعشرين دقيقة؟ إن صديقي السيد بولك يحتج في دعمه لهذه الفرضية  
بالصبيحة العالية التي أيقظتني من نومي. ولكن لو أن السيد راتشيت

كان محمداً لما كان باستطاعته أن يصيح. ولو أنه كان يستطيع أن  
يصيح كان بمقدوره أن يفرود يد مع عن نفسه ولكن لم تكن هناك  
دلائل تشير إلى مثل هذه المقاومة.

أذكر أن ماكويين تبه مرتين (وفي المرة الثانية بأسلوب ملفت  
للأسماء) إلى حقيقة أن راتشيت لم يكن يتكلم الفرنسية، فاستتجت أن  
كل ما حدث في الواحدة إلا ثلاث وعشرين دقيقة لم يكن إلا مسرحية  
كنت أن جمهورها! فقد كان يوسع أي امرئ أن يكتشف خدعة  
تساعده لمحضمة، فهي خدعة شائعة جداً في المقصود لوليسية  
وقد اقترعوا أي من الخدع به وأناي أول المعتر المقتنع بذلكه-  
منقصي لأقصر أن الصوت الذي سمعته في الواحدة إلا ثلاث  
وعشرين دقيقة لم يكن صوت راتشيت باعده لا يتكلم الفرنسية  
ولم راتشيت لا بد وأن يكون قد مات قبل ذلك. إلا أنني متأكد من  
أن راتشيت كان ما يزال حياً ومحمداً في الواحدة إلا ثلاث وعشرين  
دقيقة!

غير أن المكيدة نجحت! فقد فتحت باب مقصودي ونفرت  
خارجاً، وقد سمعت - عملياً - العبارة الفرنسية تُستخدم، ولو أنني  
كنت على درجة كبيرة من الغباء بحيث لا أدرك أهمية العبارة لكنت  
تُبَيَّنت إلى ذلك، ولو دعت الضرورة أن يأتي ماكويين فيقول لي  
بصريح العبارة: أعذرني يا سيد هوبارد، لا يمكن أن يكون ذلك  
المتحدث هو راتشيت؟ فهو لا يستطيع أن يتكلم الفرنسية. والآن  
متى كان وقت الجريمة الحقيقي؟ ومن قتله؟

في رأيي (وهذا رأي فقط) أن راتشيت قد قُتل قريباً من

الساعة الثانية، وهو آخر وقت أعطاه لها الطبيب كاحتمال لوقوع  
الحريرة. أما من قبله..

صمت ونظر إلى مستمعيه. وما كان باستطاعته أن يعترض  
على قلة الانتباه فقد كانت الأعين كلها مشدودة إليه. وفي غمرة  
هذا الهدوء التام كان باستطاعة المرء أن يسمع صوت وقع الدبوس  
على الأرض.

تابع كلامه ببطء:

أكثر ما أثار انتباهي هو الصعوبة البالغة في إثبات القضية ضد أي  
شخص بمفرده على القطار. وكذلك المصادفة الغريبة في أن الشهادة  
التي تُعطي كل شخص دفعا بالغية كانت تأتي من الشخص المستبعد  
تماماً. ولهذا نجد أن السيد ماكوين والعقيد آريوشوت قد شهد كل  
منهما بقية الآخر، وهما شخصان يُستبعد جداً أن تكون بينهما معرفة  
سابقة. ولشيء عسى حدث مع نحدده الإكسبري والرجل الإيطالي.  
وكذلك مع السيدة لوريدي ونفذه الإكسبري فقلت في نفسي هذا  
عجيب لا يمكن أن يكون جميعاً متورطين!

ثم رأيت الحقيقة يا سادة. فقد كانوا جميعاً متورطين حقاً.  
فوجود هذا العدد من الناس الذين تربطهم معاً قضية آرمسترونغ  
مسافرين على نفس القطار مصادفة ثم يكن أمراً مستبعداً بل  
مستحيلاً. لا بد وأن التدبير هو الذي جمعهم لا المصادفة. وتذكرت  
تعليلاً قاله العقيد آريوشوت على المحاكمة بواسطة هيئة محلفين. إن  
هيئة المحلفين تتكون من اثني عشر شخصاً. ولدي هذا الـ عشر  
مسافر. وقد ضُعن راتشيت اثني عشرة مرة! وإن ما ضل بحيري

دانما (وهو الخلبط العجيب من الناس المسافرين في عربة إسطنبول-  
كاليه في مثل هذا الوقت الراكذ من السنة) قد وضع الآن.

لقد نجا راتشيت من حكم العدالة في أميركا، ولم يكن في  
جرمه شك. ولذلك تخيلت وجود هيئة محلفين شكلت نفسها  
بنفسها من اثني عشر شخصاً أدانوا راتشيت وحكموا عليه بالموت،  
ثم اضطروا - بسبب ظروف القضية - إلى أن يكونوا هم منفذي هذا  
الحكم. وفوراً، وحسب هذه الفرضية، وضحت القضية بأكملها.

نظرت إليها على أنها فيفساء متكاملة لعب كل شخص  
فيها دوره المحدد. وقد رُتبت بحيث أنه إذا وقعت الشبهة على  
أي شخص منهم فإن إفادة واحد أو أكثر من غيره وتُعقد المسألة.  
وقد كانت إفادة هاردمان ضرورية إذا أنهم شخص من خارج هذه  
المجموعة ولم يستطع إثبات بعده عن مكان الجريمة. ولم يكن  
ركاب عربة إسطنبول في خطر؛ فقد تم تدبير كل التفاصيل الدقيقة  
مسبقاً، وكان الأمر كنه عبارة عن أجزاء متشعبة متشابكة بعضها مع  
بعض. تحفظ لها بعناية بحيث ترابط جميعاً وبحيث أن كل معرفة  
جديدة نصل إليها تجعل الحل معتقداً للغاية. وكما علّق السيد بوك؟  
فإن القضية بدت مستحيلة جداً! وكان هذا - بالضبط - هو الانطباع  
الذي أريد لهذه القضية أن تظهر به.

هل يفسر هذا الحل كل شيء؟ نعم؛ إنه يفسر كل شيء. فطبيعة  
الجراح: كل واحد منها سدد شخص مختلف. ورسائل التهديد  
الزائفة: لم تكن حقيقة بل مُصطنعة. إذ أنها كُتبت فقط لإظهارها  
كدليل (ولا شك في وجود رسائل تهديد حقيقة تُحذر راتشيت من

قدرة المحتوم، وقد أتلفها ماكوين واستعمل بها هذه الرسائل) أما قصة هاردمان بأن رايت ثبت قد استخدمه فهي كذبة من البداية وحتى النهاية، وبالنسبة لوصف الكاذب عن: «الرجل الصغير الأسمر ذي الصور النسائي» فقد وصف ملائم، إذ أن له فائدة في عدم تطابقه على أي من مسؤولي التذاكر الحقيقيين، وفي الوقت ذاته يمكن أن ينطبق على امرأة أو على رجل.

يبدو فكرة الطعن الأول وهذه فكرة غريبة، ولكن عندما نفكر بها نجد أنها الفضيحة السلي في ظل ظروف الحرية، فالجنجر هو سلاح يمكن لأي شخص أن يستخدمه سواء أكان قويا أم ضعيفا، وهو لا يحدث صوتا، وأظن (وقد تكون مخفيا في ضني هذا) أن كل شخص دخل بدوره مقصورة السيد رايت ثبت المعتمنة من خلال مقصورة السيدة هاردمان لم قدم بطعة، وهم جميعا ليس من شأنهم أن يعرفوا أية طعة هي التي قتلت حقا.

وقد تم إحراق آخر رسالة استلمها رايت ثبت، وربما كان قد عثر عليها على وسادته، وبعدم وجود دليل يشير إلى قضية أرمسترونغ لا يوجد أي سبب للاشتباه بأي راكب على القطار. وقد كان من شأن الجريمة أن تعزى إلى شخص من خارج القطار، وكان من شأن بضعة مسافرين أن يشهدوا بأنهم رأوا «الرجل الصغير الأسمر ذا الصور النسائي» وهو يغادر القطار في محطة برود.

لا أعلم بالضبط ما الذي حدث عندما اكتشف المشتريون أن ذلك الجزء من حقيبتهم كان مستحيلا بسبب ما حدث للقطار. أظن أن مشاويرات سريعة قد تمت وتقرر أن يتبعوا مهمتهم. صحيح أن

الشكوك سوف تحوم الآن حول أحد الركاب أو حولهم جميعا، إلا أن العدة كانت قد أعدت لمثل هذا الاحتمال ووُضعت البدائل، والشيء الوحيد الذي بقي هو تعقيد القضية أكثر. إذ تم إسقاط دليلين في مقصورة الرجل الميت: أحدهما يوقع التهمة على العقيد أربوثنوت (الذي كان لديه أقوى دفع بالغية عن مكان الجريمة، والذي كانت إثبات علاقته بعائلة أرمسترونغ الأصعب من بين الجميع)، والدليل الثاني (المستبدل) يوقع التهمة على الأميرة دراغوميروف، وبسبب مكانتها الاجتماعية وبئيتها الضعيفة وشاهد الإثبات لصالحها (والذي قدمته خادماتها ومسؤول التذاكر) بسبب كل ذلك، فإنه من الصعب إثبات أي شيء ضدها. ولزيادة التعقيد في القضية تم رمي طعم مزيف، وهو المرأة الخرافية التي ترتدي قميص النوم القرمزي. ومرة أخرى لحظت لي أن أشهد على وجود هذه المرأة، إذ طُرب باب مقصورتي بشدة، وعندما نهضت ونظرت خارجا رأيت قميص نوم قرمزي يخفي في نهاية الممر. كما تمت رؤيتها من قبل مجموعة من الركاب النباه: مسؤول التذاكر، والألسنة ديبتهام وماكوين. أظن أن شخصا بذلك روح الدعاية قام بوضع قميص النوم القرمزي فوق الأمتعة في حقيبتي بينما كنت أقابل الناس في عربة المطعم، ولا أعلم من أين أتى قميص النوم أصلا، وأظنه للكونتيسة أندريته لأن أمتعتها لم تحتو إلا على قميص نوم فاخر من الشيفون الذي يمكن اعتباره عيادة ترتدي وقت شرب الشاي وليست قميص نوم.

وعندما علم ماكوين أن الرسالة التي أحرقت بعناية لم تُدمر تماما، وأنه تم التعرف منها على كلمة أرمسترونغ، قام بإعلان النبأ للآخرين. وفي هذه اللحظة بدا موقف الكونتيسة أندريته صعبا

تلغاية، فقام زوجها - فوراً - باتخاذ الخطوات الضرورية لتعديل جواز السفر، وكان هذا هو الأمر الثاني الذي أوقعهم في سوء الحظ. لقد اتفقوا جميعاً على أن يتكروا أبة علاقة بعائلة أرمسترونغ، وكانوا يعرفون أنه لا توجد لديّ طريقة للعلور على الحقيقة، ولم يظنوا أنني سأهتم بالموضوع إلا إذا أثبت شكوكي حول شخص محدد.

كانت هناك نقطة أخرى يجب أخذها بعين الاعتبار، فلو افترضنا أن نظريتي حول الجريمة نظرية صحيحة (واعتقد أنها لا بد وأن تكون صحيحة) إذن لا بد وأن يكون مسؤول التذاكر على علاقة بالخطئة. ولكن إن كان الأمر كذلك فسوف يكون لدينا ثلاثة عشر شخصاً وليس اثنا عشر شخصاً، وبدلاً من المقولة السائدة: "من بين هؤلاء الناس الكثير شخص مذنب"، واجهتني مشكلة أنه من بين الثلاثة عشر شخصاً واحد فقط بري، فمن هو؟

لقد وصلت إلى استنتاج غريب، وهو أن الشخص الذي لم يشترك في الجريمة كان - في الواقع - هو الأشد احتمالاً لأن يكون متورطاً، وأعني الكونتيسة أندرييه. لقد أثر بي صدق زوجها عندما أقسم بشرفه على أن زوجته لم تغادر المقصورة في تلك الليلة، فقررت حينئذ أن الكونت أندرييه أخذ مكان زوجته.

وإذا كان الأمر كذلك فإن بيير ميشيل واحد من الاثني عشر شخصاً بالتأكيد، ولكن كيف نفسر تورطه؟ إنه رجل محترم ويعمل لدى الشركة منذ سنوات، وهو ليس من النوع الذي يمكن رشوته ليساعد في الجريمة، إذن لا بد من أن يكون بيير ميشيل على علاقة بقضية أرمسترونغ، إلا أن ذلك بدا مستبعداً. ثم تذكرت الممرضة

الفرنسية التي انتحرت، فلو فرضنا أن تلك الفتاة المسكينة كانت ابنة بيير ميشيل فإن هذا يوضح الأمر، كما يوضح - أيضاً - المكان الذي تم اختبائه لارتكاب الجريمة. هل كان موقع أشخاص آخرين غير واضح في هذه المسرحية؟ سأقول إن العقيد أربوثنوت كان صديقاً لعائلة أرمسترونغ وربما اشترك معه في الحرب، وأظن أن الخادمة هيلداغارد شيدت كانت من ضمن أفراد منزل أرمسترونغ. قد أكون تهماً جداً للطعام مما يجعلني أعرف الطباخة الماهرة بالغريزة، وقد نصبت لها فخاً ووقعت به؟ قلت لها إنني أعلم أنها طباخة ماهرة فأجابت: "نعم حقاً، فكل سيداتي يقتلن ذلك". ولكن لو أنها كانت توظف على أنها خادمة فتادراً ما ستستغل الفرصة لمستخدميها ليعرفوا إن كانت طباخة ماهرة أو لا. ثم نأني إلى هاردمان، لقد بدا - فعلاً - أنه لا ينتمي إلى أفراد منزل أرمسترونغ، ولكن يمكنني أن أخمن أنه كان يحب الفتاة الفرنسية القتيلة.

بقيت لدينا السيدة هوبارد، وسوف أقول لكم إن السيدة هوبارد قد لعبت أهم دور في هذه المسرحية؛ فلأنها تقطن المقصورة المجاورة لمقصورة واتشيت فإنها كانت معرضة للشك أكثر من أي شخص آخر، وبسبب الظروف المحيطة لم يكن ممكناً تدبير دفع بالغيبة بالنسبة إليها. ولنعب هذا الدور الذي لعبته (دور الأم الأميركية العادية جداً والتي تبلغ حداً من السخف في أمومتها) كانت الحاجة ملحة إلى ممثلة قادرة على أداء هذا الدور. ولكن لماذا البحث بعيداً؟ لقد وجدت ممثلة من داخل عائلة أرمسترونغ، وهي أم السيدة أرمسترونغ، الممثلة ليندا آردن...

في تلك اللحظة قالت السيدة هوبارد بصوت وقيق ناعم



يختلف عن الصوت الذي استخدمته طوال الرحلة: نظاماً أحببت أداء الأدوار الكوميديّة. ثم تابعت بشروط: تلك الهفوة حول موضع حقيبة الحذاء كانت سخيفة، وهي تظهر أن عليّ الحرج أن يتدرب على أدواره بعناية. لقد تدرّبت على هذه النقطة في طريق عودتنا، وأظن أنني كنتُ في مقصورة ذات رقم زوجي، ولم أفكر أبداً باختلاف مواقع المزلاج.

ثم غيرت جلستها قليلاً ونظرت إني بوارو وقالت: أنت تعرف كل شيء يا سيد بوارو... إنك رجل رائع. ولكن حتى أنت لا يمكنك أن تتخيل كيف كان الأمر في ذلك اليوم المشؤم في نيويورك. لقد كدت أجن من الحزن، وكذلك الخدم، والعقيد آريوثوت كان هناك أيضاً، فقد كان من أعز أصدقائه جون أرمسترونغ.

قال آريوثوت: لقد أنقذ حياتي أثناء الحرب.

قررنا منذ ذلك الوقت (ولا أدري، فقد تكون مجانين...) أن حكم الإعدام الذي لم يُنفذ في كاسيتي يجب أن تنقذه نحن، فقد كنتُ اثني عشر شخصاً، أو -بالأحرى- أحد عشر شخصاً، إذ كان والد سوزان في فرنسا بالطبع. وفي بداية الأمر فكرنا في أن نُجري القنطرة حول من يقوم بذلك، ولكننا صمّمنا -في النهاية- على هذه الطريقة. كان السائق أنطونيو هو الذي أشار بها، وبحثت ماري لاحقاً جميع التفاصيل مع هيكتور مكوين، فقد كان يحب ابنتي سونيا، وكان هو الذي وضع لنا كيف استطاعت أموال كاسيتي أن تنقذه من المحاكمة في أمريكا. لقد استغرقنا وقت طويلاً حتى أصبحت حطّطت تامّة جداً؛ إذ كان عليّ أولاً أن نعيش على رانشيت. وقد تمكن

هاتردمان من ذلك في النهاية، ثم حاولنا أن نحمل رانشيت على استخدام ماسترمان وهيكتور أو أحدهما على الأقل، وقد استطعنا ذلك، ثم بحثنا الأمر مع والد سوزان (إذ كان العقيد آريوثوت مصراً على أن نكون اثني عشر شخصاً، ويبدو أنه اعتقد أن هذا يجعل الأمر متكاملًا). ولم يكن يحيد فكرة الطعن كثيراً، إلا أنه وافق على أنها تحل معظم الإشكالات). وكان والد سوزان مستعداً للقيام بدوره؛ فقد كانت سوزان ابنته الوحيدة، وعرفنا من هيكتور أن رانشيت سيعود من الشرق عاجلاً أو آجلاً على قطار الشرق السريع، ووجود بير ميشيل على ذلك القطار منحنا فرصة لا تعوض، بالإضافة إلى أنها طريقة جيدة لعدم اتهام أطراف خارجية، وكان لا بد لزواج ابنتي من أن يعرف بالطبع. وقد أصرّ على أن يأتي معنا على القطار، ثم رتب هيكتور الأمور بحيث يسافر رانشيت في اليوم المناسب الذي تكون فيه نوبة عمل ميشيل في القطار، وأردنا أن نحجز كل مقصورة في عربة إسطنبول-كاثيه، ولكن نالسف... كانت هناك مقصورة لم تمكن من الحصول عليها؛ فقد كانت محجوزة قبل فترة طويلة لمدير الشركة. وكان السيد هاريس شخصية وهمية، ولكن سيكون صعباً للغاية أن يشارك غريب مع هيكتور في مقصورته، ثم وفي آخر لحظة ثبتت أنت...

توقفنا عن الكلام قليلاً، ثم أكملت: حسناً، أنت تعرف كل شيء يا سيد بوارو، فماذا سنفعل؟ إن كان لا بد من كشف الحقائق فبالأفضل وضعت النوم عني وحدي؟ فقد كنتُ على استعداد تام لأن أضعن ذلك الرجل اثني عشر مرة وحدي، فهو لم يتسبب فقط في موت ابنتي وطفلتها وذلك الطفل الذي ربما كان حياً وسعيداً



الآن، بل كان الأمر أكثر من ذلك. لقد اختلف أطفالاً قبل ديزي، وربما كان من الممكن أن يختلف غيرهم في المستقبل. لقد حكم عليه المجتمع، وما فعلناه هو أننا نقلنا الحكم فقط. ولكن ليس من الضروري أن نورط هؤلاء جميعاً بالأمر. إنهم جميعاً طبيون وأولياء ميشيل المسكين... وماري والعقيد آر بوثوت... بهما متحايان.

كان صوتها رائماً يتردد عبر الفضاء المكتظ، ذلك الصوت العاطفي العميق الذي يحرك القلوب والذي طالما أثار الجمهور في نيويورك.

نظر بوارو نحو صديقه ثم قال: أنت مدير الشركة يا سيد بوك، فماذا نقول؟

تضح السيد بوك وقال: برأيي - يا سيد بوارو - أن الطريقة الأولى التي ذكرتها هي المسيحية بالتأكيد، وأقترح أن تقدمها إلى الشرطة اليوغسلافية على أنها الحل. هل توافقني يا دكتور؟

قال الدكتور كونستانتين: بالطبع أوافقك. أما بالنسبة إلى الدليل الطبي فأظن... إيه؟ أنني أخطأت في نقطة أو اثنين!

قال بوارو: إذن، بعد أن وضعت الحل بين أيديكم، يشرفني أن أقدم باستقالتي من القضية.

